



أخبار في التسمية

في بيان اسمين أحدهما من أسماء الله تعالى

في أصل في أسماء الله تعالى وهو سبحانه وتعالى وهو الذي أمر به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اصبروا لله وللرسول ما جاءكم وما تنفقوا منه من المال جاهدوا معه إن الله غفور عظيم
أبوه قالوا لله ما جاهدنا غيرك وهو القائل كقولك تعالى فوجدها في الأرض التي خلق
وأما على وجه ما ذكره في قوله تعالى فوجدها في الأرض التي خلق
فإنه قد تحقق التسمي عليه ويكون من باب التبريد وهو من باب التبريد والتسمي عليه
يراد التسمي بوجهه والتبريد في الأصل أن يكون ما يصح فيه ذلك الأمور التي هي في التسمية
إذا تسمي على نواحيها فالأمور الظاهرة بالضرورة كما تسمي بالشمس والقمر والنهار والليل
والأرض في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا لله وللرسول ما جاءكم وما تنفقوا منه من
المال جاهدوا معه إن الله غفور عظيم وهو الذي أمر به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اصبروا لله وللرسول ما جاءكم وما تنفقوا منه من المال جاهدوا معه إن الله غفور عظيم
أبوه قالوا لله ما جاهدنا غيرك وهو القائل كقولك تعالى فوجدها في الأرض التي خلق
وأما على وجه ما ذكره في قوله تعالى فوجدها في الأرض التي خلق
فإنه قد تحقق التسمي عليه ويكون من باب التبريد وهو من باب التبريد والتسمي عليه
يراد التسمي بوجهه والتبريد في الأصل أن يكون ما يصح فيه ذلك الأمور التي هي في التسمية
إذا تسمي على نواحيها فالأمور الظاهرة بالضرورة كما تسمي بالشمس والقمر والنهار والليل

١١٥ فصل واناسر الامانة والابطال
 ١١٥ فصل وبن مل حكمة القرصه مالي
 اخلاص الكفين الخ
 ١١٧ فصل وبن نذ كرم - حاصرا
 فصل الاشارة الخ
 ١١٨ فصل ثم لا اراد الله - النذ ان
 ١١٩ فصل فان كان قد اقصى حصر
 ان يراد الخ
 ١٢٠ فصل وبن شايه من الاطباء
 ١٢٣ فصل واما فاذ اهل - الامارة
 ١٢٣ فصل فان كان - الامارة
 ١١٥ فصل ان كان في ذكره
 ١٢٧ فصل وبن حصر
 ١٢٦ فصل فانزل
 ١٢٧ فصل وبن حصر
 ١٢٨ فصل وبن حصر
 ١٢٩ فصل وبن حصر
 ١٣٠ فصل وبن حصر
 ١٣١ فصل وبن حصر
 ١٣٢ فصل وبن حصر
 ١٣٣ فصل وبن حصر
 ١٣٤ فصل وبن حصر
 ١٣٥ فصل وبن حصر
 ١٣٦ فصل وبن حصر
 ١٣٧ فصل وبن حصر
 ١٣٨ فصل وبن حصر
 ١٣٩ فصل وبن حصر
 وفان الخ

١١٦ فصل وبن حصر
 ١١٧ فصل وبن حصر
 ١١٨ فصل وبن حصر
 ١١٩ فصل وبن حصر
 ١٢٠ فصل وبن حصر
 ١٢١ فصل وبن حصر
 ١٢٢ فصل وبن حصر
 ١٢٣ فصل وبن حصر
 ١٢٤ فصل وبن حصر
 ١٢٥ فصل وبن حصر
 ١٢٦ فصل وبن حصر
 ١٢٧ فصل وبن حصر
 ١٢٨ فصل وبن حصر
 ١٢٩ فصل وبن حصر
 ١٣٠ فصل وبن حصر
 ١٣١ فصل وبن حصر
 ١٣٢ فصل وبن حصر
 ١٣٣ فصل وبن حصر
 ١٣٤ فصل وبن حصر
 ١٣٥ فصل وبن حصر
 ١٣٦ فصل وبن حصر
 ١٣٧ فصل وبن حصر
 ١٣٨ فصل وبن حصر
 ١٣٩ فصل وبن حصر
 ١٤٠ فصل وبن حصر
 ١٤١ فصل وبن حصر
 ١٤٢ فصل وبن حصر
 ١٤٣ فصل وبن حصر
 ١٤٤ فصل وبن حصر
 ١٤٥ فصل وبن حصر
 ١٤٦ فصل وبن حصر
 ١٤٧ فصل وبن حصر
 ١٤٨ فصل وبن حصر
 ١٤٩ فصل وبن حصر
 ١٥٠ فصل وبن حصر
 ١٥١ فصل وبن حصر
 ١٥٢ فصل وبن حصر
 ١٥٣ فصل وبن حصر
 ١٥٤ فصل وبن حصر
 ١٥٥ فصل وبن حصر
 ١٥٦ فصل وبن حصر
 ١٥٧ فصل وبن حصر
 ١٥٨ فصل وبن حصر
 ١٥٩ فصل وبن حصر
 ١٦٠ فصل وبن حصر
 ١٦١ فصل وبن حصر
 ١٦٢ فصل وبن حصر
 ١٦٣ فصل وبن حصر
 ١٦٤ فصل وبن حصر
 ١٦٥ فصل وبن حصر
 ١٦٦ فصل وبن حصر
 ١٦٧ فصل وبن حصر
 ١٦٨ فصل وبن حصر
 ١٦٩ فصل وبن حصر
 ١٧٠ فصل وبن حصر
 ١٧١ فصل وبن حصر
 ١٧٢ فصل وبن حصر
 ١٧٣ فصل وبن حصر
 ١٧٤ فصل وبن حصر
 ١٧٥ فصل وبن حصر
 ١٧٦ فصل وبن حصر
 ١٧٧ فصل وبن حصر
 ١٧٨ فصل وبن حصر
 ١٧٩ فصل وبن حصر
 ١٨٠ فصل وبن حصر
 ١٨١ فصل وبن حصر
 ١٨٢ فصل وبن حصر
 ١٨٣ فصل وبن حصر
 ١٨٤ فصل وبن حصر
 ١٨٥ فصل وبن حصر
 ١٨٦ فصل وبن حصر
 ١٨٧ فصل وبن حصر
 ١٨٨ فصل وبن حصر
 ١٨٩ فصل وبن حصر
 ١٩٠ فصل وبن حصر
 ١٩١ فصل وبن حصر
 ١٩٢ فصل وبن حصر
 ١٩٣ فصل وبن حصر
 ١٩٤ فصل وبن حصر
 ١٩٥ فصل وبن حصر
 ١٩٦ فصل وبن حصر
 ١٩٧ فصل وبن حصر
 ١٩٨ فصل وبن حصر
 ١٩٩ فصل وبن حصر
 ٢٠٠ فصل وبن حصر

فصل واقدم بانه لا ... الامور على

المعاد

١٠٩ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٠ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠١ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٢ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٣ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٤ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٥ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٦ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٧ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٨ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٩ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٠ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١١ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٢ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٣ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٤ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٥ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٦ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٧ فصل من آيات آيات آيات العلوم

من المترك

١٠٠ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠١ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٢ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٣ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٤ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٥ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٦ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٧ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٨ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١٠٩ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٠ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١١ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٢ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٣ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٤ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٥ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٦ فصل من آيات آيات آيات العلوم

١١٧ فصل من آيات آيات آيات العلوم

وكتب مسطور الخ

في الدنيا اذ يرون العذاب في الآخرة والجواب محذوف ثم قال ان القوة لله جميعا كما قال تعالى
 ولو ترى اذ هم هوا فلا فوت ولو ترى اذ يقبضون الذين كفروا الملائكة اي لو ترى ذلك الوقت
 وما فيه واما القسم فان الملائكة لا يعلمون على الشيء ثم يكرر القسم لاي بعد لتسم عليه لانه قد
 عرف ما يحلف عليه فيقول والله ان لي عليه الف درهم ثم يقول ورب السماء والارض
 والارض والذي نفسي بيده وحق القرآن العظيم ولا بعد لتسم عليه لانه قد عرف
 المراد والقسم ان كان يكثر في الكلام اختصر مصار عمل التسميح بحذف ويكتفي بالباء
 ثم عوض من الباء الواو وفي الاسماء الظاهرة وابتداء في اسماء الله كقوله وتالله لا كيد من
 اصنامكم وقد نقل تربي الكعبة واما الواو فكثيرة

وهو يصلح اذا عرف هذا فهو سبحانه يقسم على اصول الايمان التي يجب على الخلق
 معرفتها فارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول
 حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة على حال الانسان فالاول كقوله والصفات
 صفا الى قوله ان الحكم لو احد والثاني كقوله فلا أقسم بمواقع الخوض الى قوله كرم
 وقوله حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة وانا جملناه قرآنا عربيا اذا جعل
 ذلك جواب القسم كما هو الظاهر وان قول بل الجواب محذوف كان كقوله ص والقرآن الذي
 اذكر فانه هنا حذف الجواب ومن قال ان الجواب هو قوله ان ذلك خلق نخصم اهل النار
 فقد ابدى الجملة والقسم على الرسول كقوله يس والقرآن الحكيم انك من المرسلين على صراط
 مستقيم اذا قيل هو الجواب وار قيل الجواب محذوف كان كما ذكر ومنه ن والقول وما يسطرون
 ما نت بنعمة ربك بمجنون وانك لا اجرا غير ممنون ومنه وانجم اذا هوى ماضل صاحبكم
 وما غوى وما ينطق عن الهوى الى آخر القصة ومنه قوله فلا أقسم بما تبصرون
 وما لا تبصرون انه لقول رسول كرم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون الى قوله ذي قوة
 عند ذي العرش مكين واما لقسم على الجزاء والوعد والوعيد في مثل قوله والذاريات ذروا
 الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين اوانع ثم ذكر تفصيل الجزاء وذكر الجنة والنار
 وذكر ارفي السماء رزقهم وما يوعدون ثم قال فو رب السماء والارض انه لخلق مثل ما اُنتم
 تنطقون وعمل قوله والمرسلات عرفنا الى قوله فما توعدون او وقع ومثل والطور وكتاب
 تسطور الى قوله ماله من داع وقد امر نبيه ان يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات
 وقال تعالى زعم الذين كفروا الى قوله لتعذب وقال تعالى وقال الذين كفروا لانا ندين الساعة
 قل بلى وربى لنا نيتكم وقال تعالى ويستفتونك احق هو قل اي وربى انه لخلق وما اُنتم بمجزيين
 وهذا لان المعاد انما يعلمه طامة الناس بأخبار الانبياء وان كان من الناس من قد يعلمه بالنظر
 وقد تنازع النظار في ذلك فقالت طائفة انه لا يمكن علمه الا بالسمع وهو الخبر وهو قول من لا يرى
 تعليل الاعمال ويقولون لا ندرى ما يفعل الله الامادة اُر خبر كما بهوله جهه ومن تبعه والاشعري
 وتباعدوا عن اهل الكلام في القصة والحديث من اتباع لائمة الاربعة بخلاف اهل التصافح فان
 الساس متفقون على انه لا يعلم العقل ان كان ذلك مما نبت لرسول عليه وصفاته فتعلم العقل
 وتعلم بالسمع ايضا كما قد بسط في موضع آخر واما لقسم على احوال الانسان كما كقوله

والليل اذ يغشى والنهار اذ انجلي الى قوله ان معكم لشيء الآية ولفظ السعي هو العمل
 لكن يراد به العمل الذي بهم به صاحبه ويجهده فيه بحسب الامكان فان كان يفتقر
 الى عدو بدنه عدوا وان كان يفتقر الى جمع له وانه جمع وان كان يفتقر الى تفرغ له وترك
 غيره فعل ذلك فلنظ السعي في القرآن جاء بهذا الاعتبار ليس هو مرادا فالاظاظه طائفة
 بل هو عمل مخصوص بهم به صاحبه ويجهده فيه ولهذا قال في الجملة فاسعوا الى ذكر الله وهذه
 احسن من قراءة من قرأ فامضوا الى ذكر الله وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وانؤها عشرون وعليكم بالسكينة فما أدركتم
 فصلوا وما فاتكم فاتموا فلم ينه عن السعي الى الصلاة فان الله أمر بالسعي اليها بل نهاهم أن
 يأتوا اليها يسعون فنهاهم عن الايمان المنتصف بسعي صاحبه والايمان فعل البدن وسعيه عدو
 البدن وهو منهي عند وأما السعي المأمور به في الآية فهو الذهاب اليها على وجه الاهتمام
 بها والتفرغ لها عن الاعمال الشاغلة من بيع وغيره والاقبال بالقلب على السعي اليها وكذلك
 قوله في قصة فرعون لما قاله موسى هل لك لي أن تزكي الى قوله ثم أدبر سعي فحشر فنادى
 هذا اهتمام واجتهاد في حشر رهيته ومناداه فيهم وكذلك قوله واذنولى سعي في الارض
 ليفسد فيها هو عمل بهمة واجتهاد ومنه سعى الساعي على الصدقة والساعي على الامة
 واليتم ومنه قوله ان معكم لشيء وهو العمل الذي يقصده صاحبه ويعتني به ليرتب عليه
 ثواب أو عقاب بخلاف المباحات المعتادة فانها لم تدخل في هذا السعي قال تعالى فامامن أعطى
 واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن يخل وامتنقى وكذب بالحسنى فسنيسره
 لليسرى ومنه قوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا

فصل في أقسام على صفة الانسان بقوله والعاديات ضحا الى قوله ان الانسان
 لره لكنود وأقسم على طائفة وهو قسم على الجزاء في قوله والعصر الى قوله ونواصوا
 بالصبر وفي قوله والتين والزيتون وطور سينين الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
 ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحذف جواب القسم لانه قد علم
 بأنه يقسم على هذه الامور وهي من لازمة حتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد
 ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعد
 حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعد حق ثبت صدقه وصدق
 الكتاب الذي جاء به والجواب بحذف نارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به وانه مما
 يحلف به كقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فلحلف بالله أو ليصمت ولكن هذا
 يذكر معه الفعل دون مجرد حرف القسم كقولك فلان يحلف بالله وحده وأنا أحلف
 بالخالق لا بالخلق ونحو ذلك والنصراني يحلف بالصليب والمسيح ولان أكذب ما يكون
 اذا حلف بالله وقد يكون هذا النوع بحرف القسم مجردا كما في الحديث كانت أكثرين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لا مقلب القلوب وكان بعض السلف اذا اجتهد في يمينه قال والله
 الذي لا اله الا هو ونارة بحذف الجواب وهو مراد اما لكونه قد ظهر وعرف اما بدلالة الحال

كن قيل له كل فتى لا والله الذى لا هو أو بدلالة السابق وأكثر ما يكون هذا اذا كان
 فى نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهى طريقة القرآن فان المقصود يحصل بذكر المقسم
 به فيكون حذف المقسم عليه ابلغ وأوجز كن أراد أن يقسم على أن الرسول حق فقال
 والذى أرسل محمد بالهدى ودين الحق وأبداه بالآيات البينات وأظهر دعوته وأهل كلمته
 ونحو ذلك فلا يحتاج الى ذكر الجواب استغناء عنه بما فى المقسم من الدلالة عليه كن
 أراد أن يقسم على التوحيد وصفات الرب ونسوت جلاله فقال والله الذى لا اله الا
 هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الاول الاخر الظاهر الباطن وكن أراد أن يقسم على
 علوه فوق عرشه فقال والذى استوى على عرشه فوق سمواته بصعد اليه الكلم الطيب وترفع اليه
 الابدى وتخرج الملائكة والروح اليه ونحو ذلك وكذلك من حلف لشخص انه يحبه ويعظمه
 فقال والذى ملا قلبي من محبتك واجلالك وهمايتك ونظائر ذلك لم يخرج الى جواب المقسم
 وكان فى المقسم به ما يدل على المقسم عليه فن هذا قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر فان
 فى المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذى الذكر المتضمن لذكر كبير العباد ما يحتاجون
 اليه وللشرف والقدرة ما يدل على المقسم عليه وكونه حقا من عند الله غير مفترى كما بقوله الكافرون
 وهذا معنى قول كثير من المفسرين متقدمينهم ومتأخرينهم ان الجواب محذوف تقديره ان القرآن
 لحق وهذا مطرد فى كل ما شابه ذلك واما قول بعضهم ان الجواب قوله تعالى كم اهلكنا
 من قبلهم من قرن فاعترض بين القسم وجوابه بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق فيبعد
 لان كم لا يتلقى بها القسم لانقول والله كم انفتت مالا وبالله كم احتقت عبدا وهؤلاء الملام يخف
 عليهم ذلك احتاجوا ان يتقدر واما يتلقى بها الجواب اى لكم اهلكنا وابعدهن هذا قول
 من قال الجواب فى قوله ان كل الاكذب لرسول وابعدهن منه قول من قال الجواب ان هذا لرسولنا
 ماله من نفاذ وابعدهن منه قول من قال الجواب قوله ان ذلك لحق نخصم اهل النار واقرب
 ما قيل فى الجواب لفظا وان كان بعيدا معنى ما ذكره من فتادة وغيره ان فى قوله بل الذين كفروا
 كما قال فى القرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وشرح صاحب العظم هذا القول
 فقال معنى بل توكيد الخبر الذى بعد انصار كان الشديدة فى تثبيت ما بعدها قبل ههنا بمنزلة
 ان لانه يؤكد ما بعده من الخبر وان كان له معنى سواه فى نفي خبر متقدم فكأنه عز وجل قال
 ص والقرآن ذى الذكر ان الذين كفروا فى عزة وشقاق كما تقول والله ان زيدا لقاسم قالوا اخرج
 صاحب هذا القول بأن هذا العظم وان لم يكن للعربية فيه أصل ولا لها فيه رسم فيصطلح أن
 يكون نظما أحدهم الله عز وجل لما بيننا من احتمال بل بمعنى ان انتهى وقال أبو القاسم الزجاجي
 قال الصوريون ان بل تقع فى جواب القسم كما تقع ان لان المراد بها توكيد الخبر وهذا القول
 اختيار أبى حاتم وحكاه الاخفش عن الكوفيين وقرره بعضهم بأن قال أصل الكلام بل الذين
 كفروا فى عزة وشقاق والقرآن ذى الذكر فلما قدم القسم ترك على حاله قال الاخفش وهذا
 بقوله الكوفيون وائس يجيد فى العربية لو قلت والله قام وانت تريد قام والله لم يحسن وقال
 النحاس هذا خطأ على مذهب الصوريين لانه اذا ابتداء بالقسم وكان الكلام معتمدا عليه
 لم يكن بد من الجواب وأجمعوا انه لا يجوز والله قام عمرو بمعنى قام عمرو والله لان الكلام

يعتمد على القسم وذكر الاخفش وجها آخر في جواب القسم فقال يجوز ان يكون اصصاد
 معنى يقع عليه القسم لاندرى نحن ما هو كأنه يقول الحق والله قال أبو الحسن الواحدى وهذا
 الذى قاله الاخفش صحيح المعنى على قول من يقول ص الصادق الله أو صدق محمد وذكر
 الفراء هذا الوجه أيضا فقال ص جواب القسم وقال هو كقولك وجب والله وترك والله
 فهى جواب لقوله والقرآن وذكر الحامس وغيره وجها آخر فى الجواب وهو انه محذوف
 تقديره والقرآن ذى الذكرا فالامر كما يقوله هؤلاء الكفار ودل على المحذوف قوله تعالى
 بل الذين كفروا وهذا اختيار بن جرير وهو يخرج من قول قتادة وشرحه الجرجاني فى
 بل رافع خبر قبله ومثبت خبر بعده وقد ظهر ما بعده وظهر ما قبله وما بعده دليل على ما قبله
 فظاهر يدل على الباطر فاذا كان كذلك وجب أن يكون قوله بل الذين كفروا فى عزة وشفاق
 مخالف لهذا الضمير فكأنه قيل والقرآن ذى الذكرا ان الذين كفروا بزعمنا أنهم على الحق أو
 كل ما فى هذا المعنى فهذه ستة أوجه سوى ما بدت بناه فى جواب القسم والله أعلم ونظير هذا قوله
 تعالى ق والقرآن المجيد بل صجوا وقيل جواب القسم قد علمنا وقال الفراء محذوف دل عليه
 قوله اذ امتنا اى اتبعنا وقيل هو بل صجوا كما تقدم به

فصل في ومن ذلك قوله لا أقسم يوم القيمة ولا قسم بالنفس اللوامة فقد تضمن هذا الاقسام
 ثبوت الجزاء ومستحق الجزاء وذلك يتضمن اثبات الرسالة والقرآن والاعاد وهو سبحانه يقسم
 على هذه الامور الثلاثة ويقررها ابان لتقرير الحاجة النفوس الى معرفتها والايان بها
 وامر رسوله ان يقسم عليها كما قال تعالى ويستبئنونك احق هو قل اى وربى انه الحق وقال تعالى
 وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لنا نيتكم وقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن
 يبعثوا قلى وربى لتبعثن ثم لتنبئن بما علمنم وذلك على الله يسير فهذه ثلاثة مواضع لاربع لها
 بأمر نبيه ان يقسم على ما قسم عليه هو سبحانه من النبوة والقرآن والمعاد فاقسم سبحانه
 لعباده وامر اصدق خلفه ان يقسم لهم واقام اليراهيم القطعية على ثبوت ما قسم عليه فابى
 الظالمون الاجمودا وتكذيبا واختلف فى النفس المقسم بها ههنا هل هى خاصة أو عامة
 على قولين بناء على الاقوال الثلاثة فى اللوامة فقال ابن عباس كل نفس تلوم نفسها يوم القيمة
 يلوم المحسن نفسه ان لا يكون ازداد احسانا ويلوم المسى نفسه ان لا يكون رجع عن اسائه
 واختاره الفراء قال ايس من نفس رة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا
 قالت هلا زددت خيرا وان كانت عملت سوء قالت يا ليتنى لم أفعل والقول الثانى انها
 خاصة قال الحسن هى النفس المؤمنة وان المؤمن والله لا تراه الا يلوم نفسه على كل حال لانه
 يستقصرها على كل ما فعل فيندم ويلوم نفسه وبن الفاجر يمضى قدما لا ياتب نفسه والقول
 الثالث انها النفس الكافرة وحدها قاله قتادة ومقاتل وهى النفس الكافرة تلوم نفسها
 فى الآخرة على ما فرطت فى امر الله قال شيخنا والظاهر ان المراد تقيس الانسان مطلقا فان نفس
 كل انسان لوامة كما قسم بحسن النفس فى قوله ونفس وما سواها فاللهما فجورها وتقواها
 فانه لا بد لكل انسان ان يلوم نفسه أو غيره على امر ثم هذا الهم قد يكون مجمدا وقد يكون
 مذموما كما قال تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين قال تعالى

بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهذا اليوم غير محمود وفي الصحيحين في قصة احتجاج آدم وموسى اتلوه مني على امر قدرة الله على قبل ان اخلق فخرج آدم موسى فهو سبحانه يسمى على صفة النفس الوايمة كقوله ان الانسان لربه لكنود وعلى جزائها كقوله فورك لتستلنهم اجمعين وعلى تسابن عملها كقوله ان سيكم اشقي وكل نفس لوامة فالنفس السعيدة تلوم على فعل الشر وتترك الخير فتبادر الى التوبة والنفس الشقية بالضد من ذلك وجع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب وهو النفس الوايمة وتبها سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها وفاقته وضرورتها الى من يعرفها الخير والشر ويبدلها عليه ويرشدها اليه ويلهمها اياه فيجعلها امريدة للخير مرشده له كارهة للشر مجانبة له لتخلص من اللوم ومن شر ما تلوم عليه ولائها متلومة مترددة لانبت على حال واحدة فهي محتاجة الى من يعرفها ما هو ارفع لها في معاشها ومعادها فؤثره وتلوم نفسها عليه اذا فاتها فتوب منه ان كانت سعيدة وتقوم عليها حجة عدله فيكون لومها في القيامة لنفسها عليه لوما بحق قد اعذر الله خالقها وفاطرها اليها فيه في صفة اللوم تنبيه على ضرورتها الى التصديق بالرسالة والقرآن وانه الاغنى لها عن ذلك ولاصلاح ولاصلاح بدونه آتية ولما كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتيب اثره عليه قرن بينهما في الذكر

فصل في ذلك قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها الى قوله فاطمها فجورها وتقوا قال الزجاج وغيره جواب القسم قد افلح من زكاه ولما طال الكلام حسن حذف اللام من الجواب وقد تضمن هذا القسم الاقسام بالخلق والمخلوق فاقسم بالسماء وبانها والارض وطايبها والنفس ومسويها وقد قيل ان ما مصدرية فيكون الاقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد اقسام بالمصنوع الدال عليه وبصنعه الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار امرا يشهد الناس حدوثه شيئا مشيئا ويعلمون ان الحوادث لا بدله من محدث كان العلم بذلك منزلا منزلة ذكر المحدث له لفظا فلم يذكر الفاعل في الاقسام الاربعة ولهذا سلك طائفة من النظار الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد نبه عليه القرآن في غير موضع كقوله ان في خلق السموات والارض لايات لاولى الاسباب ولما كانت السماء والارض ثابتين حتى ظن من ظن انهما قد يتساوىان ذكر مع الاقسام بهما بانبيهما ومبدعهما وكذلك النفس فان حدوثها غير مشهور حتى ظن بعضهم قد هما من ذكر مع الاقسام بهما مسويها وفاطرها هنا مع ما في ذكر بناء السماء وطسوا الارض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعناية بالخلق فان بناء السماء يدل انها كاقبة العالمة على الارض وجعلها سقفا لهذا العالم والطحو هو مد الارض وبسطها وتسويةها ليستقر عليها الا نام والحيوان ويمكن فيها البناء والقراس والزرع وهو متضمن لنضوب الماء عنها وهو مما حير عقول الطبائعيين حيث كان مقتضى الطبيعة ان يغمرها كثرة الماء فبروز جانب منها على الماء على خلاف مقتضى الطبيعة وكونه هذا الجانب المعين دون غيره مع استواء الجوانب في الشكل الكروي يقتضى تخصيصا فلم يجدوا بدا بان يقولوا عن اية الصانع اقتضت ذلك فلنا انهم اذا ولكن عن اية من لا مشيئة له

ولا ارادة ولا اختيار ولا علم به من أصلا كما تقولونه فيه محال منايته فنقضى ثبوت صفات
 كاله ونعمت جلاله وأنه الفاعل بفعل باختياره ما يريد ، كذلك النفس اقسام بها وبين سواها
 وألهمها فبورها وتقواها فان من الناس من يقول قديمة لا مبدع لها ومنهم من يقول بل هي
 التي تبتدع فبورها وتقواها فذكر سبحانه أنه هو الذي سواها وابتدعها وأنه هو الذي
 ألهمها العبور والتقوى فاعلمنا أنه خالق نفوسنا واولادها وذكرا فظننا انفسنا كما ذكره في
 قوله ما عرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وفي قوله فاذا سويتك ونفخت فيه
 من روحي ابدا نا بدخول البدن في لفظ النفس كقوله وهو الذي خلقكم من نفس واحدة
 وقوله فسلوا على أنفسكم ولا تقولوا أنفسكم ولو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
 بأنفسهم خيرا ونظائرهما وباجتماع الروح مع البدن تصير النفس فاجرة أو تقية والأفلاوح
 بدون البدن لا فبور لها وقوله قد أفلح من زكاه الضمير مرفوع في زكاهها ما دعى من وكذلك
 هو في دساها والمعنى قد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دساها هذا هو القول الصحيح وهو نظير
 قوله قد أفلح من تزكى وهو سبحانه اذا ذكر الفلاح خلقه بفعل المخل كقوله قد أفلح المؤمنون
 الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآيات وقوله الذين يؤمنون بالغيب وبقبحون الصلاة
 وبما رزقناهم ينفقون الى قوله أولئك هم المفلحون وقوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
 الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون ونظائرهم قال
 الحسن قد أفلح من زكى نفسه وجعلها على طاعة الله وقد خاب من أهلكها وجعلها على معصية
 الله وقاله قتادة وقال ابن قتيبة يريد أفلح من زكى نفسه أى غناها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة
 واصطناع المعروف وقد خاب من دساها أى نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي
 والفسا جرب اخفى المكان من المروءة فافض الشخص ناكس الرأس فكأن النصف باره كتاب
 الفواشح دس نفسه وقهه ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجوار البرية
 تنزل الربى وبفاح الارض لشهراً نفسها للمعتبين وتوقد النيران في الليل للطارقين وكانت اللثام
 تنزل الاولاج والاطراف والاهضام تخفى اما كنهها على الطالبين وأولئك أهلوا أنفسهم
 وزكوا وأولئك أخفوا أنفسهم ودسوها وأنسد

وبوت بينك في معـلم * رحيب المباحات والمرح

كفيت العفة طلاب القرا * ونج الكلاب المستنج

وقال أبو العباس سألت ابن الأعرابي عن قوله وقد خاب من دساها فقال دس معناه دس نفسه
 مع الصالحين وليس منهم وعلى هذا فالعنى اخفى نفسه في الصالحين يرى الناس أنه منهم وهو
 منطو على غير ما ينطوى عليه الصالحون وقال طائفة أخرى الضمير يرجع الى الله سبحانه
 قال ابن عباس في رواية عطاء قد أفلحت نفس زكاه الله واصلمها وهذا قول مجاهد وعكرمة
 والكلبى وسعيد بن جبير ومقاتل قالوا عمدت نفس وأفلحت نفس أصلها الله وطهرها
 ووقفها لطاعة حتى عمدت بها وخابت وخسرت نفس اصلها الله واغواها وابطلها
 وأهلكها قال أرباب هذا القول قد اضم الله به هذه الاشياء التي ذكرها لانها تدل على وحدانيته
 وعلى فلاح من طهره وخساره من خذله حتى لا يظن أحداً أنه هو الذي يتول تطهير نفسه

واهلا كها بالمعصية من غير قدر سابق وقضاء متقدم قالوا وهذا أبلغ في التوحيد الذي سبقت
لهذه السورة قالوا ويدل عليه قوله فآلهمها فجورها وتقواها قالوا ويشهد له حديث نافع
عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت انتبهت نفسي ليلة فوجدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها
ومولاها قالوا فهذا الدماء هو تأويل الآية بدليل الحديث الآخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ فدا فليح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها
أنت خير من زكاها قالوا وفي هذا ما يبين ان الامر كله سبحانه فانه هو خالق النفس وملهمها
النجور والتقوى وهو من كرها ومدسيها فليس للعبد في الامر شيء ولا هو مالك من امر
نفسه شيئا قال ارباب القول الاول هذا القول وان كان جائزا في العربية حاملا للضمير المنصوب
على معنى من وان كان لفظها مذكرا كما في قوله ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير وان كان
لفظ من مفردا جلا على نظمها فهذا انما يحسن حيث لا يقع البس في مفسر الضمائر وههنا قد تقدم
لفظ من والضمير المرفوع في زكها يستحقه لفظا ومعنى فهو أولى به ثم يعود الضمير
المنصوب على النفس التي هي أولى به لفظا ومعنى فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق
الكلام ووضعها واما عود الضمير الذي يلي من على الموصول السابق وهو قوله وما سواها واو اخلى
جاءه الملاصق له وهو من ثم عود الضمير المنصوب وهو مؤنث على من ولفظه مذكرا دون
النفس المؤنثة فهذا يجوز لو لم يكن للكلام محل غيره أحسن منه فاما اذا كان سياق الكلام
ونظمه يقتضى خلافه ولم تدع الضرورة اليه فالجمل عليه ممنوع قالوا والقول الذي ذكرناه أرجح
من جهة المعنى لوجوه أحدها ان فيه اشارة الى ما تقدم من تعليق الفلاح على فعل العبد
واختباره كما هي طريقة القرآن الثاني أن فيه زيادة فائدة وهي اثبات فعل العبد وكسبه وما يشاب
وهو انما يوجب عليه في قوله فآلهمها فجورها وتقواها اثبات القضاء والقدر السابق فنضمنت
الآيتان هذين الاصلين العظيمين وهما كثير اما بقتران في القرآن كقوله ان هذه نذكرة
فن شاء ذكرو وما يذكرون الان يشاء الله وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله
رب العالمين فنضمنت الآيتان الرد على القدرية والجبرية الثالث ان قولنا يستلزم قوله
دون العكس فان العبد اذا زكى نفسه وداها فآلها بزكها بعد تزكية الله لها بتوفيقه
وامانته وانما يدسيها بعد تدسية الله لها بمخلدائه والتخليد بينه وبين نفسه بخلاف ما اذا كان
المعنى على القدر السابق المحض لم يبق له كسب وفعل العبد ههنا ذكر البتة

فصل في ذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الامم المكذبة فقال سبحانه هذا والله
أهل من باب التنبيه بالآتي على الاعلى فانه لم يكن في الامم المكذبة أخف ذنبا وعذابا منهم
اذ لم يذكروهم من الذنوب ما ذكروهم من عاد ومدن وقوم لوط وغيرهم ولهذا لما ذكروهم وطادا
قال فاما عاد فآلهمها فجورها وتقواها وقالوا من أشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجدون واما ثمود فدفع دينهم فاستحبوا العمى على الهدى وكذلك
اذ ذكروهم مع الامم المكذبة لم يذكروهم ما ذكروهم من اولئك من النجور والتكبر والاشغال
السنية كالأوط وبخس الكيال والميران والفساد في الارض كما في سورة هود والشعراء

او غيرهما فكان في قوم لوط مع الشرك اتیان الفاحشة التي لم يسبقوا اليها وفي قوم عاد مع الشرك الجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش وقولهم من أشدنا قوة وفي أصحاب مدين مع الشرك الظلم في الأموال وفي قوم فرعون مع الشرك الفساد في الأرض والعلو وكان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجسراً ثمهم فعذب قوم عاد الريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء وعذب قوم لوط بأنواع العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالجحارة من السماء وطمس الأبصار وقلب ديارهم عليهم بأن جعل عليهم سافلها وسافلها بهم الى اسفل سافلهم وعذب قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم واحترقت تلك الأموال التي اكتسبوها بالظلم والعدوان وأما ثود فاعلموا كوا بالصحة فاتفقوا في الحال فاذا كان عذاب هؤلاء وذنوبهم مع الشرك عقراً الناقصة التي جعلها الله آية لهم فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماهم كان أشد عذاباً ومن اعتبر أحوال العالم قديماً وحديثاً وما يعاقب به من سعى في الأرض الفساد وسفك الدماء بغير حق واقام الفتن واستهان بحرمات الله علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون قلت وقد يظهر في تخصيص ثود ههنا بالذكر دون غيرهم معنى آخر وهو أنهم ردوا الهدى بعدما يتقوه وكانوا مستبصرين به وقد نلت له صدورهم واستيقظت له أنفسهم فاختاروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في وصفهم وأما ثود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال وآتينا ثود الساقفة مبصرة أي موجبة لهم التبصرة واليقين وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم فإن الله لم يهلك أمة إلا بعد قياس الجحمة عليها لكن خصت ثود من ذلك الهدى والبصيرة بجزء ولهذا لما قرئهم بقوم عاد قال فاما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد مناقرة ثم قال فاما ثود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ولهذا أمكن عاد الكفارة وإن يقولوا لتبهم ما جئتنا بينة قولهم يمكن ذلك ثم ود وقدر أو البينة عياناً وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر فردوا الهدى بعد يقينهم والبصيرة التامة فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه وهذا داء أكثر الهالكين وهو أعم الأدوية واغلبها على أهل الأرض والله أعلم

فصل في قوله تعالى والتجر وليال عشر والشفق والوزر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر قبل جوابه إن ربك لبالمرصاد وهذا ضعيف لوجهين أحدهما طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه يحمل كثيرة والثاني قوله إن ربك لبالمرصاد ذكر تقرير عقوبة الله للأمم المذكورة وهي عاد وثود وفرعون فذكر عقوبتهم ثم قال مقررًا وحذراً إن ربك لبالمرصاد فلا ترى تعلقه بذلك دون القسم واحسن من هذا أن يقال إن العجر في الليالي العشر زمن يتضمن أملاً معظمة من المناسك وأمكنة معظمة وهي محلها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه فإن الحج والنسك عبودية محضة لله وذلو وخضوع لعظمته وذلك ضد ما وصف به عاد وثود وفرعون من العنوت والتكبر والجبر فإن النسك يتضمن غاية الخضوع لله وهؤلاء الأمم صعدوا وتكبروا عن أمر ربهم وفي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من

هذه الايام العشر قبل بارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الارجل
 نخرج بنفسه وماله لم يرجع من ذلك بشئ فازمان المتضمن لمثل هذه الاعمال أهل ان يقسم
 الرب عز وجل به والفجر ان اريد به جنس الفجر كما هو ظاهرا للفظ فانه يتضمن وقت صلاة الصبح
 التي هي أول الصلوات فافتتح القسم بما يتضمن أول الصلوات وختمه بقوله والليل اذا يسر
 المتضمن لآخر الصلوات وان اريد بالفجر فجر مخصوص فهو فجر يوم النحر وليلته التي
 هي ليلة عرفة فتلك الليلة من أفضل ليالي العام وما روى الشيطان في ليلة ادرح ولا احتر
 ولا اغيظ منه فيها وذلك فجر فجر يوم النحر الذي هو أفضل الايام عند الله كما ثبت عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الايام عند الله يوم النحر رواه أبو داود باسناد صحيح وهو
 آخر ايام العشر وهو يوم الحج الاكبر كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وهو اليوم الذي اذن
 فيه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرى من المشركين ورسوله وان لا ينجح بعد
 العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا خلاف ان المؤذن اذن بذلك في يوم النحر لا يوم
 عرفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم امتشالا وتأويلا للقرآن وعلى هذا فقد
 تضمن القسم المناسك والصلوات وهما المختصان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لعظمته
 ولهذا قال الخليل ان صلاتي ونسبي ومحبي ومماتي لله رب العالمين وقبل خاتم الرسل فصل ربك
 والنحر بخلاف حال المشركين المتكبرين الذين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به ويستكبرون
 عن عبادته كحال من ذكر في هذه السورة من قوم عاد وثمود وفرعون وذكروا سبحانه من
 جملة هذه الاقسام الشفع والوتر اذهبه الشعائر العظيمة منها شفع ومنها وتر في الامكنة
 والازمنة والاعمال فالصفا والمروة شفع والبيت وتر والجرات وتر ومن دلفة شفع
 وعرفة وتر وأما الاعمال فالطواف وتر وركعتاه شفع والطواف بين الصفا والمروة وتر
 ورمي الجمار وتر كل ذلك سبع سبع وهو الاصل فان الله وتر بحب الوتر والصلوة منها شفع
 ومنها وتر والوتر وتر الشفع فتكون كلها وتر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل
 مثني مثني فاذا خشيت الصبح فاوتر بواحدة توترت كما قد صليت وأما الزمان فان يوم
 عرفة وتر ويوم النحر شفع وهذا قول أكثر المفسرين وروى مجاهد عن ابن عباس الوتر آدم
 وشفع بزوجه حواء وقال في رواية أخرى الشفع آدم وحواء والوتر الله وحده وعنه رواية
 الثالثة الشفع يوم النحر والوتر اليوم الثالث وقال عمران بن حصين وقتادة الشفع والوتر
 هي الصلاة وروى فيه حديثا مر فوما وقال عطية العوفي الشفع الخلق قال الله تعالى
 وخلقناكم أزواجا والوتر هو الله وهذا قول الحكم قال كل شئ شفع والله وتر وقال ابو
 صالح خلق الله من كل شئ زوجين اثنين والله وتر واحد وهذا قول مجاهد ومسروق
 وقال الحسن الشفع والوتر العدد كله من شفع وتر وقال ابن زيد الشفع والوتر الخلق
 كله من شفع وتر قال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي ليلية بعده وهو يوم
 القيامة وذكرت أقوال أخر هذه أصولها ومدارها كلها على قولين أحدهما أن الشفع
 والوتر نوعان للمخلوقات والمأمورات والناسي أن الوتر الخالق والشفع المخلوق وعلى هذا
 القول فيكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق فهو نظير ما تقدم في قوله والشمس

يكابد امر الدنيا والآخرة فلا تلقاه الا في مشقة وروى ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال يعني حله وولادته ورضاعه وفصاله ونبت اسنانه وحياته ومعاشه ومماته كل ذلك شدة قال مجاهد جلته امه كرها ووضعته كرها وميشته في شدة فهو يكابد ذلك وعلى هذا الكبد من مكابدة الامروهي معاناة شدة وشقته والرجل يكابد الليل اذا قاسى هوله وصعوبته والكبد شدة الامرو منه تكبد اللين اذا غلظ واشتد ومنه الكبد لانها دم يغلظ ويشد واتصاب القامة والاسنوى من ذلك لانه انما يكون عن قوة وشدة فان الانسان مخلوق في شدة بكونه في الرحم ثم في القباط والرباط ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف ومكابدة المعيشة والامرو انتهى ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ وموقف القيامة ثم مكابدة العذاب في النار ولا راحة الا في الجنة وفسر الكبد بشدة الخلق واحكامه وقوته ومنه قول لبيد

عين هلا بكيت أريد * اذ تقناو تام الخصوم في كبد

اي في شدة وعناوهذا يشبه قوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس اي خلقهم وقال ابو عبيدة الاسر شدة الخلق يقال فرس شديد الاسر قال وكل شيء شدة من قنب او غيره فهو مأسور وقال المبرد الاسر القوي كلها وقال الليث الاسر قوة المفاصل والاوصال وشدة الله أسر فلان اي قوي خلقه وكل شيء جمع طرفاهما فشد احداهما بالآخر فقد اسروا وقال الحسن شددنا اوصلناهم بعضهم الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد هو الشرج يعني موضع البول والغائط اذا خرج الاذي تقبضا والمقصود انه سبحانه اقسم في سورة البلد على حال الانسان واقسم سبحانه بالبلد الامين وهو مكة ام القرى ثم اقسم بالوالد والمولد وهو آدم وذريته في قول جمهور المفسرين وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى آدم وقوله وانت حل بهذا البلد فيه قولان احدهما انه من الاحلال وهو ضد الاحرام والثاني انه من الحلول وهو ضد الظعن فان اريد به المعنى الاول فهو - وحال ساكن البلد بخلاف المحرم الذي ينجح ويعتمر ويرجع ولان امنه انما يظهر به النعمة عند الحل من الاحرام والا ففي حال الاحرام هو في امان والحرمه هناك للفعل لا للمكان والمقصود هو ذكر حرمه المكان وهي انما تظهر بحال الحل الذي لم يتلبس بما يقتضى امنه وان كان على هذا فيه نبيه فانه اذا اقسم به وفيه الحل فاذا كان فيه الحرام فهو - وأولى بالتعظيم والامن وكذلك اذا اريد المعنى الثاني وهو الحلول فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمنه بامر آخر وهو اقسام بيده المشتمل على رسوله وعبده فهو خير البقاع وقد اشتمل على خير العباد فجعل بيته هدى للناس ونبيه اماما وها ديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه كما هو اعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته فمن اعتبر حال بيته وحال نبيه وجد ذلك من أظهر أدلة التوحيد والربوبية وفي الآية قول ثالث وهو ان المعنى وانت مستحل تلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يأمن فيه الطير والوحش والجانى وقد استحل قومك فيه حرمتك وهم لا يهضدون به شجرة ولا ينفرون به صيدا وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد وعلى كل حال فهي جملة اعتراض في أثناء القسم موقعها من احسن موقع والطفه فهذا القسم متضمن لتعظيم بيته ورسوله ثم انكر سبحانه على الانسان ظنه وحسبائه ان لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة والقوة

التي يكابدها الامور فان الذي خلقه كذلك أولى بالقدرة منه وأحق فكيف يدركه من لم يكن قادرا في نفسه فهذا برهان مستقل بنفسه مع انه متضمن للجزء الذي مناطه القدرة والعلم فنبه على ذلك بقوله أحسب أن لن يقدر عليه احد وبقوله له أحسب أن لم يره احد فيحصى عليه ما عمل من خير وشر ولا يقدر عليه فيمماز به بما يستحقه ثم انكر سبحانه على الانسان قوله أهلكت ما لا يلدأ وهو الكثير الذي يلدب بعضه فوق بعض فانخر هذا الانسان باهلا كه وانفاقه في غير وجهه اذ لو انفقته في وجوهه التي أمر بانفاقه فيها ومنعه مـ واضعه لم يكن ذلك اهلا كاله بل تقربا به الى الله وتوصلا به الى رضاه وثوابه وذلك ليس باهلا لكه فانكر سبحانه اقتخاره وتبعده بانفاق المال في شهوته واغراضه التي انفاقه فيها اهلا لكه ثم ووجه سبحانه بقوله أحسب أن لم يره احد وأنى ههنا بلم الدالة على الماضي في مقابلة قوله أهلكت ما لا يلدأ فان ذلك في الماضي أحسب أن لم يره احد فيما انفقته وفيما أهلكه ثم ذكر برهانها مقدرا انه سبحانه أحق بالرزق وأولى من هذا العبد الذي له عيان يبصر بهما فكيف يعطيه البصر من لم يره وكيف يعطيه آلة البيان من الشفتين واللسان فينطق وبين عمى نفسه وبأمر وينهى من لا يتكلم ولا يكلم ولا يخاطب ولا يأمر ولا ينهى وهل كمال الخلق مستفاد الا من كمال خلقه ومن جعل غيره عالما بنجدي الطير والشر وهما طريقاهما أولى وأحق بالعلم منه ومن هداه الى هذين الطريقين وكيف يليق به ان يتركه سدى لا يعرفه ما بصره وما ينفعه في معاشه ومعاده وهل النبوة والرسالة الا لتكميل هداية التجدين فدل هذا كله على اثبات الخالق وصفات كاله وصدق رسله ووعده ووعيده وهذه اصول الايمان التي انفتحت عليها جميع الرسل من اولهم الى آخرهم اذا تأمل الانسان حاله وخلقته وجده من اعظم الأدلة على صحتها وثبوتها فتكفي الانسان فكرته في نفسه وخلقته والرسول بعثوا منذ كرسن بما في الفطر والعقول مكملين له لتقوم على العبد بحمد الله بفطرته ورسالاته ومع هذا فقامت عليه حجة ولم يقم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يوصل اليها حتى يتقهما بالاخص الى خلقه بفك الرقبة وهـ وتخليصها من الرق ليخلصه الله من رق نفسه ورق عدوه والطعام اليقيم والمسكين في يوم المجاعة والاخص له سبحانه بالايمان الذي هو خالص حقه عليه وهو تصديق خبره وطاعة امره وابتغاء وجهه وبصحة غيره ان يوصيه بالبر والرحمة وقبل وصية من اوصاه بهافيكون صابرا راحيا في نفسه معينا غيره على الصبر والرحمة فلم يقم هذه العقبة وهلاك دونها ذلك منقطع عن ربه غير واصل اليه بل محجوب عنه والناس قسمان ناج وهم من قطع العقبة وصار وراها وهالك وهو من دون العقبة وهم اكثر الخلق ولا يقم هذه العقبة الا المضمرون فانها عقبة كؤود شاقة لا يقطعها الا خفيف الظهر وهم اصحاب المينة والهالك دون العقبة الذين لم يصدقوا الخبر ولم يطيعوا الامر فهم اصحاب المشامة عليهم نار مؤصلة قد اطبقت عليهم فلا يستطيعون الخروج منها كما طبقت عليهم اعمال النغي والاعتقادات الباطلة المنافية لما اخبرت به رسله فلم تخرج قلوبهم منها كذلك اطبقت عليهم هذه النار فلم تستطع اجسامهم الخروج فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والايمان وبالله التوفيق وايضا فان طريقة القرآن بذكر العلم والقدرة تهديدا وتخويفا

لترتب الجزاء عليهما كما قال تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا وقوله تعالى أرايت
 الذي ينهى عبدا إذا صلى إلى قوله ألم يعلم بأن الله يرى وقوله تعالى وقل اعلموا نسيروا الله
 عملكم ورسوله والمؤمنون وقال ام يحسبون اننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم
 يكتبون وهذا تثير جد في القرآن وليس المراد به مجرد الاخبار بالقدرة والعلم لكن الاخبار
 مع ذلك بما يترتب عليهما من الجزاء بالعدل فانه اذا كان قادرا امكن مجازاته واذا كان طالما امكن
 ذلك بالقسط والعدل ومن لم يكن قادرا لم يمكن مجازاته واذا كان قادرا لكن به غير طام بتفاصيل
 الاعمال ومقادير جزاء هالم يحاز بالعدل والرب تعالى موصوف بكمال القدرة وكال
 العلم فالجزاء منه موقوف على مجرد مشيئته و ارادته فحيثما يجب على العاقل ان يطلب النجاة
 منه بالاخلاص والاحسان فهو اقتحام العقبة المتضمن للتوبة الى الله تعالى والاحسان الى خلقه
 وقال فلا اتقنم العقبة وهو فعل ماض ولم يكرر معه لا اما استعمالا لاداة لا كما استعمال ما واما
 اجراء لهذا الفعل مجرى الدعاء نحو فلا سم ولم ولا ماش ونحو ذلك واما لان العقبة قد فسرت
 بمجموع امور فاقحامها فعل كل واحد منها فأغنى ذلك عن تكريرها فكأنه قال ولا لك رقبة
 ولا أطم ولا كان من الذين آمنوا وقراءة من قرأ فك رقبة بالفعل كأنها أرجح من قراءة من
 قرأها بالمصدر لان قوله وما أدراك ما العقبة على حد قوله وما أدراك ما الحاقة وما أدراك
 ما يوم الدين وما أدراك ما هي نار حامية ونظائر تعطيا لشأن العقبة وتخصيها لامرها وهي
 جملة اعتراض بين المفسر والمفسر فان قوله فك رقبة أو اطعام الى قوله ثم كان من الذين آمنوا
 تفسير لاقتحام العقبة وليس هو تفسير النفس العقبة فان العقبة مكان شاق كؤد يقتحمه الناس
 حتى يصلوا الى الجنة واقحامه بفعل هذه الامور فمن فعلها فقد اقتحم العقبة وتبدل على ذلك قوله
 تعالى ثم كان من الذين آمنوا وهذا عطف على قوله فك رقبة والاحسن تناسب هذه الجملة المعطوفة
 التي هي تفسير لما ذكر أولا وايضا فان من قرأها بالمصدر المضاف للابن من تقدير وهو ما أدراك
 ما اقتحام العقبة واقحامها فك رقبة وايضا فن قرأها بالفعل فقد تطابق بين المفسر وما فسره
 ومن قرأها بالمصدر فقد تطابق بين المفسر وبعض ما فسره فان التفسير ان كان لقوله اقتحم
 طابقه بقوله ثم كان من الذين آمنوا وما بعده دون فك رقبة وما يليه وان كان لقوله العقبة طابقه
 فك رقبة واطعام دون قوله ثم كان من الذين آمنوا وما بعده وان كانت المطابقة حاصلة معنى
 فحصولها لفظا ومعنى أتم واحسن واختلف في هذه العقبة هل هي في الدنيا أو في الآخرة
 فقالت طائفة العقبة ههنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر وحكوا
 ذلك عن الحسن ومقاتل قال الحسن عقبة والله شديدة لمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
 والشيطان وقال مقاتل ههنا مثل ضربه الله يريد ان المعنى رقبة والمطم النبيم والمسكين يقاح
 نفسه وشيطانه مثل أن يتكلف صعدا العقبة فشبه المعنى رقبة في شدته عليه بالكف صعود
 العقبة وهذا قول أبي عبيدة وقالت طائفة بل هي عقبة حقيقة تصعد بها الناس قال عطاء هي
 عقبة جهنم وقال الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وهذا قول مقاتل انها عقبة جهنم وقال مجاهد
 والضصاك هي الصراط يضرب على جهنم وهذا لعله قول الكلبي وقول هؤلاء أصح نظرا
 وأروافة قاله قتادة فانه عقبة شديدة فاقحموها بطاعة الله وفي اثر معروف ان بين ايديكم

عقبة كؤودا لا يتضحها الا الحنفون أو نحو هذا وان الله سمي الايمان به وفضل ما أمر وترك مانه
عقبة فكثيرا ما يقع في كلام السلف الوصية بالتضمن لاقحام العقبة وقال بعض الصحابة
وقد حضره الموت فجعل يبكي ويقول مالي لا أبكي وبين يدي عقبة كؤود أهبط منها ما الى
جنة واما الى نار فهذا القول أقرب الى الحقيقة والآثار السلفية والمسألوف من مادة القرآن
في استعماله وما أدراك في الامور الغائبة العظيمة كما تقدم والله أعلم

فصل في اقسامه ومن ذلك اقسامه بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين فأقسم
بجسائه بهذه الامكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر انبيائه ورسله أصحاب الشرائع
العظام والاسم الكريمة فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتتهما
وهو ارض بيته المقدس فانها أكثر البقاع زيتونا وتينا وقد قال جاحد من المفسرين انه
بجسائه اقسم بهذين النوعين من الثمار لما كان العزة فيهما فان التين فاكهة مخلصنة من شوائب
التنقيص لا عجم له وهو على مقدار القيمة وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل في الادوية
ومن اجد من اعدل الا من جع وطبعه طبع الحياة الحرارة والرطوبة وشكله من احسن الاشكال
ويدخل آكله والنظر اليه في باب المفرحات وله اذنة يتنازع بها من حائر الفواكه ويزيد في القوة
ويوافق الباء وينفع من البواسير والقرس ويؤكل رطبيا وبابسا واما الزيتون ففيه
من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر فان حوده يخرج ثمرا يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور
وصبغ الاكليم وطيب ودواء وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى وشجره باقى على عمر السنين
المتطاولة وورقه لا يسقط وهذا الذي قالوه حق ولا ينافي أن يكون منبتة مرادا فان منبت
هاتين الشجرتين حقيقى بأن يكون من جلة البقاع الفاضلة النسيبة فيكون الاقسام قد
تناول الشجرتين ومنبتتهما وهو مظهر عبدالله ورسوله وكنيته وروحه عيسى ابن مريم كما ان
طور سينين مظهر عبده ورسوله وكنيته موسى فان الجبل الذي كلف عليه وناجاه وأرسله الى
فرعون وقومه ثم اقسم بالبلد الامين وهو مكة مظهر خاتم انبيائه ورسله سيد ولد آدم وترقى
في هذا القسم من الفاضل الى الافضل فبدأ بوضع مظهر المسيح ثم نبى بوضع مظهر الكليم
ثم ختمه بوضع مظهر عبده ورسوله واكرم الخلق عليه ونظير هذا بعبه في التوراة التي ازلها
الله على كليمه موسى جاء الله من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من فاران فنجيئه من
طور سيناء بعته لموسى بن عمران وبدأ به على حكم الترتيب الواقع ثم نبى بنبوة المسيح ثم ختمه
بنبوة محمد وجعل نبوة موسى بمنزلة مجيئ الصبح ونبوة المسيح بعبه بمنزلة طلوع الشمس
واشراقها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم بعدهما بمنزلة امتلاء وظهورها للعالم ولما
كان الغالب على بني اسرائيل حكم الحسن ذكر ذلك مطابقا للواقع ولما كان على الامة الكاملة
حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي واقسم بها على بداية الانسان ونهايته فقال لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم أى في احسن صورة وشكل واعتدال معتدل القامة مستوي الخلقة
كامل الصورة احسن من كل حيوان سواه والتقويم بصير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التأليف
والتعديل وذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضته من تراب وضعه بالمشاهدة في نقطة من ماء وذلك
من اعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلوه صفات كماله ولهذا يكرر ها كثيرا في

القرآن لما كان العبرة بها والامتدلال باقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد وتضمن
اقسام تلك الامكنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته وعنايته بخلقه بأن أرسل منها
رسلا أنزل عليهم كتبه يعرفون العباد بربههم وحقوقه عليهم وينذرونهم بالله وتعلمته
ويدعونهم الى كرامته وثوابه ثم لما كان الناس في اجابة هذه الدعوة فريقين منهم من اجاب
ومنهم من أبى ذكر حال الفريقين فذكر حال الاكثرين وهم الرد ودون الى اسفل سافلين
والصحيح انه النار قاله مجاهد والحسن وابو العالية قال على ابن ابي طالب رضى الله عنه
هى النار بعضها أسفل من بعض وقالت طائفة منهم قتادة وعكرمة وعطاء والكلبي
وابراهيم انه ارذل العمر وهو مروى عن ابن عباس والصواب القول الاول لوجوه احدها
ان ارذل العمر لا يسمى اسفلا سافلين لاقبلة ولا عرف وانما اسفل سافلين هو سجين الذى هو
مكان التعذيب كما ان عليين مكان الابرار الثاني أن المردودين الى اسفل العمر بالنسبة الى نوع
الانسان قليل جدا فكثرهم يموت ولا يرد الى ارذل العمر الثالث ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يستوونهم وغيرهم في ردم طال عمره منهم الى ارذل العمر فليس ذلك مختصا
بالكفار حتى يستثنى منهم المؤمنين الرابع ان الله سبحانه لما اراد ذلك لم يخصه بالكفار بل جعله
لجنس بنى آدم فقال ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا فجعلهم قسمين قسم يتوفى قبل الكبر وقسم مرودا الى ارذل العمر ولم يسمه أسفل
سافلين الخامس انه لا يحسن المقابلة بين ارذل العمر وبين اجزاء المؤمنين وهو سبحانه قابل
بين جزاء هؤلاء وجزاء اهل الايمان فجعل جزاء الكفار اسفل سافلين وجزاء المؤمنين
اجراخير ممنون السادس ان قول من فسره بارذل العمر يتلزم خلوا الآية عن جزاء الكفار
وما قبله امرهم وتفسيرها بامر محسوس فيكون فترك الاخبار عن المقصود الاهم واخبر
عن امر يعرف بالحس والمشاهدة وفي ذلك هضم لمعنى الآية وتقصير بها عن المعنى
اللائق بها السابع انه سبحانه ذكر حال الانسان في مبداء ومعاده فبدأ خلقه في احسن
تقويم ومعاده رده الى اسفل سافلين او الى اجر غير ممنون وهذا موافق لطريقة القرآن
وطأته في ذكر مبداء العبد ومعاده فلما ارذل العمر وهذا المعنى المطلوب المقصود اثباته
والاستدلال عليه الثامن ان ارباب القول الاول مضطرون الى مخالفة الحس واخراج
الكلام عن ظاهره والتكلف البعيد له فانهم ان قالوا ان الذى يرد الى ارذل العمر هم الكفار
دون المؤمنين كابروا بالحس وان قالوا ان من الذنوب من يرد الى ارذل العمر احتاجوا
الى التكلف لصحة الاستثناء فنهى من قدر ذلك بان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تبطل
اعمالهم اذ اردوا الى ارذل العمر بل تجرى عليهم اعمالهم التى كانوا يعملونها في الصحة فهذا
وان كان حقا فان الاستثناء انما وقع من رد الامن الاجر والعمل ولما علم ارباب هذا القول
ما فيه من التكلف خص بعضهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقراءة القرآن خاصة فقالوا
من قرأ القرآن لا يرد الى ارذل العمر وهذا ضعيف من وجهين احدهما ان الاستثناء عام
في المؤمنين قارئهم واميمهم انه لا دليل على ما ادعوه وهذا لا يعلم بالحس ولا خبر يجب التسليم
له يقتضيه والله اهل التامع انه سبحانه ذكر نعمته على الانسان بخلقه في احسن تقويم وهذه

النعمة توجب عليهم أن يشكروها بالايمان وعبادته وحده لا شريك له فينقله حينئذ من هذه الدار الى اعلى حلين فاذا لم يؤمن به وأشرك به وعصى رسله نقله منها الى اقل سافلين وبدله بعد هذه الصورة التي هي في احسن تقويم صورة من اقبح الصور في اسفل سافلين فذلك نعمته عليه وهذا عدله فيه وعقوبته على كفران نعمته العاشر ان نظير هذه الآية قوله تعالى فبشرهم بمذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فالبذاب الاليم هو اسفل سافلين والمستنون هنا هم المستنون هناك والاجر غير ممنون هناك هو المذكور هنا والله اعلم وقوله غير ممنون اى غير مقطوع ولا منقوص ولا مكدر عليهم وهذا هو الصواب وقالت طائفة غير ممنون به عليهم بل هو جزاء اعمالهم ويذكر هذا عن حكيمه ومقاتل وهو قول كثير من القدرية قال هؤلاء ان المنة تكدر النعمة فتمام النعمة ان يكون غير ممنون بها على المنم عليه وهذا القول خطأ قطعاً انى اربابه من تشبيه نعمة الله على عبده بانعام المخلوق على المخلوق وهذا من ابطال الباطل فان المنة التي تكدر النعمة هي منة المخلوق على المخلوق وامانة الخالق على المخلوق فهاتم النعمة والذنها وطيبها فانها منة حقيقة قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا وقل لا اتقوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هذا كم الايمان ان كنتم صادقين وقال تعالى ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم فتكون منة عليهما بنعمة الدنيا دون نعمة الآخرة وقال موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووفانا عذاب السموم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وقال وزيد ان غن على الذين استضعفوا في الارض الاية وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الانصار لم اجدكم ضالافهدا كم الله بي لم اجدكم حالة فأغناكم الله بنى جعلوا يقولون له الله ورسوله آمن فهذا جواب العارفين بالله ورسوله وهل المنة كل المنة الا الله المان بفضله الذي جمع الخلق في منته وانما تجت منة المخلوق لانها منة باليس منه وهى منة يتأذى بها الممنون عليه وامانة المان بفضله التي مطاب العيش الاجتهت وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهى منة عين بها على من أنعم عليه فذلك لا يجوز نفيها وكيف يجوز ان يقال انه لا منة لله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دخول الجنة وهل هذا الامن ابطال الباطل فان قيل هذا القدر لا يخفى على من قال هذا القول من العلماء وليس مرادهم ما ذكره وانما مرادهم انه لا يمن عليهم به وان كانت لله فيه المنة عليهم فانه لا يمن عليهم به بل يقال هذا جزاء اعمالكم التي عملتموها في الدنيا وهذا اجركم فانتم تستوفون اجور اعمالكم لا يمن بها عليكم بما أعطيناكم قيل وهذا ايضا هو الباطل بعينه فان ذلك الاجر ليست الاعمال مثاله ولا معاوضة عنه وقد قال اهل الخلق بالله لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولانت يا رسول الله قال ولانا الان يتعدى الله بركة منه وفضل فاخبر ان دخول الجنة بركة الله وفضله وذلك محض منته عليه وعلى سائر عبادته وكما انه سبحانه المان بارسال رسله وبالتوفيق لطاعته وبالامانة عليها فهو المان باعطاء الجزاء وذلك كله محض منته وفضله وجوده لاحق لاحد عليه بحيث اذا وقاه اياه لم يكن له عليه منة فان كان في الدنيا باطل فهذا منته فان قيل كيف تقولون هذا وقد أخبر رسول الله عنه بان حق العباد عليه اذا وحده ان لا يهديهم وقد أخبر عن نفسه ان حقا عليه

نصر المؤمنين قبل لعنهم والله وهذا من أعظم منته على عباده أن جعل ع-لى نفسه حقا بحكم وعده الصادق أن ينيهم ولا يعذبهم اذا عبدوه ووحدهم فهذا من مقام منته فانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولكن منته اقتضت أن أحق على نفسه ثواب طائفيه واجابة سائليه

ماللهاد عليه حق واجب ❀ كلا ولا يسعى ليديه ضائع

ان عذبوا فعدله أو نعموا ❀ فبفضله فهو الكريم الواسع

وقوله سبحانه فايكذب بعد بالدين أصح القولين انه هذا خطاب للانسال أى فايكذبك بالجزاء والمعاد بعد هذا البيان وهذا البرهان فتقول انك لا تبعت ولا تحاسب ولو تفكرت في مبداء خلقك وصورتك لعلمت ان الذى خلقك أقدر على أن يعيدك بعده -وتك وينشيك خلقا جديدا وان ذلك لو أعجزه لا أعجزه وأعياء خلقك الاول وأيضا فان الذى كل خلقك في أحسن تقويم بعد أن كنت نطفة من ماء مهين كيف يليق به أن يترك مدى لا يكمل ذلك بالامر والنهى وبيان ما ينفعك وبضرك ولا يتقلل اذارهى أكل من هذه ويجعل هذه الدار طر يقالك اليها فحكمة أحكم الحاكمين تأبى ذلك وتقتضى خلافة قال منصور قلت لمجاهد فايكذبك بعد بالدين عنى به محمدا فقال معاد الله انما عنى به الانسان وقال قتادة الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم واختاره الفراء وهذا موضع يحتاج الى شرح وبيان يقال كذب الرجل اذا قال الكذب وكذبتة أنا اذا نسبت به الى الكذب ولو اعتقدت صدقته وكذبتة اذا اعتقدت كذبه وان كان صادقا قال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال فانهم لا يكذبونك فالاول بمعنى وان ينسب -وك الى الكذب والثانى بمعنى لا يعتمدون لك كاذب ولكنهم يعاندون ويدفعون الحق بعدم معرفته جسم -ودا وعنادا هذا أصل هذه اللفظة ويتمدى الفعل الى الخبر بنفسه والى خبره بالباء أو بفتح فىقال كذبتة بكذا وكذبتة فيه والاول أكثر استعمالا ومنه قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقوله وكذبوا بآياتنا اذا صرف هذا فقوله فايكذبك اختلف فى ما هل هى بمعنى أى شئ يكذبك أو بمعنى من الذى يكذبك فمن جعلها بمعنى أى شئ تعين على قوله أن يكون الخطاب للانسان أى فإى شئ يملك بعد هذا البيان مكذبا بالدين وقد وضعت لك دلائل الصدق والتصديق ومن جعلها بمعنى من الذى يكذبك جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قال الفراء كانه يقول من يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له من خلق الانسان ما وصفناه وقال قتادة فن يكذبك أيها الرسول بعد هذا بالدين وعلى قول قتادة والفراء اشكال من وجهين احدهما اقامة ما تقام من أوامره سهل والثانى ان الجار والمحرور يستدعى متعلقا وهو لكذبك أى فن يكذبك بالدين فلا يخلو اما أن يكون المعنى فن يملك كاذبا بالدين أو مكذبا به ولا يصح واحد منهما أما الثانى والثالث فظاهر فان كذبتة ليس معناه جعلته مكذبا أو مكذبا وانما معناه نسبتة الى الكذب فالعنى على هذا فن يملك بعد كاذبا بالدين وهذا انما يتمدى اليه بالياء الفعل المضاعف للاثلاثى فلا يقال كذب بكذا وانما يقال كذب به وجواب هذا الاشكال ان قوله كذب بكذا معناه كذب الخبر به ثم حذف المفعول به لظهور الخبر به حتى كأنه نسي منسى وحدوا الفعل الى الخبر به فاذا قيل من يكذب بك بكذا فهو بمعنى كذبوك بكذا سواء أى نسوك الى الكذب فى الاخبار به بل الاشكال

في قول مجاهد والجمهور فان الخطاب اذا كان لانسان وهو المكذب اى فاعل التكذيب فكيف يقال له ما يكذبك اى يجعلك مكذبا والمعروف كذبه اذا جعله كاذبا لمكذبا ومثل فسقه اذا جعله فاسقا لا مفسقا غيره وجواب هذا الاشكال ان صدق وكذب با تشديد براديه معنيان احدهما النسبة وهى انما تكون للمفعول كما ذكرتم والثاني الداعي والحامل على ذلك وهو يكون لفاعل قال الكسائي يقال ما صدق بكذا او ما كذبك بكذا اى ما جعلك على التصديق والتكذيب قلت وهو نظير ما أجرك على هذا اى ما جعلك على الاجترار عليه وما قد مك وما اخرك اى مادراك وجعلك على التقديم والتأخير وهذا استعمال ساغف موافق للعربية وباللغة التوفيق ثم ختم السورة بقوله أليس الله بأحكم الحاكمين وهذا تقرير لمضمون السورة من اثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجمد ما جاء به بالجنة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا وبشره وأمره وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه وان احكم الحاكمين لا يلبق به تعطيل هذه الاحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الانسان في احسن تقويم ونقله في اطوار الخلق حاله بعد حال الى اكل الاحوال فكيف يلبق بأحكم الحاكمين ان لا يجازى الحسن باحسانه والمسيء باساءته وهل ذلك الا قدح في حكمه وحكمته فله ما اخصر لفظ هذه السورة واعظم شأنها واتم معناها والله اعلم

فصل في ومن ذلك قسمه سبحانه وتعالى بالليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكور والانثى وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعى الانسان في الدنيا وجزاءه في العقبى فهو سبحانه يقسم بالليل في جميع احواله اذ هو من آياته الدالة عليه فأقسم به وقت غشائه وانى بصيغة المضارع لانه بغشى شيئا بعد شيء واما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها واقسم به وقت سرهانه كما تقدم واقسم به وقت ادباره واقسم به اذا عسعس فقيل معناه ادبر فيكون مطابقا لقوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر وقيل معناه اقبل فيكون كقوله والليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى فيكون قد اقسام باقبال الليل والنهار وعلى الاول يكون القسم واقعا على انصرام الليل ومجيء النهار حقيقه وكلاهما من آيات ربوبيته ثم اقسام بخلق الذكور والانثى وذلك يتضمن الاقسام بالحيوان كله على اختلاف اصنافه ذكره وانثاه وقابل بين الذكر والانثى كما قابل بين الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبيته فان اخراج الليل والنهار بواسطة الاجرام العلوية كاخراج الذكور والانثى بواسطة الاجرام السفلية فأخرج من الارض ذكور الحيوان وانثاه على اختلاف انواعه كما اخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها واقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار والساعي وهو الذكور والانثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكور والانثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائهم وثوابه وانه سبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما لا يسوي بين الليل والنهار والذكور والانثى ثم اخبر عن تفرقه بين ما قبله سعى المحسن وما قبله سعى المسيء فقال فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرناه ليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فتضمنت الايتان ذكر شرعه وقدره وذكرا الاعمال وجزائها وحكمة القدر في تيسير هذا

ليسرى وهذا ليسرى وان العبد ميسر بأعماله لغاياتها ولا يظلم ربك أحدا و ذكر للتيسير
 ليسرى ثلاثة أسباب أحدها إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل ارادة الاطلاق والتعميم
 اى اعطى ما أمر به وسحقت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول اعطاه من نفسه الايمان
 والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر واعطاه الاحسان والنفع بحاله ولسانه وبدنه
 ونيته وقصده فتكون نفسه نفسا مطيعة بادلة لالتجمة مانعة فالنفس المطيعة هى النافعة
 المحسنة التى طبعها الاحسان واعطاء الخير اللازم والمعنى فتعطى خيرها لنفسها ولغيرها
 فهى بمنزلة العين التى ينفع الناس بشرهم منها وسقى دوابهم وانعامهم وزرعهم فهم ينتفعون
 بها كيف شاؤا فهى ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك ميسر للنفع حيث حل فجزاء هذا أن
 ييسره الله ليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء السبب الثانى التقوى وهى اجتناب ما نهى الله
 عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير وضده من أسباب التيسير فالتقى ميسر عليه أمور دنياه
 وآخرته وتارك التقوى وان يسرت عليه بعض أمور دنياه تعمس عليه من أمور آخرته
 بحسب ما تركه من التقوى وأما تيسير ما نيسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان
 تيسيرها عليه أتم ولو قدر انها لم تيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو انفع له مما ناله بغير
 التقى فان طبيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو
 أحل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا
 فأخبر أنه يسر على المتقى ما لا يسر على غيره وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
 من حيث لا يحتسب وهذا ايضا يسر عليه بتقواه وقال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
 ويعظم له أجرا وهذا تيسر عليه بازالة ما يشاء واعطائه ما يحب ورضاه وقال يا أيها الذين
 آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا يتيسر بالفرقان
 المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة
 الذنوب وذلك غاية التيسير وقال تعالى واتقوا الله اعلمكم تلحون والفلاح غاية اليسر كما أن
 الشقاء غاية العسر وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من
 رحته ويجعل لكم نورا يمشون به ويغفر لكم فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور اعطاهم
 نصيبين من رحته نصيبا فى الدنيا ونصيبا فى الآخرة وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة
 فيصير نصيبين الثانى اعطاهم نورا يمشون به فى الظلمات الثالث مغفرة ذنوبهم وهذا غاية
 التيسير فقد جعل سبحانه التقوى سبيلا لكل يسر وترك التقوى سبيلا لكل عسر السبب
 الثالث التصديق بالحسنى وفسرت بلاله الا الله وفسرت بالجنة وفسرت بالخلف وهى
 أقوال السلف واليسرى صفة لموصوف محذوف اى الحالة والخلقة اليسرى وهى فعلى
 من اليسر والاقوال الثلاثة ترجع الى أفضل الاعمال وأفضل الجزاء فنفسها بلاله
 الا الله فقد فسرها بفرد يأنى بكل جمع فان التصديق الحقيقى بلاله الا الله يستلزم
 التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة
 فلا يكون العبد مصدقا لها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبقائه
 ولا يكون مؤمنا بالله اله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله ولا يكون مؤمنا

في قول مجاهد والجمهور فان الخطاب اذا كان لانسان وهو المكذب اى فاعل التكذيب فكيف يقال له ما يكذبك اى بجملك مكذبا والمعروف كذبه اذا جعله كاذبا لمكذبا ومثل فسقه اذا جعله فاسقا لافسقا لغيره وجواب هذا الاشكال ان صدق وكذب بتشديد رادبه معنيان احدهما النسبة وهى انما تكون للفعال كما ذكرتم والثاني الداعى والحامل على ذلك وهو يكون للفاعل قال الكسائي يقال ما صدقت بكذا او ما كذبت بكذا اى ما جعلت على التصديق والتكذيب قلت وهو نظير ما اجرأك على هذا اى ما جعلت على الاجترار عليه وما قد مك وما اخرك اى مادماك وجعلت على التقديم والتأخير وهذا استعمال سائغ موافق للعربية وبالله التوفيق ثم ختم السورة بقوله اليس الله بأحكم الحاكمين وهذا تقرير لمضمون السورة من اثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجمده ما جاء به بالجنة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا وبشرعه وأمره وحكمه بينهم في الآخرة ثوابه وعقابه وان احكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الاحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الانسان في احسن تقويم ونقله في اطوار التخليق حالا بعد حال الى اكل الاحوال فكيف يليق بأحكم الحاكمين ان لا يجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته وهل ذلك الافدح في حكمه وحكمته فله ما اخصر لفظ هذه السورة واعظم شأنها واتم معناها والله أعلم

فصل في ومن ذلك قسم سبحانه وتعالى بالليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكور والانثى وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعى الانسان في الدنيا وجزاه في العقبى فهو سبحانه يقسم بالليل في جميع احواله اذ هو من آياته الدالة عليه فاقسم به وقت غشيانه وانى بصيغة المضارع لانه بغشى شيئا بعد شيء واما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر وتجلي وهالة واحدة ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها واقسم به وقت سرياته كما تقدم واقسم به وقت ادباره واقسم به اذا عسعس فليل معناه ادبر فيكون مطابقا لقوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر وقيل معناه اقبل فيكون كقوله والليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى فيكون قد اقسام باقبال الليل والنهار وعلى الاول يكون القسم واقعا على انصرام الليل وبجبي النهار حقيقه وكلاهما من آيات ربوبيته ثم اقسام بخلقى الذكور والانثى وذلك يتضمن الاقسام بالحيوان كله على اختلاف اصنافه ذكره وانثاه وقابل بين الذكر والانثى كما قابل بين الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبيته فان اخراج الليل والنهار بواسطة الاجرام العلوية كاخراج الذكور والانثى بواسطة الاجرام السفلية فأخرج من الارض ذكور الحيوان وانثاه على اختلاف انواعه كما اخرج من السماء الليل والنهار بواسطة اشمس فيها واقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار والساعي وهو الذكور والانثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكور والانثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائمه وثوابه وسبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما ليسو بين الليل والنهار والذكور والانثى ثم اخبر عن تقربيه بين ما يقسمه المحسن وما يقسمه المسيء فقال فاما من اظفى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بغل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى فتضمنت الايتان ذكر شرعه وقدره وذكرا الاعمال وجزائها وحكمة القدر في تفسير هذا

ليسمى وهـذا للعسرى وان العبد ييسر بأعماله لغاياتها ولا يظلم ربك أحدا وذكر للتيسير
 ليسرى ثلاثة أسباب أحدها إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل ارادة الاطلاق والتعجيم
 اى اعطى ما أمر به وسحقت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول إعطاءه من نفسه الايمان
 والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر واعطاه الاحسان والنفع بحاله ولسانه وبدنه
 وبيته وقصده فتكون نفسه نفسا مطيعة بآلة لا تئيمه مائعة فالنفس المطيعة هى النافعة
 المحسنة التى طبعها الاحسان واعطاء الخير اللازم والمتعدى فتعطى خيرا لها نفسها ولغيرها
 فهى بمنزلة العين التى ينفع الناس بشرهم منها وسقى دوابهم وانعامهم وزرعهم فهم ينتفعون
 بها كيف شاؤوا فهى ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك ميسر لئمنع حيث حل فجزاء هذا أن
 ييسره الله ليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء السبب الثانى التقوى وهى اجتناب ما نهى الله
 عنه وهـذا من أعظم أسباب التيسير وصدده من أسباب التيسير فالتقى ميسر عليه أمور دنياه
 وآخرته وتارك التقوى وان يسرت عليه بعض أمور دنياه تعمس عليه من أمور آخرته
 بحسب ما تركه من التقوى وأما تيسير ما ييسر عليه من أمور الدنيا فلوانقى الله لكان
 تيسيرها عليه أتم ولو قدر انها لم تيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو انفع له مما ناله بغير
 التقى فان طبيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها واتهاجها من أعظم نعم الدنيا وهو
 أحل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات وقال تعالى ومن يتقى الله يجعل له من أمره يسرا
 فأخبر أنه يسر على التقى ما لا يسر على غيره وقال تعالى ومن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه
 من حيث لا يحتسب وهذا ايضا يسر عليه بقواه وقال تعالى ومن يتقى الله يكفر عنه سيئاته
 ويعظم له أجرا وهذا تيسر عليه بازالة ما يخشاه واعطائه ما يحب ورضاه وقال يا أيها الذين
 آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا تيسر بالفرقان
 المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة
 الذنوب وذلك غاية التيسير وقال تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون والصلاح غاية اليسر كما أن
 الشقاء غاية العسر وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من
 رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم فضيلهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور أعطاهم
 نصيبين من رحمته نصيبا فى الدنيا ونصيبا فى الآخرة وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة
 فيصير نصيبين الثانى أعطاهم نورا يمشون به فى الظلمات الثالث مغفرة ذنوبهم وهذا غاية
 التيسير فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر وترك التقوى سببا لكل عسر السبب
 الثالث التصديق بالحسنى وفسرت بلاله الا الله وفسرت بالجنته وفسرت بالخلف وهى
 أقوال السلف واليسرى صفة لموصوف محذوف اى الحسالة والخلقة اليسرى وهى فعلى
 من اليسر والاقوال الثلاثة ترجع الى أفضل الاعمال وأفضل الجزاء فمن فسرها بلاله
 الا الله فقد فسرها بفرد يأتى بكل جمع فان التصديق الحقيقى بلاله الا الله يستلزم
 التصديق بشعبها وفروعها كلها وجمع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة
 فلا يكون العبد مصدقا بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله ولائحته وكتبه ورسوله ولقائه
 ولا يكون مؤمنا بالله اله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله ولا يكون مؤمنا

بأن الله لا اله الا هو حتى يسلب خصائص الالهية عن كل موجود سواه وسلبها عن اعتقاده
وارادته كما هي منفية في الحقيقة والخارج ولا يكون مصدقا بها من نفي الصفات الطبايولا
من نفي كلامه وتكليمه ولا من نفي استواءه على مرشده وانه رفع اليه الكلم الطيب والعمل الصالح
وانه رفع المسج اليه وأسرى برسوله صلى الله عليه وسلم اليه وانه بدبر الامر من السماء الى
الارض ثم يرجع اليه الى سائر ما وصف به نفسه ووصفه برسوله صلى الله عليه وسلم ولا
يكون مؤمنا بهذه الكلمة مصدقا بها على الحقيقة من نفي عوم خلقه لكل شئ وقدرته على
كل شئ وعلمه بكل شئ وبعثه الاجساد من القبور ليوم النشور ولا يكون مصدقا بها من
زعم انه يترك خلقه صدى لم يأمرهم ولم ينههم على السنة رسله وكذلك التصديق به يقتضي
الاذعان والاقرار بحقه وسأوهى شرائع الاسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق
بجميع اخباره وامتنان أوامره واجتناب نواهيه هو تفصيل لاله الا الله فالصدق بها على
الحقيقة الذي يأتي بذلك كله وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الاطلاق الا بها
وبالقيام بحقه وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الاطلاق الا بها وبحقها فالعقوبة في الدنيا
والآخرة على تركها أو ترك حقها ومن فسر الحسنى بالجنة فمرها بأعلى أنواع الجزاء وكاله
ومن فسرها بالخلف ذكر نوحا من الجزاء فهذا جزاء ذنوبى والجنة الجزاء في الآخرة فرجع
التصديق بالحسنى الى التصديق بالايمان وجزائه والتعقيب أنها تسأل الامرين وتأمل ما
اشتملت عليه هذه الكلمات الثلاث وهى الاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى من العلم
والعمل وتضمنته من الهدى ودين الحق فان النفس لها ثلاث قوى قوة البذل والاعطاء
وقوة الكف والامتناع وقوة الإدراك والفهم ففيها قوة العلم والشعور وينبعها قوة الحب
والارادة وقوة البغض والنفرة فهذه القوى الثلاثة عليها مدار صلاحها وسعادتها وفسادها
يكون فسادها وشقاوتها ففساد قوة العلم والشعور يوجب له التكبذب بالحسنى وفساد
قوة الحب والارادة يوجب له ترك الاعطاء وفساد قوة البغض والنفرة يوجب له ترك الاتقاء
فاذا كملت قوة حبه وارادته باعطائه ما أمر به وقوة بغضه ونفرته بانقائه ما نهى عنه
وقوة علمه وشعوره بتصديقه بكلمة الاسلام وحقوقها وجزائها فقد زكى نفسه وأعددها
لكل حالة يمرى فصارت النفس بذلك ميسرة ليسرى ولما كان الدين يدور على ثلاث
قواعد فعل المأمور وترك المحظور وتصديق الخبر وان شئت قلت الدين طلب وخبر
والطلب نوحان طلب فعل وطلب ترك تضمنت هذه الكلمات الثلاث مراتب الدين أجمعها
فالاعطاء فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والتصديق بالحسنى تصديق الخبر فانتظم ذلك
الدين كله وأكل الناس من كلات له هذه القوى الثلاث ودخول النقص بحسب نقصانها
أوبعضها فمن الناس من يكون قوة اعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه فقوة الترك
فيه أضعف من قوة الاعطاء ومن الناس من يكون قوة الترك والانكفاف فيه أتم
من قوة الاعطاء والمنع ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الاعطاء والمنع
فقوة العلية والشعورية أتم من قوته الارادية وبالعكس فيدخل النقص بحسب ما نقص من
قوة هذه القوى الثلاث ويفوته من التيسير ليسرى بحسب ما فاته منها ومن كلات له هذه القوى

يسر انكل يسرى قال ابن عباس فسيبته له يسرى أن نهىوه لعمل الخير تيسر عليه أعمال الخير وقال مقاتل والكلبي والقراء تيسره ليعود الى العمل الصالح وحقيقة اليسرى أنها الخلة والحالة السهلة النافعة الواقعة له وهى ضد العسرى وذلك يتضمن تيسره للخير وأسبابه فيجرى الخير وييسر على قلبه وبدنه ولسانه وجوارحه فتصير خصال الخير تيسره عليه ، مذلة له منقادة لا تستعصى عليه ولا تستصعب لانه مهياً لها تيسر لفعلها يسلك سبلها ذللاً وتقاد له علما وعلا فاذا خالته قلت هو الذى قيل فيه

مبارك الطلعة بميمونها * يصلح للدنيا ولادب

وأمان بخل فعمل قوة الارادة والاعطاء من فعل ما أمر به واستغنى بترك التقوى من ربه فعمل قوة الانكشاف والترك من فعل ما نهى عنه وكذب بالحسنى فعمل قوة العلم والشعور عن التصديق بالايان وجزائه فسيبته للعسرى قال عطاء سوف أحول بين قلبه وبين الايمان في ورسولى وقال مقاتل يسر عليه أن يعطى خيرا وقال عكرمة عن ابن عباس تيسره للشر قال الواحدى وهذا القول لان الشر يؤدي الى العذاب فهو الخلة العسرى والخير يؤدي الى اليسر والراحة في الجنة فهو الخلة اليسرى يقول سنهيو لشر بأن يجريه على يديه قال القراء العرب تقول قديمتم غنم فلان اذا تهيأت له ولادة وكذلك اذا ولدت وغزرت ألسانها اى يسرت ذلك على أصحابها انتهى والتيسر للعسرى يكون بأمرين أحدهما أن يحول بينه وبين أسباب الخير فيجربى الشر على قلبه وينته ولسانه وجوارحه والثاني أن يحول بينه وبين الجزاء اليسر كما حال بينه وبين أسبابه فان قيل كيف قابل اتقى ما استغنى وهل يمكن العبد أن يستغنى عن ربه طرفه من قبل هذا من أحسن المقابلة فان التمسق لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته الى ربه انتقام ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقته بارتكاب ما نهاه عنه فان كان شديداً الحاجة والضرورة الى شخص فانه يتقى غضبه وسخطه عليه غاية الانتقاء ويحاذر ما يكرهه غاية المجانبة ويعتمد فعل ما يحبه وبؤثره فقابل التقوى بالاستغناء بنسب الحال تارك التقوى ومبالغة في ذمه بأن فعل فعل المستغنى عن ربه لافعل الفقير المضطر اليه الذى لا مجال له الا اليه ولا غنى له من فضله وجوده وبره طرفه عين فله ما أحلاه هذه المقابلة وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها والشرور كلها وأسبابها فسبحان من تعرف الى خصائص عبادته بكلامه ونجلى لهم فيه فهم لا يطلبون أن يراهم عين ولا يستبدلون الحق بالباطل والصدق باليمين وقد تضمنت هاتان الآيتان فصل الخطاب في مسألة القدر وازالة كل لبس واشكال فيها وذلك بين بحمد الله عز وجل وفق لفهمه ولهذا أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم لمن أورد عليه السؤال الذى لا يزال الناس يلجئون به في القدر فأجاب بفصل الخطاب وازال الاشكال في الصحابين من حديث على ابن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقده من الجنة والنار قيل يا رسول الله ألا تدع العمل وتترك كل على الكتاب قال اعلموا فنكل يسر لما خلق لهم ثم قرأ فأمان أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيبته له يسرى وقد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية واثبات القدر والشرع واثبات الكتاب الاول المتضمن لعلم الله سبحانه الاشياء قبل كونها واثبات خلق الفعل الجزائى وهو يبطل أصول القدرية الذين يمنعون خلق الفعل

مطلقا ومن أقر منهم بخلق الفعل الجزاء دون الابتداء هدم أصله ونقض قاعدته والنبي صلى
الله عليه وسلم أخبر بمثل ما أخبر به الرب تعالى ان العبد ميسر لما خلق له لا يجبور فالجبر لفظ بدعي
والتييسير لفظ القرآن والسنة وفي الحديث دلالة على أن الصحابة كانوا أهل الناس بأصول الدين
فانهم تلقوها من أهل الخلق بالله على الاطلاق وكانوا اذا امتشكوا شيأ سألوه عنه وكان
يجيبهم بايزيل الاشكال ويبين الصواب فهم العارفون بأصول الدين حقا لاهل البدع والاهواء
من المتكلمين ومن ذلك سبيلهم وفي الحديث استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على مسائل
أصول الدين بالقرآن وارشاده الصحابة لاستنباطها منه خلافا لمن زعم أن كلام الله ورسوله
لا يفيد العلم بشئ من أصول الدين ولا يجوز أن تسفد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله
منه وهو من ذلك بقوله الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين وفي الحديث بيان ان من الناس من
خلق للسعادة ومنهم من خلق للشقاوة خلافا لمن زعم انهم كلهم خلقوا للسعادة ولكن اختاروا
الشقاوة ولم يخلقوا لها وفيه اثبات الاسباب وان العبد ميسر الاسباب الموصلة له الى ما خلق له
وفيه دليل على اشتقاق السنة من الكتاب ومطابقتها له فتأمل قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له
ومطابقتها لقوله تعالى فأما من أعطى واتقى الى آخر الآيتين كيف انتظم الشرع والقدر والسبب
والمسبب وهذا الذي أرشده اليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي فطر الله عليه عباده بالحيوان
البهيم بل مصالح الدنيا وعمارتها بذلك فلو قال كل أحد ان قدر لي كذا وكذا فلا بد أن أناه
وان لم يقدر فلا سبيل الى نيله فلا أسمى ولا أتحررك لعدم السفهاء الجهال ولم يمكنه طرد ذلك
أبدا وان اتى به في أمر معين فهل يمكنه أن يطرد ذلك في مصالحه جميعها من طعامه وشربه
ولباسه ومسكنه وهرابه وما يضاد بقواه وينافي مصالحه أم يجد نفسه غير منفكة ألبتة عن قول
النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاذا كان هذا في مصالح الدنيا وأسباب
مناافعها فما الموجب لتعطيله في مصالح الآخرة وأسباب السعادة والفلاح ورب الدنيا والآخرة
واحد فكيف يعطل ذلك في شرع الرب وأمره ونهيه ويستعمل في ارادة العبد وامراضه
وشهواته وهل هذا الا محض الظلم والجهل والانسان ظلوم جهول ظلوم لنفسه جهول بربه
فهذا الذي أرشده اليه النبي صلى الله عليه وسلم وتلى عنده هاتين الآيتين موافقا لما جعله الله في
حقول العقلاء وركب عليه فطر الخلائق حتى الحيوان البهيم وأرسل به جميع رسله وأرسل به
جميع كتبه ولو اتكل العبد على القدر ولم يعمل لتعطيل الشرائع وتعطلت مصالح العالم
وفسد أمر الدنيا والدين وانما يستروح الى ذلك معطلوا الشرائع ومن خلع ربة الأوامر
والنواهي من عنقه وذلك ميراث من اخوانهم المشركين الذين دفعوا أمر الله ونهيه
وطارضوا شرهه بقضائه وقدره كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم في غير موضع من كتابه
كقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك
كذب الذين من قبلهم حتى اذقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن
وان انتم الا تخرسون قل فله الجنة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين وقال تعالى وقال الذين
أشركوا لو شاء الله ما هبنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك
فضل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين وقال تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما هبناهم

مالهم بذلك من علم ان هم الايخرون وقال تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا الذين آمنوا انظمو من اوبشاه الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين فان قيل فالاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى هي من اليسرى بل هي أصل اليسرى من يسرها لعبادها ولا كذلك أضدادها قيل الله سبحانه هو الذي يسر لعبده أسباب الخير والشرو خلق خلقه قسمين أهل سعادة فيسرهم لليسرى وأهل شقاوة فيسرهم لليسرى واستعمل هؤلاء في الأسباب التي خلقوا لغاياتها لا يصلحون لسواها وهؤلاء في الأسباب التي خلقوا لغاياتها لا يصلحون لسواها وحكمته الباهرة تأتي أن يضع عقوبته في موضع لا يصلح له كما يأتي أن يضع كرامته وثوابه في محل لا يصلح له ولا يليق به بل حكمته أحاد خلقه تأتي بذلك ومن جعل محل المسك والرجيع واحدا فهو من أسفه السفهاء فان قيل فلم جعل هذا يليق به الا الكرامة وهذا يليق به الا الاهانة قيل هذا سؤال جاهل لا يستحق الجواب كأنه يقول لم خلق الله كذا وكذا فان قيل وعلى هذا فهل لهذا الجاهل من جواب لعله يشفي من جهله قيل نعم شأن الربوبية خلق الاشياء وأضدادها وخلق الملزومات ولو ازمها وذلك هو محض الكمال فالعلم لازم وملزوم للسفل والليل لازم وملزوم للنهار وكال هذا الوجود بالحر والبرد والصحر والغم ومن لوازم الطبيعة الحيوانية الصحة والمرض واختلاف الارادات والمرادات ووجود اللزوم بدون ملازمه ممنوع ولولا خلق المتضادات لما عرف كمال القدرة والمشيئة والحكمة ولما ظهرت احكام الاسماء والصفات وظهرت احكامها وآثارها لا بد منه اذ هو مقتضى الكمال المقدس والملئ التام واذا عطي اسم الملك حقه وان تستطيع علمت ان الخلق والامر والثواب والعقاب والاعطاء والحرمان امر لازم لصفة الملك وان صفة الملك تقتضي ذلك ولا بد وان تعطل هذه الصفة أمر ممنوع فالملك الحق يقتضي ارسال الرسل وانزال الكتب وامر العباد ونهيتهم وثوابهم وعقابهم واكرام من يستحق الاكرام واهانة من يستحق الاهانة كما تستلزم حياة الملك وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ورجته ورضاه وغضبه واستوائه على ميري ملكه يدبر امر عباده وهذه الاشارة تكفي لليب في مثل هذا الموضوع ويطلع منها على ارض موقفة وكنوز من المعرفة وباللغة التوفيق

فصل في ثم قال تعالى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى قيل معناه ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال قال قتادة على الله البيان بان حلاله وحرامه وطاقته ومعصيته اختاره ابو اسحق وهو قول مقاتل وجماعة وهذا المعنى حق ولكن مراد الآية شئ آخر وقيل المعنى ان علينا للهدى والاضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد ارسد اولياتي الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي وبين ان يعملوا بطاعتي قال الفراء فترك ذكر الاضلال كما قال سرايل تفيكم الحرارى والبرد وهذا اضعف من القول الاول وان كان معناه صحيحا فليس هو معنى الآية قبل المعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقول وهلى الله قصد السبيل وهذا قول مجاهد وهو اصح الاقوال في الآية قال الواحدى علينا للهدى اى ان الهدى يوصل صاحبه الى الله والى ثوابه وجنته وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع ههنا وفي النمل قوله وعلى الله قصد السبيل وفي الحجر في قوله هذا صراط على مستقيم وهو معنى شريف جليل يدل على ان سالك طريق الهدى يوصله طريقه الى الله ولا بد والهدى

هو الصراط المستقيم فمن سلكه اوصله الى الله فذكر الطريق والغاية فالطريق الهدى والغاية الوصول الى الله فهذه اشرف الوسائل وقايتها اهل الغايات ولما كان مطلوب السالك الى الله تحصيل مصالح دنياه وآخرته لم يتم له هذا المطلوب الا بتوحيد طلبه والمطلوب منه فأعلم سبحانه ان سواء لاملك من الدنيا والآخرة شيئا وأن الدنيا والآخرة جواهره وحده فاذا يقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده فتضمنت الايتان اربعة امور هي المطالب العالي فذكر اهل الغايات وهو الوصول الى الله سبحانه واقرب الطرق والوسائل اليه وهي طريقة الهدى وتوحيد الطريق فلا يبدل عنها الى غيرها وتوحيد المطلوب وهو الحق فلا يبدل عنه الى غيره فانسب هذه الامور من مشكاة هذه الكلمات فان هذه غاية العلم والنهم وبالله التوفيق والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق المرصلة والانتقاع ونخاف الوصول يقع من الشركة في هذه الامور او في بعضها فان الشركة في المطلوب تنافي التوحيد والاخلاص والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيمه والشركة في الطريق تنافي اتباع الامر فالاول يقع في الشرك والرياء والثاني يقع في المعصية والبطالة والثالث يقع في البدعة ومفارقة السنة تأمله فتوحيد المطلوب يعصم من الشرك وتوحيد الطلب يعصم من المعصية وتوحيد الطريق يعصم من البدعة والشيطان انما يصيب فحده بهذه الطرق الثلاثة ولما اقام سبحانه الدليل وانار السبيل ووضح الجسمة وبين الحجة انذر عباده ذنابه الذي اعد له لمن كذب خبره وتولى عن طاعته وجعل هذا الصنف من الناس هم اشقاهم كما جعل الله لهم اهل القوى والاحسان والاخلاص فهذا الصنف هو الذي يجب ذنابه كما قال سبحانه في الاتي الذي يؤتى ماله بتركى فهذا المتبقي المحسن لا يفعل ذلك الا ابتغاء وجهه فهو مخلص في تقواه واحسانه وفي الاية الارشاد الى ان صاحب التقوى لا ينبغي له ان يفصل من الخلق ونعمهم وان حمل منهم شيئا باذرى جزائهم عليه لئلا يتبقي لاحد من الخلق عليه نعمة تجزى فيكون بعد ذلك عمله كاهل الله وحده ايس جزاء للمخلوق على نعمته ونبيه بقوله تجزى على ان نعمة الاسلام التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الاتي لا تجزى فان كل ذي نعمة يمكن جزاء نعمة الانعمة الاسلام فانها لا يمكن المنعم بها عليه ان تجزى بها وهذا يدل على ان الصديق اول وأولى من ذكر في هذه الاية فوائده احق الامه بها فان عليا رضي الله عنه تربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده نعمة غير نعمة الاسلام يمكن ان تجزى ونبيه سبحانه بقوله الا ابتغاء وجهه وجره الا على ان من ايس للمخلوق عليه نعمة تجزى لا يفعل ما يفعله الا ابتغاء وجهه وجره الا على بخلاف من تطرق ذم المخلوقين ومنهم فانه مضطر الى ان يفعل لاجلهم ويترك لاجلهم ولهذا كان من كمال الاخلاص ان لا يجعل العبد عليه منة لاحد من الناس لتكون معاملته كاهل الله ابتغاء وجهه وطلب مرضاه فكم ان هذه الغايات اهل وهذا المطلوب اشرف المطالب فهذه الطريق اقصد الطرق اليه واقربها واقومها وبالله التوفيق

فصل في ومن ذلك اسماه سبحانه بالضحى واللبل اذا سجد على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم باليتين عظمتين من آياته

دالين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما ليل والنهار وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضمى
 الذى يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذى وافاه بعد احتياسه عنه حتى
 قال أهداؤه ودع محمداً به فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد
 ظلمة احتياسه واحتياجه وأيضاً فانلقى ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذى فلق ظلمة الجهل
 والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للمس وهذان للعقل وايضاً فان الذى اقتضت رحمته
 ان لا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمداً بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعائشهم لا يلقى
 به ان يتركهم فى ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم
 وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والروفي الذى
 على هذه الالفاظ والجلالة التى على معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قتلاه
 فأتوديع الترك والقلى البغض فأتارك من ذاعتنى به واكرمه ولا يفضه من ذأجبه واطلق
 سبحانه ان الآخرة خير له من الاولى وهذايم كل احواله وان كل حالة برقيه اليها هى خير له مما
 قبلها كما ان الدار الآخرة خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح
 به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذايم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر وكثرة
 الاتباع ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد ما تاه وما يعطيه فى موقف القيامة وما يعطيه
 فى الجنة واما ما يتر به الجهال من انه لا يرضى وواحد من امته فى النار او لا يرضى ان
 يدخل احد من امته النار فهذا من غرور الشيطان لهم واعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه
 عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من
 الكفار والعصاة ثم يحذر رسوله حذايشفع فيهم ورسوله اعرف به وبحقه من ان يقول لا يرضى
 ان يدخل احداً من أمتى النار ان يدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى بأذنه فيشفع فيمن شاء الله
 ان يشفع فيه ولا يشفع فى غير من اذنه ورضيه ثم ذكر سبحانه نعمه عليه من
 ابوائه بعد نعمة وهدايته بعد الضلالة واغناؤه بعد الفقر فكان محتاجاً الى من يؤويه
 ويهديه ويغنيه فأواه ربه وهداه واغناه فأمره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يلقى بها
 من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السائل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فأوصاه
 سبحانه باليتامى والفقراء والمتعلمين قال مجاهد ومقاتل لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً
 وقال الفراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذلك كانت العرب تفعل فى أمر
 اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم فغلظ الخطاب فى أمر اليتيم وكذلك من لا ناصر له بغلظ
 أمره وهو نهى الجميع المكلفين وأما السائل فلانهر قال أكثر المفسرين هو سائل المعروف
 والصدقة لانهره اذا سألك فقد كنت فقيراً فاما أن تطعمه واما أن ترده رداً لينا قال الحسن
 اما أنه ليس بالسائل الذى يأبى ولكن طالب العلم وهذا قول يحيى بن آدم قال اذا جاءك
 طالب العلم فلا تنهره والتحقيق ان الآية تتناول النوعين وقوله وأما بنعمة ربك فحدث
 قال مجاهد بالقرآن وقال الكلبي بمعنى أظهرها والقرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فأمره أن
 يقربه ويعلمه وروى أبو بشر عن مجاهد حدث بالنبوة التى أعطاك الله وقال الزجاج
 بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك وهى أجل النعم وقال مقاتل اشكر هذه

النعمة التي ذكرت في هذه السورة والتحقيق ان النعم تم هذا كله فامر أن لا ينهر سائل
 المعروف والعلم وان يحدث بنم الله عليه في الدين والدنيا
 ﴿ فصل ﴾ ومن ذلك اقسامه سبحانه بالعاديات ضبها والموريات قدحا فالله ييرات
 صبها وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك فقل على ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود
 رضى الله عنهما هي ابل الحاج تعدو من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى وهذا اختيار
 محمد بن كعب وابن صالح وجاعة من المفسرين وقال عبد الله بن عباس هي خبيل
 الغزاة وهذا قول أصحاب ابن عباس والحسن وجاعة واختاره الفراء والزجاج قال أصحاب
 الابل السورة مكية ولم يكن ثم جهاد ولا خبيل تجاهد وانما اقسام بما يعرفونه وبألفونه
 وهي ابل الحاج اذا عدت من عرفة الى مزدلفة فهي عاديات والضبع والضبع مد الناقة ضبها
 في السير يقال ضبعت وضبعت بمعنى واحد وانشد ابو عبيدة وقد اختار هذا القول
 فكان لكم اجري جمعها واضبعت * في البازل الوجناء في الال تضبع
 قالوا فهي تعدو ضبها فتورى باخفافها النار من حرك الاجار بعضها ببعض فتشير النقع وهو الغبار
 بعدوها فيتوسط جمعها وهو المزدلفة قال أصحاب الخيل المعروف في اللغة ان الضبع اصوات
 انفاس الخيل اذا عدت والمعنى والعاديات ضابحة فيكون ضبها مصدر اعلى الاول وحالا على
 الثاني قالوا والخبيل هي التي تضبع في عدوها ضبها وهو صوت يسمع من اجوافها ليس
 بالصهيل والحمة ولكن صوت انفاسها في اجوافها من شدة العدو وقال الجرجاني كـ لا
 القولين قد جاء في التفسير الان السياق يدل على انها الخيل وهو قوله تعالى قالوريات قدحا والايراء
 لا يكون الا للحافر لصلابته واما الخلف ففيه بين واسترخا انتهى قالوا والضبع في الخيل اظهر
 منه في الابل والايراء لسناط الخيل اي بين منه لاخفاف الابل قالوا والنقع هو الغبار واثارة الخيل
 بعدوها له اظهر من اثاره اخفاف الابل والضمير في به ما تد على المكان الذي تعدو فيه قالوا
 واعظم ما يثير الغبار عند الاثارة اذا توسطت الخيل جمع العدو لكثرة حركتها واضطرابها
 في ذلك المكان واما جل الآبة في اثاره الغبار في وادي محمر عند الاثارة فليس بالبين ولا
 يشور هناك غبار في الغالب اصلافة المكان قالوا واما قولكم انهم يكن بكفة حين نزول الآبة
 جهاد ولا خيل تجاهد فهذا لا يلزم لانه سبحانه اقسام بما يعرفونه من شأن الخيل اذا كانت في غزو
 فاثارت فاثارت النقع وتوسطت جمع العدو وهذا معروف وذ كر خيل المجاهدين احق
 ما دخل في هذا الوصف فذكره على وجه التمثيل لا للاختصاص فان هذا شأن خيل المقاتلة
 وأشرف انواع الخيل خيل المجاهدين والقسم انما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من
 الآيات الدينات من خلق هذا الحيوان الذي هو من اكرم الهميم واشرفه وهو الذي يحصل
 به الغزو الظفر والنصر على الاعداء فيعدو طالبا للعدو وهاربة منه فيشير عدوها القبار لشدة
 وتورى حوافرها وسناطها النار من الاجار لشدة عدوها فتدرك القارة التي طلبتها حتى يتوسط
 جمع الاعداء فهذا من اعظم آيات الرب تعالى وادلة قدرته وحكمته فذكرهم بنعمه عليهم في خلق
 هذا الحيوان الذي ينتصرون به على اعدائهم ويدركون به ثارهم كما ذكرهم سبحانه بنعمه عليهم
 في خلق الابل التي تحمل اثقالهم من بلد الى بلد فالابل اخص بحمل الاثقال والخبيل اخص

بنصرة الرجال فذكروهم بنعمه بهذا وهذا وخص الاشارة بالضحج لان العدولم ينتشروا اذذاك
 ولم يفارقوا محالهم واصحاب الاشارة حامون مستريحون يصرون مواقع الغارة والعدولم يأخذوا
 اهبتهم بل هم في غرتهم وغفلتهم ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الغارة صبر حتى
 يطلع الفجر فان سمع مؤذنا امسك والافار ولما علم اصحاب الابل ان اخفافها ابعثى من
 وري النار تأولوا الآية على وجوه بعيدة فقال محمد بن كعب هم الحجاج اذا أوقدوا نيرانهم
 ايلة المزدلفة وعلى هذا فيكون التقدير فالجماعات الموريات وهذا خلاف الظاهر وانما
 الموريات هي العاديات وهي المغيرات وروى محمد بن جبير عن ابن عباس هم الذي بغيرون
 فيورون بالليل نيرانهم لطعامهم وحاجتهم كأنهم اخذوه من قوله تعالى افرانم النار التي تورون
 وهذا ان اريد به التمثيل وان الآية تدل عليه فصحيح وان اريد به اختصاص الموريات فليس
 كذلك لان الموريات هي العاديات بعينها ولهذا عطفها عليه بالفاء التي لا تسبب فانها عدت فأورثت
 وقال قتادة الموريات هي الخيل توري نار العداوة بين المقتتلين وهذا ليس بشئ وهو بعيد من
 معنى الآية وسياقها واضعف منه قول عكرمة هي الالسة توري نار العداوة بعظم ما تكلم به
 واضعف منه ما ذكر عنه مجاهد هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعة في الحرب وهذه الاقوال
 ان اريد ان اللفظ دل عليها وانها هي المراد فغلط وان اريد انها اخذت من طريق الاشارة والقياس
 فامرها قريب وتفسير الناس بدور على ثلاثة اصول تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو اليه المتأخرون
 وتفسير على المعنى وهو الذي يذكروا السلف وتفسير على الاشارة والقياس وهو الذي ينحو اليه
 كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط ان لا يناقض معنى الآية او ان يكون
 معنى صحيحا في نفسه وان يكون في اللفظ اشعار به وان يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم فاذا
 اجتمعت هذه الامور الاربعة كان استنباط احسنها واضعف من ذلك كاه قول ابن جريج قد حابه
 فالنجميات امر اريد بالباغين بنحجهم فيما طلبوه وعطف قوله فائرن فوسطن وهما فعلان على
 العاديات والموريات لما فيه من معنى الفعل وكان ذكر الفعل في اثرن ووسطن احسن من ذكر
 الاسم لانه سبحانه قسم افعالنا الى قسمين وسيلة وفاية فالوسيلة هي العدو وما يتبعه من الابراء
 والافارة والعاية هي توسط الجمع وما يتبعه من اثاره النقع فهن ماديات موريات مغيرات حتى
 يتوسطن الجمع ويثرن النقع فالاول شأنه الذي احدث له والثاني فعله الذي اتهمه اليه والله اعلم
 في نصل في هذا شأن القسم وأما شأن القسم عليه فهو حال الانسان وهو كون الانسان
 كنودا بشهادته على نفسه أو شهادة ربه عليه وكونه بخيلا حبه المال والكنود للنعمة وفعله كند
 يكند كنودا مثل كفر يكفر كفر وراوا الارض الكنود التي لا تبت شيأ وامرأة كندى اى
 كفور له معاشره واصل اللفظ منع الحق والخير ورجل كنود اذا كان مانعا لماله من الحق
 وعبارات المفسرين تدور على هذا المعنى قال ابن عباس رضى الله عنهما واصحابه رحمهم الله تعالى
 هو الكفور وقيل هو الخيل الذي يمنع رفته ويبيع عبده ولا يعطى في النأبة وقال الحسن هو
 هو اللوام لربه بعد المصائب وينسى النوم واما قوله وانه على ذلك لشهيد فقال ابن عباس يريد ان
 ربه على ذلك لشهيد وقيل ان الانسان لشهيد على ذلك ان انكر بلسانه شهد ربه عليه
 حاله ويؤيد هذا القول سياق الضمائر فان قوله وانه لحب الخير لشديد للانسان

فاتضح الخبر عن الانسان بكونه كئود دائم ثناء بكونه شهيد اعلی ذلك ثم ختمه بكونه بخيلا اياه
 لجه اياه ويؤيد قول ابن عباس رضی الله عنهما انه اثنى بعلی فقال وانه على ذلك لشهيد اياه
 مطلع عالم به كقوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولو اريد شهادة الانسان لا اثنى بالباه فقبل
 وانه بذلك لشهيد كما قال تعالى ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
 بالكفر فلو اراد شهادة الانسان لقال وانه على نفسه لشهيد فان كئوده المشهود به ونفسه
 هي المشهود عليها ثم قال تعالى وانه لخبير لشديد واخير ههنا المال باتفاق المفسرين والشديد
 البخيل من اجل حب المال فحب المال هو الذي حله على البخل هذا قول الاكثرين وقال ابن قتية بل
 المعنى انه لشديد الحب للخير فتكون اللام في قوله لخبير متعلقة بقوله اشديد على حد اتفاق
 قولك انه زيد لضارب ومنعت طائفة من الهامة ان يعمل ما بعد اللام فيما قبلها وهذه الآيات حجة على
 الجواز فان قوله لربه معمول لكئود وقوله على ذلك معمول لشهيد ولا وجه لتكلف البارد
 في تقدير عامل مقدم محذوف بضمه هذا المذكور فالحق جواز ان زيد لضارب فوصف
 سبحانه الانسان بكفران ثم ربه وبخله بما آناه من الخير فلا هو شكور لانعم ولا محسن الى خلقه
 بل بخيل بشكره بخيل بماله وهذا ضد المؤمن الكريم فانه محض لربه محسن الى خلقه
 فالؤمن له الاخلاص والاحسان والفاجر له الكفر والبخل وقد ذم الله سبحانه هذين الخلقين
 المهلكين في غير موضع من كتابه كقوله فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
 الذين هم براؤن ويمنون بالماورن فالاخلاص والاحسان وكذلك قوله تعالى والله لا يحب
 كل مخذل فقور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
 فاخثياله وفخره من كفره وكئوده وهذا ضد قوله الذين يؤمنون بالغيب ويتقون الصلاة
 وعمارز قاهم ينفقون وقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية وكذلك
 ذكر الخلقين الذميين في قوله الذين ينفقون اموالهم راء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر ونظيره وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا اعمارز فهم الله ونظيره ما تقدم
 في سورة البقرة من ذم المستغنى البخيل ومدح العطى المصدق بالحسنى وبل لكل همزة لزمة
 الذي جمع مالا وعدده فان الهمزة والنمزة من الفخر والكبر وجع المال وتعدده من البخل
 وذلك مناف لسر الصلاة والزكاة وقصودهما ثم خوف سبحانه الانسان الذي هذا وصفه
 حين يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور اى ميز وجع وبين واظهر ونحو ذلك وجع
 سبحانه بين القبور والصدور كما جمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ملا الله أجوافهم
 وقبورهم ناراقان الانسان يوارى صدره ما فيه من الخير والشر ويوارى قبره جمعه فبخرج
 الرب جمعه من قبره وسره من صدره فبصير جتمه بارزا على الارض وسره باء على وجهه
 كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقال سبحانه على الخرطوم

﴿ فصل ﴾ ومفعول العلم ان هلمت فيه وكسرت لمكان اللام وقيد سبحانه كونه خبير ابيهم
 ذلك اليوم وهو خبير بهم في كل وقت ابدا بالجزء وانه يجازيهم في ذلك اليوم بما عمل منهم
 فذكر العلم والمراد لازمه والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك اقسامه بالعصر على حال الانسان في الآخرة وهذه السورة على غاية

اختصارها لها شأن عظيم حتى قال الشافعي رحمه الله لو فكر الناس كلهم فيها لكتبتهم والعصر المقسم به قبل هو اول الوقت الذي يلي المغرب من النهار وقبل هو آخر ساعة من ساعاته وقبل المراد صلاة العصر واكثر المفسرين على انه الدهر وهذا هو الراجح وتسمية الدهر عصر امر معروف في لغتهم قال وان يلبث العصر ان يوم و ليلة * اذا طلبا ان يدركا ماتهما

ويوم و ليلة بدل من العصر ان فاقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه فان مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على اكل ترتيب ونظام وتعاقبهما واعتدالهما تارة واخذاً أحدهما من صاحبه تارة واختلافهما في الضوء والظلام والحرو والبرد وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر الى القرون والسنين والاشهر والايام والساعات وما دونها آية من آيات الرب تعالى وبرهان من براهين قدرته وحكمته فاقسم بالعصر الذي هو زمان افعال الانسان ومحاملها على عاقبة تلك الافعال وجزئها ونبيه بالبدء وهو خلق الزمان والفاضلين وانعالمهم على المعاد وان قدرته يكلم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد وان حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاضلين وانعالمهم وجعلها قسمين خيرا وشررا تبين ان يسوي بينهم وان لا يجازي المحسن باحسانه والمسيء بامائه وان يجعل النورين راجحين واخسرين بل الانسان من حيث هو انسان خاسر الامن رحمه الله فهداه ووقفه للايمان والعمل الصالح في نفسه وامر غيره به وهذا نظير رده الانسان الى اسفل سافلين واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المرودين وتأمل حكمة القرآن لما قال ان الانسان لفي خسر ضيق الاستثناء وخصه فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر ولما قال ثم رددناه اسفل سافلين وسع الاستثناء وعمه فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتقبلوا وواصوا فان التواصي هو امر الفقيه بالايمان والعمل الصالح وهو قدر زائد على مجرد فعله فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح نصار في خسر ولا يلزم ان يكون في اسفل سافلين فان الانسان قد يقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة وقد تكون فرضا على الاعيان وقد تكون فرضا على الكفاية وقد يكون مستحبا والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب والحق الذي يستحب والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب والصبر الذي يستحب فهؤلاء اذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره اولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في انفسهم ولم يأمروا غيرهم به وان كان اولئك لم يكونوا من الذين خسروا انفسهم وأهليهم فطلق الخسار شيء والخسار المطلق شيء وهو سبحانه انما قال ان الانسان لفي خسر ومن ربح في سلمة وخسر في غيرها قد يطلق عليه انه في خسروانه ذو خسر كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد فرطنا في قراريط كثيرة فهذا نوع تفریط وهو نوع خسرنا بالسنة الى من حصل ربح ذلك ولما قال في سورة والتين ثم رددناه اسفل سافلين قال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقسم الناس في هذين القسمين فقط ولما كان الانسان له قوتان قوة العلم وقوة العمل وله حالتان حالة يأمر فيها بأمر غيره وحالة يأمر فيها غيره استثنى سبحانه من كل قوته العلية بالايمان وقوته العملية بالعمل الصالح وانتقاد الامر غيره له بذلك وأمر غيره به من الانسان الذي هو في خسر فان العبد له حالتان حالة كمال في نفسه وحالة تكميل لغيره

وكماه وتكمله موقوف على أمرين علم بالحق وصبر عليه فتضمنت الآية جع مراتب الكمال الانساني من العلم النافع والعمل الصالح والاحسان الى نفسه بذلك والى أخيه به واقتياده وقوله لمن يأمره بذلك وقوله تعالى وتواصوا بالصبر والحق وتواصوا بالصبر ارشاد الى منصب الامامة في قوة الدين كقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فبالصبر واليقين نال الامامة في الدين والصبر نوطان نوع بالمقدور كما صائب ونوع بالمشروع وهذا النوع أيضا نوطان صبر على الاوامر وصبر عن النواهي فذلك صبر على الارادة والفعل وهذا صبر عن الارادة والفعل فاما النوع الاول من الصبر فمشتريك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر لا يثاب عليه لمجرد ان لم يقترن به ايمان واختيار قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق ابنته مرها قالت صبر ولنعتسب وقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة وأجر كبير وقال تعالى بلى ان تصبروا وتنفقوا وقال وان تصبروا وتنفقوا فالصبر بدون الايمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الايمان والتقوى وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور وقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوقنون بأمره أن يصبر ولا يشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر فانهم لعدم يقينهم عدم صبرهم وخفوا واستخفوا قومهم ولو حصل لهم اليقين والحق وخفوا واستخفوا فن قل يقينه قل صبره ومن قل صبره خف واستخف فالموثق الصابر رزين لانه ذولب وعقل ومن لا يقين له ولا صبر خفيف طائش تلعب به الالهواء والشهوات كأنه لعب الريح بالشيء الخفيف والله المستعان

فصل في ذلك اقسامه سبحانه بالسماء ذات البروج التي تنزلها الشمس والقمر وفمرت بالنجوم أنواع منها وفمرت بالقصور العظام وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته فان السماء كرة متشابهة الاجزاء والشكل الكروي لا يتميز منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع بل هو متساوي الجوانب فجعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها وأشكالها ومقاديرها يستحيل ان يوجد بغير فاعل ويستحيل ان يكون فاعله غير قارر ولا حالم ولا مرید ولا حي ولا حكيم ولا مبين للمفعول وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطباقية والملاحدة والفلاسفة الذين لا يثبتون للعالم ربا يثباتا قادرا فاعلا بالاختيار طالما تفاصيله حكيميا مدبرها فبروج السماء هي منازلها او منازل السيارة التي فيها من اعظم آياته سبحانه فلماذا قسم بها مع السماء ثم اقسام باليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو المقسم به وعليه كان القرآن يقسم به وعليه ودال على وقوع اليوم الموعود بانفاق جميع الرسل عليه وبمعرفة عبادته من حكيمته وعزته التي تأتي ان يتركهم سدى ويخلتهم حبسا ويفر ذلك من الآيات والبراهين التي يستدل بها سبحانه على امكانه تاروقه على وقوعه تارة وعلى تنزيهه عما يقول اعداؤه من انه لا يأتي به تارة فالاسم به عند من آمن بالله كالاتسام بالسماء وغيرها من الموجودات المشاهدة بالعيان ثم اقسام سبحانه بالشاهد والمشهود مطلقين غير معينين واعم المعاني فيه أنه المدرك والمدرك والعالم والمعلوم والرائي والمرق وهذا ألقى المعاني به وما عداها من الاقوال ذكرت على وجه التقبل لا على وجه التخصيص فان قبل فواجبه الارتباط بين هذه الامور الثلاثة انقسم بها قبل هي بحمد الله في غاية الارتباط والاقسام بها تناول لكل موجود في الدنيا والآخرة وكل منها آية مستقلة دالة على ربوبيته وآلهيته

فأقسم بالعالم العلوي وهي السماء وما فيها من البروج التي هي أعظم الامكنة واوسعها ثم
 أقسم بأعظم الايام واجلها قدرا الذي هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه ومحج-
 اوياته واهدائه والحكم بينهم بعلمه وعدله ثم أقسم بما هو اعم من ذلك كله وهو الشاهد والمشهود
 وناسب هذا القسم ذكر اصحاب الاخذود الذين عذبوا اولياءه وهم شهود على ما يفعلون
 بهم والملائكة شهود عليهم بذلك والانباء وجوارحهم تشهد به عليهم وايضا فالشاهد والمطلع
 والرقب والخبر والمشهود وهو المطلع عليه الخبر به المشاهد فنوع الخليفة الى شاهد ومشهود
 وهو اقدر القادرين كما نوعها الى مرتي لنا وغير مرتي كما قال فلا أقسم بما تبصرون
 وما لا تبصرون كما نوعها الى أرض وسماء وليل ونهار وذكروا نبئ وهذا التنويع والاختلاف
 من آياته سبحانه كذلك نوعها الى شاهد ومشهود وفيه سر آخر وهو ان من الخلوقات
 ما هو مشهود عليه ولا يتم نظام العالم الا بذلك فكيف يكون الخلق شاهدا رقيبا
 حفيظا على غيره ولا يصح كون الخالق تبارك وتعالى شاهدا على عباده مطلقا عليهم رقيبا
 وايضا فان ذلك يتضمن القسم بملائكته وانبائه ورسله فانهم شاهدون على العباد فيكون
 من باب انحاء القسم به المقسم عليه كما أقسم باليوم الموعود وهو المقسم به وعليه وايضا
 فيوم القيامة مشهود كما قال تعالى ذلك يوم مجوع له الناس وذلك يوم مشهود يشهده
 الله وملائكته والانس والجن والوحش من آياته والمشهود من آياته وايضا فكلامه
 مشهود كما قال تعالى وقرآن العجرا قرآن العجرا كان مشهودا تشهد ملائكة الليل وملائكة
 النهار فالمشهود من اعظم آياته وكذلك الشاهد فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود
 فهو داخل في هذا القسم والاوجه لتخصيصه بعض الانواع او الاعيان الاعلى سبيل
 القبول وايضا فكتاب الابرار في عليهم يشهده المقربون فالكتاب مشهود والمقربون
 شاهدون والاحسن ان يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب لان القصد التنبيه على القسم
 به وانه من آيات الرب العظيمة ويبعد ان يكون الجواب قتل اصحاب الاخذود الذين قتلوا
 اولياءه وعذبوهم بالنار ذات الوجود ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم قعود على جانب
 الاخذود شاهدين ما يجري على عباد الله تعالى واوليائه عيانا ولا تأخذهم بهم رافة
 ولا رجة ولا يعبوا عليهم دينسا سوى ايمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
 والارض وهذا الوصف يقتضي اكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم فعاملوهم بضد ما يقتضي ان يعاملوا
 به وهذا شأن اعداء الله دائما ينتمون على اوليائه ما ينبغي ان يحبو او يكرموه والاجله كما قال
 تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنتمون منا الا ان آمننا بالله وما نزل الينا وما نزل من قبله وان
 اكثركم فاقون وكذلك اللوطية سموهم من عباد الله تنزيههم عن مثل فعلهم فقلوا اخرجوهم
 من قريبتكم انهم اناس يتطهرون وكذلك اهل الاشرار ينتمون من الموحدين تجريدهم
 التوحيد واخلاص الدعوة والعبودية لله وحده وكذلك اهل البدع ينتمون من اهل السنة
 تجريد متابعتها وترك ما خالفها وكذلك المعطلة ينتمون من اهل الاثبات اثباتهم لله صفات
 كاله ونعوت جلاله وكذلك الراضة ينتمون على اهل السنة محبتهم للصحابه جميعهم وترضيتهم
 عنهم وولايتهم اباهم وتقديم من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وتنزيلهم منازلهم

التي أنزلهم الله ورسوله بها وكذلك أهل الرأي المحدث يتعمون على أهل الحديث وحزب
الرسول أخذهم بحديثه وتركهم مخالفة وكل هؤلاء لم نصيب وفيهم شبهة من أصحاب الاختود
وبينهم نسب قريب أو بعيد ثم أخبر سبحانه عما أعد لهم عذاب جهنم وعذاب الحربى حيث
لم يتوبوا وأنهم لو تابوا بعد أن فتوا أوليائه وعذبوهم بالنار لغفر لهم ولم يعذبهم وهذا غاية
الكرم والجود قال الحسن انظروا الى هذا الكرم والجود يقتلون أوليائه ويفتنونهم وهو
يدعوهم الى التوبة والغفرة انظروا الى كرم الرب تعالى بدهم وهم الى التوبة وقد فتوا
أوليائه فمرقوهم بالنار فلا يأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان فلا عداوة
أعظم من هذه العداوة ولا كفر من حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبدته وحده ومع هذا
فلو تابوا لم يعذبهم وألغىهم بأوليائه ثم ذكر سبحانه جزاء أوليائه المؤمنين ثم ذكر شدة بطشه
وأنة لا يعجزه شئ فإنه هو المبدئ المعيد ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه وهو مع ذلك
الغفور الودود يغفر لمن تاب اليه ويوده ويحبه فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع
ذلك الغفور الودود المتودد الى عباده بنعمه الذى يود من تاب اليه وأقبل عليه وهو الودود
أيضا أى المحبوب قال البخارى فى صحيحه الودود الحبيب والتهقيق أن اللفظ يدل على
الامرئى على كونه وادا لأوليائه مودودا لهم فأحدهما بالوضع والاخر بالزوم فهو
الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه وقال شعيب ان ربي رحيم وودود ما أنطف اقترا اسم الودود
بالرحيم وبالغفور فان الرجل قديفر لمن آماه ولا يحب وكذلك قدير رحيم من لا يحب والرب تعالى
يقفر لعبده اذا تاب اليه ويرحمه ويحبه مع ذلك فإنه يحب التوابين واذا تاب اليه عبده أحبه
ولو كان منه ما كان ثم قال ذوالعرش فأضاف العرش الى نفسه كما يضاف اليه الاشياء العظيمة
الشريفة وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه واختصاصه به بل يدل على غاية
القرب والاختصاص كما يضيف الى نفسه بدوصفاته القائمة به كقوله ذوالقوة ذوالجلال
والاكرام ويقال ذوالعزة وذوالملك وذوالرحمة ونظائر ذلك فلو كان حظ العرش منه حظ
الارض السابعة لكان لافرق أن يقال ذوالعرش وذوالارض ثم وصف نفسه بالمجيد وهو
المتضمن لكثرة صفات كماله وسعته وعدم احصاء الخلق لها وسعة أفعاله وكثرة خيريه
ودوامه وأمانه ليس له صفات كمال ولا أفعال جيدة فليس له من المجد شئ والمخلوق انما يصير
مجيدا بأوصافه وأفعاله فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيدا وهو معطل عن الاوصاف
والافعال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا بل هو المجيد الفعال لما يريد والمجد فى لغة
العرب كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير واحسن ما قرن اسم المجيد الى الحميد كما قالت
الملائكة لبيت الخليل رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جيد مجيد وكأشرف لنا فى آخر
الصلاة ان تنهى على الرب تعالى بأنه جيد مجيد وشرع فى آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول
ربنا ولك الحمد أهل الشاء والمجد فالمجد والمجد على الاطلاق لله الحميد للمجيد فالمجيد الحبيب
المستحق لجميع صفات الكمال والمجيد العظيم الواسع القادر الفنى ذوالجلال والاكرام
ومن قرأ الحميد بالكرم فهو صفة لعرشه سبحانه واذا كان عرشه مجيدا فهو سبحانه
أحق بالمجد وقد استشكل هذه القراءة بعض الناس وقال لم يجمع فى صفات الخلق مجيد ثم

خرجها على أحد الوجهين اما على الجواز واما أن يكون صفة لربك وهذا من قلة بضاعة هذا القائل فان الله سبحانه وصف عرشه بالكرم وهو نظير الجود ووصفه بالعظمة فوصفه سبحانه مطابق لوصفه بالعظمة والكرم بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وبهاء منظره فانه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجله واجمه لصفات الحسن وبهاء المنظر وعلو القدر والرتبة والذات ولا يقدر قدر عظمتة وحسنه وبهاء منظره الا الله ومجده مستفاد من مجدخالقه ومبدعه والسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه تحلقه ملقاة في أرض فلاة والكرسي فيه كتلك الحلقة في القلاة قال ابن عباس السموات السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس فكيف لا يكون مجيدا وهذا شأنه فهو عظيم كريم مجيد واما تكلف هذا المتكلف جره الى الجواز أو انه صفة لربك فتكلف شديد وخروج عن المأوف في اللغة من غير حاجة الى ذلك وقوله فعال لما يريد دليل على أمور أحدها انه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته الثاني انه لم يزل كذلك لانه ما أتى ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه فلا يجوز أن يكون مادما لهذا الكمال في وقت من الاوقات وقد قال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وما كان من أوصاف كماله ونفوت جلاله لم يكن حادثا بعد أن لم يكن الثالث أنه اذا اراد شيئا فعله فان ما موصولة عامة اي يفعل كلما يريد أن يفعله وهذا في ارادته المتعلقة بفعله واما ارادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر فان اراد فعل العبد ولم يرد من نفسه ان يعينه ويجعله فاعلاما بوجود الفعل وان اراده حتى يريده من نفسه ان يجعله فاعلا وهذه هي السكينة التي خفيت على القدرية والجبرية وخبطوا في مسألة القدر لغفلتهم عنها فان هنا ارادتين ارادة أن يفعل العبد و ارادة أن يجعله الرب فاعلا وليسا متلازمين وان لم يرد من الثانية الاولى من غير عكس فتى اراد من نفسه أن يعين عبده وان يخلق له أسباب الفعل فقد أراد فعله وقدير فعله ولا يريد من نفسه ان يخلق له أسباب الفعل فلا يوجد الفعل فان احتاس عليك فهم هذا الموضع وأشكل عليك فانظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه قوله للعبد يوم القيامة قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب أهلك أن لا تشترك بي شيئا ولم يقع هذا المراد لانه لم يرد من نفسه اطاعته عليه وتوفيقه له الرابع ان فعله سبحانه و ارادته متلازمان فن أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد اراده بخلاف المخلوق فانه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريد فاشتم فعال لما يريد الا الله وحده الخامس اثبات ارادة متعددة بحسب الافعال وان كل فعل له ارادة تخصه وهذا هو المعقول في الفطر وهو الذي يعقله الناس من الارادة فشأنه تعالى انه يريد على الدوام ويفعل ما يريد السادس أن كلما صح أن يتعلق به ارادته جاز فعله فاذا أراد أن ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا وأن يحيى يوم القيامة لفصل القضاء وان يرى نفسه لعباده وأن يجعل لهم كيف شاء وأن يخاطبهم ويضحك اليهم وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمنع عليه فعله فانه فعال لما يريد وانما يتوقف صحة ذلك على اخبار الصادق به فاذا أخبر به وجب التصديق به وكان رده ردا لكماله الذي أخبر به عن نفسه وهذا عين الباطل وكذلك اذا أمكن ارادته سبحانه محو ما شاء واثبات ما شاء أمكن فعله وكانت الارادة والفعل من مقتضيات كماله المقدس وقد

اشتملت هذه السورة على اختصارها من التوحيد على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة لقدرة والقوة وعدم النظير والمجد المتضمن لصفات الكمال والتعزیه عن أضدادها مع محبته والهيبه وملكته السموات والارض المتضمن لكمال غناه وسعة ملكه وشهادته على كل شيء المتضمن لعموم اطلاعه على ظواهر الامور وبواطنها واحاطة بصره برئياتها وسعه بمسوماتها وعلمه بمعلوماتها ووصفه شدة البطش المتضمن لكمال القوة والعزة والقدرة وتفرده بالابداء والامادة المتضمن لتوحيد ربوبيته وتصرفه في المخلوقات بالابداء والامادة وانقياده لقدرنه فلا يستعصى عليه منها شيء ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده واحسانه وغناه ورحمته ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيبا الى عبادته محبا لهم ووصفه بأنة ذوالعرش الذي لا يقدر قدره سواه وأن عرشه المختص به الذي لا يليق بغيره أن يستوى عليه ووصفه بالمجد المتضمن لسعة العلم والقدرة والملك والغنى والجود والاحسان والكرم وكونه فضلا لما يريد المتضمن لحياته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته وغير ذلك من أوصاف كاله فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ثم ختمها بذلك فعلمه وحقوبته بمن اشرك به وكذب رسله تحذيرا لعباده من سلوك سبيلهم وان من فعل فعلهم فعل به كما فعل بهم ثم أخبر عن أهدائه بأنهم مكذبون بتوحيده ورسالاته مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم ولا أسوء حالا ممن هادي من هوفي قبضته ومن هو قادر عليه من كل وجه وبكل اعتبار فقال بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط فهذا أعجب ممن كفر عن هو محيط به وأخذ بنصائبه قادر عليه ثم وصف كلامه بأنه مجيد وهو أحق بالمجد من كل كلام كان المنكلم به له المجد كله فهو المجيد وكلامه مجيد وعرشه مجيد قال ابن عباس رضي الله عنهما قرآن مجيد كريم لان كلام الرب ليس هو كما يقول الكافرون شعرو كهانة وسحر وقد تقدم ان المجد السعة وكثرة الخير وكثرة خير القرآن لا يعلمها الا من تكلم به وقوله في لوح محفوظ أكثر القراء على الجر صفة للوح وفيه اشارة الى ان الشياطين لا يمكنهم التزول به لان محله محفوظ أن يصلوا اليه وهو في نفسه محفوظ أن يقدر الشيطان على الزيادة فيه والنقصان فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله اننا نحن نزلنا الذكر واننا له حافظون ووصف محله بالحفظ في هذه السورة فآله سبحانه حفظ محله وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل وحفظ معانيه من التحريف كالحفظ ألفاظه من التبديل وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ومعانيه من التحريف والتغيير

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماء والطارق وقد فسره بأنه النجم الثاقب الذي يتقب ضوءه والمراد به الجنس لانجم معين ومن عينه بأنه الثريا أو زحل فان أراد التمثيل فصحيح وان أراد التخصيص فالدليل عليه والمقصود انه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضيئة وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته وسمى النجم طارقا لانه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس فشبّه بالطارق الذي يطرق الناس أو أهله ليلا قال القراء ما أتاك ليلا فهو طارق وقال الزجاج والمبرد لا يكون الطارق نهارا ولهذا تستعمل العرب الطروق

في صفة الخيال كثيرا كما قال ذوالرمة

الأطرفت حتى هيو ما بذكرها * وأيدي الثريا جنح بالمغرب

وقال جرير

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارحني بسلام

ولهذا قيل أول من رد الطيف جرير فلم يزل الناس على قبوله واكرامه كاضيف فالطيف والضيف كلاهما لا يرد وقال الآخر

الأطرفت من آخر الليل زينب * عليك سلام هل لما فات مطلب

فصل في المقسم عليه ههنا حال النفس الانسانية والاعتناء بها واقامة الحفظه عليها وانها لم تترك سدى بل قد امدت عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصبها فأقسم سبحانه انه ما من نفس الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها ويحصى ما تكسب من خير أو شر واختلف القراء في ما فشددها بعضهم وخففها بعضهم فمن قرأها بالتشديد جعلها بمعنى الا وهي تكون بمعنى الا في موضعين احدهما بعد ان المخففة مثل هذا الموضع او المثقلة مثل قوله وان كلاما ليوفينهم ربك أعمالهم والثاني في باب القسم نحو سألتك بالله لما علمت قال أبو علي الفارسي من خفف كانت عنده هي المخففة من الثقيلة واللام في خبرها هي الفارقة بين ان النافية والخفيفة وما زادت وان هي التي يتلقى بها القسم كما يتلقى بالمثقلة ومن قرأها مشددة كانت ان عنده نافية بمعنى ما وما في معنى الا قال سيويه عن الخليل في قولهم نشدتك بالله لما علمت قال المعنى الافعلت ثم نبه سبحانه الانسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن في الاستدلال على المعاد بالبدا فقال فلينظر الانسان ثم خلق اي فلينظر نظرا الفكرة والاستدلال ليعلم ان الذي ابتداء أول خلقه من نقطة قادر على اعادته ثم اخبر سبحانه أنه خلقه من ماء دافق والدفق صب الماء يقال دفقت الماء فهو مدفوق ودافق ومدفق فالمدفق الذي وقع عليه ففعلك كالنكسور والمضروب والمدفق المطاوع لفعل الفاعل بقول دفقته فاندفق كما تقول كسرته فانكسرو الدافق قيل انه فاعل بمعنى مفعول كقولهم سرعانم وعيشة راضية وقيل هو على النسب لاهل الفعل أي ذى دفق وذات ولم يرد الجر يان على الفعل وقيل وهو الصواب انه اسم فاعل على بابه ولا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعل الدفق فان اسم الفاعل هو من قام به الفعل سواء فعله هو أو غيره كما يقال ماء جار ورجل ميت وان لم يفعل الموت بل لما قام به من الموت نسب اليه على جهة الفعل وهذا غير منكر في لغة أمة من الامم فضلا عن أوسع اللغات وأفصحها وأما العيشة الراضية فالوصف بها أحسن من الوصف بالراضية فانها اللاتمة بهم فشيء ذلك برضاها بهم كارضوا بها كأنها رضيت بهم ورضوا بها وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط فتأمله واذا كانوا يقولون الوقت الحاضر والساعة الزاهنة وان لم يفعل ذلك فكيف يتبع ان يقولوا ماء دافق وعيشة راضية ونبه سبحانه بكونه دافقا على انه ضعيف غير متماسك ثم ذكر محله الذي يخرج منه وهو بين الصلب والترائب قال ابن عباس صلب الرجل ورائب المرأة وهو موضع القلادة من صدرها والولسد بمخلف من المسائين جيبا وقيل صلب الرجل ورائبه وهي صدره فيخرج من صلبه وصدره وهذه

الآية الدالة على قدرة الخالق سبحانه نظير اخراجه اللبن الخالص من بين الفرث والدم ثم ذكر الامر المستدل عليه والمعاد بقوله انه على رجعة لقادر اى على رجعه اليه يوم القيامة كما هو قادر على خلقه من ماء هذا شأنه هذا هو الصحيح في معنى الآية وفيها قولان ضعيفان أحدهما قول مجاهد على رد الماء في الاحليل لقادر والثاني قول عكرمة والضحاك على رد الماء في الصلب وفيها قول ثالث قال مقاتل ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا الى النطفة والقول الصواب هو الاول لوجوه أحدها انه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد الثاني ان ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الاحليل الثالث انه لم يأت لهذا المعنى في القرآن نظير في موضع واحد ولا ينكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه الرابع انه قبل الفعل بالظرف وهو قوله يوم تبلى السرائر وهو يوم القيامة اى ان الله قادر على رجعه اليه حيا في ذلك اليوم الخامس ان الضمير في رجعه هو الضمير في قوله قاله من قوة ولا ناصر وهذا للإنسان قطعاً لالماء السادس انه لا ذكر الاحليل حتى يتبين كون المرجع اليه فلو قال قائل على رجعه الى الفرج الذي صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ولم يكن أولى منه السابع ان رد الماء الى الاحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر معتاد جرت به القدرة وان كان مقدوراً للرب تعالى ولكن هو لم يجره ولم تجر به العادة ولا هو مما تكلم الناس فيه نهياً أو إثباتاً ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه وبينه على منكره وهو سبحانه انما يستدل على أمر واقع ولا بد اما قد وقع ووجد أو يقع فان قيل فقد قال تعالى أحسب الانسان أن لن نجوع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه أن نجعله كخف البعير قبل هذه ايضاً فيها قولان أحدهما هذا والثاني وهو الأرجح أن تسوية بنانه امانته كما كانت بعد مفارقة اللى في التراب الثامن أنه سبحانه دعى الانسان الى النظر فيما خلق منه ليرده نظره عن تكذيبه بالآخر به وهو لم يخبره بقدرة خالقه على رد الماء في احليله بعد مفارقتها له حتى يدعو الى النظر فيما خلق من له يستنج منه صحة امكان رد الماء التاسع انه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الاحليل بعد خروجه ولا تلازم بينهما حتى يجعل أحدهما دليلاً على امكان الآخر بخلاف الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد والخلق الاول والخلق الثاني والنشأة الاولى والنشأة الثانية فانه ارتباط من وجوه عديدة ويلزم من امكان احدهما امكان الآخر ومن وقوعه صحة وقوع الآخر فحسن الاستدلال بأحدهما على الآخر العاشر انه سبحانه به بقوله ان كل نفس لسا عليها حافظ على انه قد وكل عليه من يحفظ عليه عمله ويحصبه فلا يضيع منه شيئاً ثم نبه بقوله انه على رجعه لقادر على بعثه جزائه على العمل الذي حفظ واجصى عليه مذكر شأن مبدأ عمله ونهايته فبدؤه محفوظ عليه ونهايته الجزاء عليه ونبه على هذا بقوله يوم تبلى السرائر اى تختبر وقال مقاتل تظهر وتبدو وبلوت الشيء اذا خترته ليظهر لك باطنه وما خفي منه والسرائر جمع سريرة وهى سرائر الله التي بينه وبين عبده في ظاهره وباطنه لله فالإيمان من السرائر وسرائره من السرائر فتختبر ذلك اليوم حتى يظهر خيراها من شرها وموداها من مضيقها وما كان لله محالاً يمكن له قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما بئس الله يوم

القيامه بكل سر فيكون زينا في الوجوه وشينا فيها والمعنى تختبر السرائر باظهارها واطهارها
مقتضياتها من الثواب والعقاب والحمد والذم وفي التعبير عن الاعمال بالسر لطيفة وهو ان الاعمال
تنتج السرائر الباطنة فمن كانت سريره صالحة كان عمله صالحا فتبدو سريره على وجهه
نورا واشراقا وحياء ومن كانت سريره فاسدة كان عمله تابعا لسريره لا اعتبار بصورته
فتبدو سريره على وجهه سوادا وظلمة وشينا وان كان الذي يبدو عليه في الدنيا انما هو عمله
لا سريره فيوم القيامة تبدو عليه سريره ويكون الحكم والظهور لها قال الشاعر
فان لها في مضمحل القلب والحشا * سريرة حب يوم تبلى السرائر

ثم اخبر سبحانه عن حال الانسان في يوم القيامة انه غير ممنوع من عذاب الله لا بقوة منه ولا بقوة
من خارج وهو الناصر فان العبد اذا وقع في شدة فاما ان يدفعها بقوته او قوة من ينصره
وكلاهما معدوم في حقه ونظيره قوله سبحانه لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم متناصرين
ثم اقسم سبحانه بالسماء ذات الرجوع والارض ذات الصدع فاقسم بالسماء ورجعها بالمطر
والارض وصدعها بالنبات قال الفراء تبدي بالمطر ثم ترجع به في كل عام وقال أبو اسحق الرجوع
المطر لانه يجيء ويرجع ويتكرر وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما تبدي بالمطر ثم ترجع به
في كل عام والتحقيق ان هذا على وجه التمثيل ورجع السماء هو اعطاء الخبز الذي يكون من جهتها
حالا بعد حال على مرور الأزمان رجعه رجا ما اى تعطيه مرة بعد مرة والخير كله من قبل السماء
يجيء ولما كان اظهر الخير المشهود بالعبان المطر فمسر الرجوع به وبحسن تفسيره به مقابلته بصدع
الارض عن النبات وفسر الصدع بالنبات لانه بصدع الارض اى يشقها فاقسم سبحانه بالسماء
ذات المطر والارض ذات النبات وكل من ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته
واقسم على كون القرآن حقا وصدقا قال انه لقول فصل وحاهو بالهزل كما اقسم في اول السورة
على حال الانسان في مبدئه ومعاده والقول الفصل هو الذي يفصل بين الحق والباطل
فيميز هذا من هذا ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ومصعب الفصل الذي يفصل عنده المراد
وتيميز من غيره كما يقال اصاب الفصل واصاب المراد اذا اصاب بكلامه نفس المعنى المراد منه فصل
الخطاب وايضا قاله الفصل ببيان المعنى ضد الاجال فكون القرآن مصلا يتضمن هذه
المعاني كلها ويتضمن كونه حقا ليس بالباطل وجدا ليس بالهزل ولما كان الهزل هو الذي
لا حقيقة له وهو الباطل والهز قابل بين الفصل والهزل وانما يكيد الكاذبون ويحيدون
ويتخادعون لردده ولا يردونه بحجة والله يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده وككيد
سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون والاملاء لهم حتى يأخذهم على غرة كما قال تعالى
وأمل لهم ان كيدى متبين فالانسان اذا اراد ان يكيد غيره يظهر له اكرامه واحسانه اليه
حتى يطمئن اليه فيأخذنه كما يفعل الملوكة فاذا فعل ذلك اعداء الله بأوليائه ودينه وكان
كيد الله لهم حسنا لا قبح فيه فيعطيهم ويعافيهم وهو يستدرجهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذهم
بغتة ثم قال فعل الكافرين أمهلهم رويدا أى أنظرهم قليلا ولا تستجمل لهم والرب تعالى هو الذي
يمهلهم وانما خرج الخطاب لرسول على جهة التهديد والوعيد لهم او على معنى انظر بهم قليلا
ورويد في كلامه يكون اسم فعل فينصب بها الاسم نحو رويدا زيدا أى خله وأمهله وارفق به

الثاني ان يكون مصدرا مضافا الى المفعول نحو - ورويد زيد أى ايهال زيد نحو ضرب
 الرقاب الثالث ان يكون نعتا منصوبا نحو - و قولك ماروا رويدا تقول العرب ضعه
 رويدا أى وضعوا رويدا وفي حديث عائشة في خروج النبي صلى الله عليه وسلم بالليل
 من عندها الى البقيع فخرج رويدا واجاف البساب رويدا ويجوز في هذا الوجه وجهان
 احدهما ان يكون حالا والثاني ان يكون نعتا لمصدر محذوف فان اظهرت المنعوت تعين الوجه
 الثاني ورويد في هذه الآية هو من هذا النوع الثالث والله أعلم

فصل في معرفة ذلك اقسامه بالشفق والليل وماوسق والقمر اذا اتسقت فاقسم بثلاثة اشياء
 متعلقة بالليل أحدها الشفق وهو في اللغة الحجر بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة
 وكذلك هو في الشرع قال الفراء والبيث والزجاج وغيرهم الشفق الحجر في السماء وأصل
 موضوع الحرف رقت الشيء ومنه شئ شفق لا تماسك له لرقته ومنه الشفقة وهو الرقة
 وأشفق عليه اذا رقت له وأهل اللغة يقولون الشفق بقية ضوء الشمس وحرتها ولهذا كان
 الصحيح أن الشفق الذي يدخل وقت العشاء الآخرة بضيوبته هو الحجر فان الحجر لما كانت
 بقية ضوء الشمس جعل بقاؤها حد الوقت المغرب فاذا ذهبت الحجر بعدت الشمس
 عن الافق فدخل وقت العشاء وأما البياض فانه يمتد وقته بطول ليله ويكون
 حاصلا مع بعد الشمس عن الافق ولهذا صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال الشفق
 الحجر والعرب تقول ثوب مصبوع كأنه الشفق اذا كان احمر حكا الفراء وكذلك قال
 الكلبي الشفق الحجر التي تكون في المغرب وكذلك قال مقاتل هو الذي يكون
 بعد غروب الشمس في الافق قبل الظلمة وقال حكيمه هو بقية النهار وهذا يحتمل
 ان يريد به ان تلك الحجر بقية ضوء الشمس التي هي آية النهار وقال مجاهد هو النهار
 كله وهذا ضعيف جدا وكأنه لما رأى قلبه بالليل وماوسق عن انه النهار وهذا ليس بلازم
 الثاني قسمه بالليل وماوسق في أى وماضم وحوى وجع والليل وماضمه وحى واما آية
 أخرى والقمر آية واتساقه آية أخرى والشفق يتضمن ادبار النهار وهو آية واقبال الليل
 وهو آية أخرى فان هذا اذا أدبر خلفه الآخر يتعاقبان لمصالح الخلق فادبار النهار آية
 واقبال الليل آية وتعب أحدهما الآخر آية والشفق الذي هو متضمن الامرين آية والليل آية
 وماحواه آية واللال آية وتزايد كل ليلة آية واتساقه وهو امتلاؤه نورا آية ثم اخذه
 في النقص آية وهذه وامثالها آيات دالة على ربوبيته مستلزمة لعلمه بصفات كماله ولهذا
 شرع عند اقبال الليل وادبار النهار ذكر الرب تعالى بصلاة المغرب وفي الحديث اللهم هذا اقبال
 ليلك وادبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك كما شرع ذكر الله بصلاة الفجر
 عند ادبار الليل واقبال النهار ولهذا بقسم سبحانه بهذين الوقتين كقوله والليل اذا دبر والصبح
 اذا أقفر وهو يقابل اقسامه بالشفق ونظيره اقسامه بالليل اذا شعس والصبح اذا تنفس
 ولما كان الرب تبارك وتعالى يحدث عند كل واحد من طرفي اقبال الليل والنهار وادبارهما
 ما يحدثه ويبث من خلقه ماشاء فينشر الارواح الشيطانية عند اقبال الليل وينشر الارواح
 الإنسانية عند اقبال النهار فحدث هذا الانتشار في العالم اثره شرع سبحانه في هذين الوقتين

هاتين الصلاتين العظيمين مع ما في ذلك من ذكره عند هاتين الآيتين المتعاقبتين وعند اصرام احدهما واتصال الاخرى بها مع ما بينهما من التضاد والاختلاف وانتقال الحيوان عند ذلك من حال الى حال ومن حكم الى حكم وذلك مبدأ ومعاد يوحى مشهود للخليفة كل يوم وليلة فالحيوان والنبات في مبدأ ومعاد وزمان العالم في مبدأ ومعاد أوليروا كيف بدأ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير

فصل في قوله لتر كبن طبقا عن طبق الظاهر انه جواب القسم ويجوز ان يكون من القسم المحذوف جوابه ولتر كبن وما بعده مستأ نف وقرئ لتر كبن بضم الباء للجمع وبفتحها فمن قهها فالخطاب عنده للانسان اي لتر كبن أيها الانسان وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل ليست الباء للخطاب ولكنها للغبية أي لتر كبن السماء طباقن طبق ومن ضمها فالخطاب للجماعة ليس الا فمن جعل الكناية للسماء قال المعنى لتر كبن السماء حالا بعد حال من حالاتها التي وصفها الله تعالى من الانشقاق والانفطار والطي وكونها كالمهل مرة وكالدهان مرة ومورائها وتفحصها وغير ذلك من حالاتها وهذا قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ودل على السماء ذكر الشفقي والتمر وعلى هذا فيكون قسما على المعاد وتغيير العالم ومن قال الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فله ثلاث معان لتر كبن سماء بعد سماء حتى تنتهي الى حيث يصعدك الله هذا قول ابن عباس في رواية مجاهد وقول مسروق والشعبي قالوا السماء طبق ولهذا يقال للسموات السبع الطباق والمعنى الثاني لتصعدن درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة ورتبة بعد رتبة حتى تنتهي الى محل القرب والرفق من الله والمعنى الثالث لتر كبن حالا بعد حال من الاحوال المختلفة التي نقل الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم من الهجرة والجهاد ونصره على عدوه وادلة العدو عليه نارة وضاء وقره وغير ذلك من حالاتها التي تنقل فيها الى أن بلغ ما بلغه اياه ومن قال الخطاب للانسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد وهو تنقل الانسان حالا بعد حال من حين كونه نطفة الى مستقره من الجنة او النار فيكم بين هذين من الاطباق والاحوال للانسان واقوال المفسرين كلها تدور على هذا قال ابن عباس رضى الله عنهم بتصيرن الامور حالا بعد حال وقيل لتر كبن ايها الانسان حالا بعد حال من النطفة الى العلقة الى المضغة الى كونه حيا الى خروجه الى هذه الدار ثم ركوبه طبق التمييز بين ما ينفعه ويضره ثم ركوبه بعد ذلك طبقا آخر وهو طبق البلوغ ثم ركوبه طبق الاشد ثم طبق الشيخوخة ثم طبق الهرم ثم ركوبه طبق ما بعد في البرزخ وركوبه في انشاء هذه الاحوال طباقا عديدة لا يزال ينقل فيها حالا بعد حال الى دار القرار فذلك آخر أطباقه التي يعطها العباد ثم يفعل الله سبحانه بعد ذلك ما يشاء واختار ابو عبيدة قراءة الضم وقال المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه ذكر قبل الآية من يؤتى كتابه بيينه وشماله ثم ذكر بعدها قوله فالهم لا يؤمنون فذكر كونهم طبقا بعد طبق قال الواحدى وهذا قول اكثر المفسرين قالوا لتر كبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وامر ابعدا امر قال سعيد بن جبير وابن زيد لتكون في الآخرة بعد الاولى وتصيرن اغنياء بعد الفقرو فقراء بعد الغناء وقال عطاشا شدة بعد شدة وقال ابو عبيدة لتر كبن سنة من كان قبلكم في الكذب والاختلاف على الرسل وانت اذا تاملت هذا المقسم به

والقسم عليه وجدته من اعظم الآيات الدالة على الربوبية وتغيير الله سبحانه العالم وتصريفه له كيف اراد ونقله اياه من حال الى حال وهذا محال ان يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له ومحال ان يكون فاعله غير قادر ولاحي ولا مرید ولا حكيم ولا علم وكلاهما في الامتناع سواء فالقسم به وعليه من اعظم الادلة على ربوبيته وتوحيده وصفات كماله وصدقه وصدق رسله وعلى المعاد ولهذا عقب ذلك بقوله قالهم لا يؤمنون انكارا على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها اتم استلزام وانكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن المشتمل على ذلك بأفصح عبارة وأبينها واجز لها وأجزها فالعنى اشرف معنى والعبارة اشرف عبارة غاية الحلق بغاية البيان والفصاحة بل الذين كفرا يكذبون ولا يصدقون بالحلق سجودا وعندنا والله أعلم بما يضمرون في صدورهم ويكتمونه وما يسرونه من أعمالهم وما يجمعونه فيجازيهم عليه بعلمه وعده الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون

فصل ومن ذلك قوله سبحانه فلا قسم بالخمس الجوار الكنس والليل اذا مسس والصبح اذا تنفس اقسام سبحانه بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها هذا قول على وابن عباس وطامة المفسرين وهو الصواب والخمس جمع خانس الانقباض والاختفاء ومنه سمي الشيطان خناسا لانقباضه وانكماشه حين يذكر العبد ربه ومنه قول ابي هريرة فانخست والكنس جمع كانس وهو الداخل في كناسه اى في بيته ومنه تكسبت المرأة اذا دخلت في هودجها ومنه كنست الظباء اذا أوت الى اكناسها والجوارى جمع جارية كغاشية وخواش قال على ابن ابي طالب رضى الله عنه النجوم تخمس بالنهار وتظهر بالليل وهذا قول مقاتل وعطاء وقتادة وغيرهم قالوا الكواكب تخمس بالنهار فتنفى ولا ترى وتكنس في وقت غروبها ومعنى تخمس على هذا القول تأخر من البصر وتوارى عنه باختفاء النهار لها وفيه قول آخر وهو ان خنوسها رجوعها وهى حركتها الشرقية فان لها حركتين حركتها بفعالها وحركة بنفسها فتحنوسها حركتها بنفسها راجعة وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب وهى السيارة وهذا قول القراء وفيه قول ثالث وهو ان خنوسها كونها اختفاؤها وقت مغيبها فتغيب في مواضعها التى تغيب فيها وهذا قول الزجاج ولما كان للنجوم حال ظهر وحال اختفاء وحال جريان وحال غروب اقسام سبحانه بها في احوالها كلها ونبه بخنوسها حال ظهورها لان الخنوس هو الاختفاء بعد الظهور ولا يقال لم لا يزال مختفيا انه قد خنس فذكر سبحانه جريانها وغروبها بصريحها وخنوسها وظهورها واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذى مبدؤه الطلوع فالطلوع اول جريانها فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته وليس قول من فسرها بالظباء وبقر الوحش بالظاهر لوجوه احدها ان هذه الاحوال في الكواكب السيارة اعظم آية وهبة الثانية اشراك أهل الارض في معرفته بالمشاهدة والعيان الثالث ان البقر والظباء ليست لها حالة تختفى فيها عن العيان مطلقا بل لانزال ظاهرة في الفلوات الرابع ان الذين فسروا الآية بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفاء قال الواحدى هو من الخنس فى الانف وهو تأخر الارنية وقصر القصبية والبقر والظباء أنوفهن خنس والبقرة خنساء والظبي أخنس ومنه سميت الخنساء خنس لأنها ومعلوم ان هذا أمر خفى

يحتاج الى تأمل وأكثر الناس لا يعرفونه وآيات الرب التي يقسم بها لا تكون الا ظاهرة جليلة
 يشترك في معرفتها الخلائق وليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال
 في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر الخامس ان كنهه في اكنتهما ليس بأعظم من دخول الطير
 وسائر الحيوانات في بيته الذي يأوى فيه ولا يظهر منه حتى تعين للقسم السادس انه لو كان
 جمعا للظبي لقال الخنس بالتسكين لانه جمع أحسن فهو كأجر وجر ولو أريد به جمع بقرة
 خنساء لكان على وزن فعلاء ايضا كحمراء وجر فلما جاء جمعه على فعل بالتشديد استحال أن يكون
 جمعا لواحد من الظباء والبقر وتعين ان يكون جمعا لخانس كشاهد وشهد وصائم وصوم
 وقائم وقوم ونظائر السابغ انه ليس بالبين أقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا
 حرف القرآن ولما دونه وانما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما انه لما أقسم بالنفس وأقسم
 بأعلاها وهي النفس الانسانية ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم
 بالملويات أقسم بأشرفها وهي السماء وشمسها وقرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه
 وهو الليالي العشر واذا أراد سبحانه ان يقسم بغير ذلك ادرجه في العموم كقوله فلا أقسم
 بما تبصرون وما لا تبصرون وقوله والذكر والانثى في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ونحو ذلك الثامن ان اقتران القسم بالليل والصبح يدل على انها النجوم والافليس باللائق
 اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد وبهذا احتج ابو اسحق على انها النجوم
 فقال هذا أليق بذكر النجوم منه بذكر الوحش التاسع انه لو اراد ذلك سبحانه ليقينوا ذكر
 ما يدل عليه كما انه لما اراد بالجواري السفن قال ومن آياته الجوار في البحر كالعظام وهنا
 ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على انها البقر والظباء وفيه ما يدل على انها النجوم من الوجوه
 التي ذكرناها وغيرها العاشر ان الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين ورجوم
 للشياطين وبين المقسم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة للقلوب وداحض لشبهات
 الشيطان اعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن والله اعلم

فصل واختلف في عسمة الليل هل هي اقباله ام ادباره فلا كثرون على ان عسمة
 بمعنى ولي وذهب وادبر هذا قول علي وابن عباس واصحابه وقال الحسن اقبل بظلامه وهو
 احدى الروايتين من مجاهد فزرحم الاقبال قال أقسم الله سبحانه وتعالى يا اقبال الليل واقبال النهار
 فقوله والصبح اذا تنفس مقابل ليل اذا عسمة قالوا ولهذا أقسم الله بالليل اذا بغنى والنهار
 اذا تجلى وبالضحى قالوا فغشيان الليل نظير عسمة ونجلى النهار نظير تنفس الصبح اذ هو مبدؤه
 وأوله ومن زرحم انه ادباره احتج بقوله تعالى كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر فأقسم
 بادبار الليل واسفار الصبح وذلك نظير عسمة الليل وتنفس الصبح قالوا والاحسن أن يكون
 القسم بانصرام الليل واقبال النهار فانه عقيبه من غير فصل فهذا اعظم في الدلالة والعمرة بخلاف
 اقبال الليل واقبال النهار فانه لم يعرف القسم في القرآن بهما ولان بينهما زمانا طويلا فالآية
 في انصرام هذا ومجيئ الآخر عقيبه بغير فصل ابلغ فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره
 وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله بطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلمتا تنفس هرب الليل وادبر
 بين يديه وهذا هو القول والله اعلم

فصل ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القرآن وأخبر انه قول رسول كريم وهو ههنا
 جبريل قطعاً لانه ذكر صفته بعد ذلك بما عينه به واما الرسول الكريم في الحاقه فهو محمد صلى
 الله عليه وسلم لانه نفي بعده ان يكون قول من زعم من اعدائه انه قوله فقال وما هو بقول شاعر
 قليلاً ما تؤمنون ولا يقول كاهن قليلاً ما نذرون فاضافة الى الرسول المسمى تارة والى البشري
 تارة واضافته الى كل واحد من الرسولين اضافة بتبليغ الاضافة انشاء من عنده والا تناقضت
 النسبتان ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله وهذا صريح
 في انه كلام من أرسل جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم وان كلامهما بلغه عن الله فهو قوله مبلغاً
 وقول الله الذي تكلم به حقاً فلا راحة لمن انكر ان يكون الله متكلماً بالقرآن وهو كلامه حقاً في
 هاتين الآيتين بل هما من اظهر الادلة على كونه كلام الرب تعالى وانه ليس لرسولين الكريمين
 منه الا التبليغ فجبريل سمعه من الله ومحمد صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ووصف رسوله المسمى
 في هذه السورة بأنه كريم قوى مكين عند الرب تعالى مطاع في السموات أمين فهذه خمس صفات
 تتضمن تزيك سنة القرآن وانه سماح محمد من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك
 بهذا السند علو وجلالة قول الله سبحانه بنفسه تزيكته الصفة الاولى كون الرسول الذي جاء به
 الى محمد صلى الله عليه وسلم كريماً ليس كما يقول اعداؤه ان الذي جاء به شيطان فان الشيطان خبيث
 مخبث لئيم قبيح المنظر عديم الخير باطنه اقبح من ظاهره وظاهره اشنع من باطنه وليس فيه
 ولا عنده خير فهو ابعد شئ عن الكرم والرسول الذي اتى القرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم
 كريم جليل المنظر بهي الصورة كثير الخير طيب مطيب معلم الطيبين وكل خير في الارض من
 هدى وعلم ومعرفة وايمان وير فهو بما اجراه ربه على يده وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي
 الوصف الثاني انه ذو قوة كما قال في موضع آخر علمه شديد القوى وفي ذلك تنبيه على امور احدها
 انه يقوته يمنع الشياطين ان تدنونه وان ينالوا منه شيئاً وان يزيدوا فيه وينقصوا منه بل اذا
 رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه الثاني انه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه ومعاضده
 ومواده وناصر كما قال تعالى وان نظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
 والملائكة بعد ذلك ظهير ومن كان هذا القوى وليه ومن انصاره واعوانه ومعلمه فهو المهدي
 المنصور والله هاديه وناصره الثالث ان من مادي هذا الرسول فمادي صاحبه ووليه جبريل
 ومن مادي ذا القوة والشدة فهو حرضة لهلاك الرابع انه قادر على تنفيذ ما امر به لقوته فلا يعجز
 عن ذلك مودله كما امر به لاماته فهو القوى الامين واحد كما اذا انتدب غيره في امر من الامور لرسالة
 او ولاية او وكالة او غيرها فانما ينتدب لها القوى عليه الامين على فعله وان كان ذلك الامر من
 اهم الامور عنده انتدب له قويا اميناً معظماً ذامكاً عنده مطاعاً في الناس كما وصف عبده
 جبريل بهذه الصفات وهذا يدل على عظمة شأن المرسل والرسول والرسالة والمرسل اليه
 حيث انتدب له الكريم القوى المكين عنده المطاع في الملأ الاعلى الامين حتى الامين
 فان الملوك لا ترسل في مهماتها الا الاشراف ذوي الاقدار والرتب العالية وقوله عند ذي
 العرش مكين اي له مكانة ووجاهة عنده وهو اقرب الملائكة اليه وفي قوله عند ذي العرش
 اشارة الى علو منزلة جبريل اذ كان قريباً من ذي العرش سبحانه وفي قوله مطاع ثم اشارة

الى أن جنوده واهوائه يطيعونه اذ اندهم لنصر صاحبه وخليه محمد صلى الله عليه وسلم
 وفيه اشارة أيضا الى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سبب مطامع في الارض كما أن
 جبريل مطاع في السماء وان كلام الرساين مطاع في محله وقومه وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة
 الملوك المطاعين في قومهم فلم يندب لهذا الامر العظيم الا مثل هذا الملك المطاع وفي وصفه
 بالامانة اشارة الى حفظه ما حمله وأدائه على وجه ثم تزه رسوله البشري وزكاه عما
 يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا
 بألسنتهم خلافة فهم يعلمون انهم كانوا كاذبين ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل
 وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك البصر لا كما يقوله المتفلسفة
 ومن قادم انه العقل الفعال وانه ليس مما يدرك بالبصر وحقيقته عندهم انه خيال موجود
 في الاذهان لافي الاعيان وهذا مما خالفوا به جميع الرسل وأبناهم وخرجوا به من جميع الملل
 ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى
 فان رؤيته لجبريل هي أصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعاً وأما
 رؤيته لربه تعالى فغايتهما أن تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة
 من الصحابة بأنه لم يره وحسبى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك فمن الى
 تقرير رؤيته لجبريل اخرج من الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب أعظم من
 رؤية جبريل ومن دونه فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم تزه رسوله كليهما احدهما
 بطريق الطبق والثاني بطريق المزوم مما يصاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو والضنة
 والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة
 لا يتم مقصودها الا بأمر من ادائها من غير كتمان وادائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان
 والقراءتان كالأيتين تضمنت احدهما وهي قراءة الصاد تزيه عن البخل فان الضنين البخل
 يقال ضننت به اضن بوزن بخلت به البخل ومعناه ومنه قول جميل بن ميمر

أجود بضنون التلاواني * بصرك عن سألني لصنين

قال ابن عباس رضى الله عنهما امس ببخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضمن عليهم بما علم
 وأجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القرآن والوحى وقال الفراء يقول تعالى بأنه غيب السماء وهو
 منفوس فيه فلا يضمن به عليكم وهذا معنى حسن جداً فان مادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما
 عن لا يعرف قدره ويذمه ويذم من هو عنده ومع هذا فهذا الرسول لا يبخل عليكم بالوحى الذي هو
 أنفس شئ وأجله وقال ابو على الفارسي المعنى بأنه الغيب في دينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم
 الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا وفيه معنى آخر وهو أنه على ثقة من الغيب الذي
 يخبر به فلا يخاف ان ينتقض ويظهر الامر بخلاف ما أخبر به كما يقع للكهان وغيرهم عن يخبر بالغيب
 فان كذبهم اضعاف صدقهم واذا أخبر احدهم بخبر لم يكن على ثقة منه بل هو خائف من ظهور
 كذبه فاقدم هذا الرسول على الاخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو اعظم الغيب واتقاه مقيماً
 عليه مبدئياً في كل مجمع ومعيداً منادياً به على صدقه مستجلباً به لاعدائه من اعظم الأدلة على
 صدقه وامراً من قرأ بظنين بالظاء فعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس من الظن

الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين ومنه ما انشده ابو عبيدة
 اما وكتاب الله لاعتن شاة * هجرت ولكن الحب ظنين

والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو أمين لا يزيد فيه ولا ينقص وهذا يدل على
 ان الضمير يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملوكي بالامانة ثم قال
 وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اى وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل واختار ابو عبيدة قراءة
 الظاه لمعنيين احدهما ان الكفار لم يخجلوه وانما اتهموه فبنى التهمة اولى من فنى الخجل الثاني
 انه قال على الغيب ولو كان المراد الخجل لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا او قيل
 ما يقال على كذا قلت ويرجمه انه وصفه بما وصف به رسوله الملوكي من الامانة فبنى
 هذه التهمة كما وصف جبريل بأنه أمين ويرجمه ايضا انه سبحانه نفى اقسام الكذب
 عن كلها عما جاء به من الغيب فان ذلك لو كان كذبا فاما ان يكون منه او ممن علمه وان كان منه
 فاما ان يكون نعمه او لم يتعمده فان كان من معلمه فليس هو بشيطان رجيم وان كان منه
 مع التعمد فهو المتهم ضد الامين وان كان عن غير تعمد فهو المجنون فبنى سبحانه عن رسوله
 ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تزكية فلماذا قال سبحانه وما هو بقول شيطان رجيم اى
 ليس تعلم الشيطان ولا يقدر عليه ولا يحسن منه كما قال تعالى وما تورات به الشياطين وما يذبحي
 لهم وما يستطيحون فبنى فعله وانفساه منهم وقدرتهم عليه وكل من له ادنى خبيرة بأحوال
 الشياطين والمجانين والمثيمين واحوال الرسل يعلم علما لا يارى فيه ولا يشك بل علما ضروريا كسائر
 الضروريات مناقاة احدهما الآخر ومضادته له كمنافاة احد الضدين لصاحبه بل ظهور المناقاة
 بين الامرين للعقل ابين من ظهور المناقاة بين النور والظلمة لبصروها هذا ويح سبحانه من كفر بعد
 ظهور هذا الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة الشياطين فقال ابن تذهبون قال ابو امصق فأبى
 طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم قلت هذا من احسن الازم وايدنه ان تبين
 للسامع الحق ثم نقول له ابش نقول خلاف هذا وابن تذهب خلاف هذا قال تعالى فأبى حديث بعده
 يؤمنون وقال فأبى حديث بعد الله وآياته يؤمنون فالامر منحصر في الحق والباطل والهدى
 والضلال فاذا حددتم عن الهدى والحق فأبى العدل وابن المذهب ونظير هذا قوله فهل
 عسى ان نوليم ان نقتصدوا في الارض ونقطعوا ارحامكم اى ان ارضنم عن الايمان
 بالقرآن والرسول وطاعته فليس الا لفساد في الارض والشرك والمعاصي وقطيعة الرحم
 ونظيره قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج لما تركوا الحق وعدلوا عنه
 مريج عليهم امرهم والتبس فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون بل لا يقواون شيئا الا كان
 باطلا ولا يفعلون شيئا الا كان ضائعا غير نافع لهم وهذا شأن كل من خرج عن الطريق
 الموصل الى المقصود ونظيره قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواهم
 وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله عز وجل فذلكم الله ربكم الحق فاذا بعد الحق
 الا الضلال فأنى تصرفون

﴿ فصل ﴾ ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر للعالمين وفي موضع آخر ذكر اللمتقين
 وفي موضع آخر ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ولقومه وفي موضع آخر ذكر مطلق

وفي موضع آخر ذكر مبارك وفي موضع آخر وصفه بأنه ذوالذكر ويجمع هذه المواضع
تبيين المراد من كونه ذكرا تاما وخصا وكونه ذاذكر فانه بذكر العباد بمصالحهم في معاشهم
ومعادهم وبذكرهم بالبداء والمعاد وبذكرهم بالرب تعالى واسماؤه وصفاته وافعاله وحقوقه
على عباده وبذكرهم بالخير ليقتصدوه وبالمشهور وبذكرهم بنفوسهم واحوالها وآفاتها
وماتكلم به وبذكرهم بعدوهم وما يريد منهم وبما ذابح تترزون من كبره ومن اى الابواب
والطرق يأتى اليهم وبذكرهم بغاقتهم وحاجتهم اليه وانهم مضطرون اليه لا يستغنون عنه
نفسا واحدا وبذكرهم بنعمه عليهم وبدعوهم بها الى نعم اخرى اكبر منها وبذكرهم بأسمه
وشدة بطشه وانتقامه ممن عصى أمره وكذب رسله وبذكرهم بثوابه وعقابه ولهذا بأمر
سبحانه عباده أن يذكروا ما فى كتابه كما قال خذوا ما آتيناكم بقوة واذا کروا ما فيه لعلكم تتقون
واذا كان كذلك فأحق او اولى واول من كان ذكره من انزل عليه ثم قوله ثم لجميع العالمين
وحيث خص به المتقين فلانهم الذين اتفقوا بذكره وامام وصفه بأنه ذوالذكر فلانه
مشمول على الذكر فهو صاحب الذكر ومنه الذكر فهو ذكروفيه الذكر كما أنه هدى وفيه الهدى
وشفاء وفيه الشفاء ورحمة وفيه الرحمة وقوله سبحانه لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين
وهو وبدل بعض من كل وهذا من احسن ما يستدل به على ان البدل في قوة ذكر حاملين
مقصودين فان جهة كونه ذكرا العالمين كلهم غير جهة كونه ذكرا لاهل الاستقامة فانه ذكرا للمعوم
بالصلاحية والقوة وذكرا لاهل الاستقامة بالحصول والنفع فكما ان البدل اخص من البدل
منه فالعامل المقدر فيه اخص من العامل الملقوط في البدل منه ولا بد من هذا تأمله
وقوله لمن شاء منكم رد على الجبرية التي ثلثين بأن العبد لامشيئة له أو ان مشيئته مجرد علامة
على حصول الفعل لا ارتباط بينها وبينه الا مجرد اقتران طارى من غير ان يكون سببا فيه وقوله
واما نشاؤن الا ان يشاء الله رد عن القدرة القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بايجاد الفعل من غير توفيق
على مشيئة الله بل متى شاء العبد الفعل وجد ويستحيل عندهم تعلق مشيئة الله بفعل العبد
بل هو بفعله بدون مشيئة الله فالآيتان مبطلتان لقول الطائفتين فان قال الجبرى هو سبحانه
لم يقل ان الفعل واقع بمشيئة العبد بل اخبر ان الاستقامة تحصل عند المشيئة ونحن قائلون بذلك وقال
القدرى قوله واما نشاؤن الا ان يشاء الله مختلفة بمشيئة العبد هي الموجبة للفعل التي به يقع ومشيئة
الله لفعله هو أمره بذلك ونحن لاننكر ذلك فالجواب ان هذا من تحريف الطائفتين اما
الجبرى فيقال له اقتران الفعل عندك بمشيئة العبد بمنزلة اقترانه بكونه وشكله وسائر
اغراضه التي لا تأثير لها في الفعل فان نسبة جميع اغراضه الى الفعل في عدم التأثير نسبة ارادية
عندك والاقتران حاصل بجميع اغراضه فما الذى أوجب تخصيص المشيئة وهل سوى الله
سبحانه في فطر الناس أو عقولهم أو شرائعهم بين نسبة المشيئة والارادة الى الفعل ونسبة
سائر اغراض الحى اذا كان عندك ليس الا مجرد الاقتران مادة والاقتران العساذى حاصل مع
الجميع واما القدرى فحريفه أشد لانه جعل المشيئة على الامر وقال المعنى واما نشاؤن الا بامر الله
وهذا باطل قطعا فان المشيئة في القرآن لم تستعمل في ذلك وانما استعملت في مشيئة التكوين
كقوله ولو شاء ربك ما فعلوه وقوله ولو شاء الله ما اقتلوا وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس

هداها وقوله أهل يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ونظائر ذلك مما لا يصح فيه
 حل المشيئة على الامر أئبته والذي دلته عليه الآية مع سائر ادلة التوحيد وادلة العقل
 الصريح ان مشيئة العباد من جملة الكائنات التي لا توجد الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فإلم يشأ لم
 يكن أئبته كما ان ماشاء كان ولا بد ولكن ههنا امر يجب التنبيه عليه وهو ان مشيئة الله سبحانه
 تارة تتعلق بفعله وتارة تتعلق بفعل العبد فتعلقها بفعله وهو ان يشاء من نفسه امانته عبده
 ونوفيقه ونهيئته للفعل فهذه المشيئة تستلزم فعل العبد ومشيئته ولا يكتفي في وقوع الفعل مشيئة
 الله لمشيئة عبده دون ان يشاء فعله فانه سبحانه قد يشاء من عبده المشيئة وحدها فيشأ العبد
 الفعل ويريد ولا يفعله لانه لم يشأ من نفسه اطاعته عليه وتوفيقه له وقد دل على هذا
 قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين وقوله وما يذكرون الا ان يشاء الله
 وهاتان الآيتان متضمنتان اثبات الشرع والقدر والاسباب والمسببات وفعل العبد وامتداده
 الى فعل الرب ولكل منهما عبودية مختص بهان عبودية الآية الاولى الاجتهاد واستفراغ
 الوسع والاختيار والسعي وعبودية الثانية الاستعانة بالله والتوكل عليه والرجاء اليه واستئذان
 التوفيق والعون منه والعلم بأن العبد لا يمكنه ان يشاء ولا يفعل حتى يجعله الله كذلك وقوله
 رب العالمين ينظم ذلك كله ويتضمنه لمن عطل احد الامرين فقد جحد كمال الربوبية وعطلها
 وبالله التوفيق

فصل في ومن ذلك قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجحات سبحا
 فالساجحات سبحا فالمدبرات امرا * فهذه خمسة امور وهي صفات الملائكة فاقسم سبحانه
 بالملائكة الفا حلة لهذه الافعال اذ ذلك من اعظم آياته وحذف مفعول النزح والنشاط لانه لو
 ذكر ما نزح وتنشط لاهم التقييده وان القسم على نفس الافعال الصادرة من هؤلاء الغافلين لم
 يتعلق الغرض بذكر المفعول كقوله فاما من اعطى واتقى ونظيره فكان نفس النزح هو المقصود
 لاهين المنزوع واكثر المفسرين على انها الملائكة التي تنزع ارواح بنى آدم من اجسامهم وهم
 جماعة كقوله توفته رسلا وقوله ان الذين توفاهم الملائكة واما قوله قل بئنا كم ملك الموت الذي
 وكل بكم فاما ان يكون واحدا وله اهل وان امان يكون المراد الجنس لا الوحدة كقوله وصدقت
 بكلمات ربها وكتبه وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنزح هو اجتذاب الشئ بقوة والاغراق
 في النزح هو ان يجذب به الى آخره ومنه اغراق النزح في جذب القوة بأن يبلغ بها غاية المدفيع قال أفرق
 في النزح ثم صار مثلا لكل من بالغ في فعل حتى وصل الى آخره والفرق اسم مصدر اقيم مقامه كالعطاء
 والكلام اقيم مقامه الاعطاء والتكلم واختلف الناس على النازعات متعدد ولزم فعل القول
 الذي حكمناه يكون متعديا وهذا قول علي ومسروق ومقاتل وابي صالح وعطية عن ابن
 عباس وقال ابن مسعود هي أنفس الكفار وهو قول قتادة والسدي وعطاء عن ابن عباس
 وعلى هذا فهو فعل لازم وغرقا على هذا معناه نزا شديدا ابلغ ما يكون واشده وفي هذا
 القول ضعف من وجوه أحدها ان عطف ما بعده عليه يدل على أنها الملائكة فهي الساجحات
 والمدبرات والنازعات الثاني ان الاقسام بنفوس الكفار خاصة ليس بالبين ولا في اللفظ
 ما يدل عليه الثالث ان النزح مشترك بين نفوس بنى آدم والاغراق لا يختص بالكافر وقال

الحسن النازعات هي النجوم تنزع من المشرق الى المغرب وغرقا وغروبها قال تنزع من ههنا وتفرق ههنا واختاره الاخفش وأبو حبيدة وقال بجاهد هي شداث الموت وأهواله التي تنزع الارواح نزما شديدا وقال عطاء وعكرمة هي القسي والنازعات على هذا القول بمعنى النسب أي ذوات النزع التي ينزع بها الراحي فهو النازع قلت النازعات اسم فاعل من نزع ويقال نزع كذا اذا اجتذبه بقوة ونزع عنه اذا خلاه وتركه بعده ملاسته له ونزع اليه اذا ذهب اليه ومال اليه وهذا لما توصف به النفوس التي لها حركة ارادية للميل الى الشيء أو الميل عنه واحق ما صدق عليه هذا الوصف الملائكة لان هذه القوة فيها أكل وموضع الأية فيها أعظم فهي التي تفرق في النزع اذا طابت ما نزعته أو تنزع اليه والنفوس الانسانية أيضا لها هذه القوة والنجوم أيضا تنزع من أفق الى أفق فالنزع حركة شديدة سواء كانت من ملك أو نفس انسانية أو نجم والنفوس تنزع الى أوطانها والى ما ألفها وعند الموت تنزع الى ربها والمنايا تنزع النفوس والقسي تنزع بالسهام والملائكة تنزع من مكان الى مكان وتنزع ما وكلت بنزعه والخيل تنزع في أعتتها نزما تفرق فيه الاغنة لطول أعناقها فالصفة واقعة على كل من له هذه الحركة التي هي آية من آيات الرب تعالى فانه هو الذي خلقها وخلق محلها وخلق القوة والنفوس التي بها تتحرك ومن ذكر صورة من هذه الصور فلما أراد التمثيل وان كانت الملائكة أحق من تناوله هذا الوصف فأقسم بطوائف الملائكة وأصنافهم فهم النازعات التي تنزع الارواح من الاجساد والناشطات التي تنشطها أي تخرجها بسرعة وخفة من قولهم نشط الدلو من البئر اذا أخرجهما وأنا أنشط بكذا أي أخف له وأسرع والسابحات التي تسبح في الهواء في طريق مجريها الى ما أمرت به كما تسبح الطير في الهواء فالسابقات التي تسبق وتسرع الى ما أمرت به لا يبطئ عنه ولا تتأخر فالمدبرات أمور العباد التي أمرها بما يتدبرها وهذا أولى الأقوال وقد روى عن ابن عباس أن النازعات الملائكة تنزع نفوس الكفار بشدة وعنف والناشطات الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين بسر وسهولة واختار الفراء هذا القول فقال هي الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها وتنزع نفس الكافر قال الواحدى انما اختار ذلك لما بين النشط والنزع من الفرق في الشدة واللين فالنزع الجذب بشدة والنشط الجذب برفق والناشطات هي النفوس التي تنشط لما أمرت به والملائكة أحق الخلق بذلك ونفوس المؤمنين ناشطة لما أمرت به وقيل السابحات هي النجوم تسبح في الفلك كما قال تعالى كل في ذلك يسبحون وقيل هي السفن تسبح في الماء وقيل هي نفوس المؤمنين تسبح بعد المفارقة صاعدة الى ربها قلت والصحيح انها الملائكة والسياق يدل عليه وأما السفن والنجوم فلما تسمى جارية وجواري كما قال تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالعظام وقال جلنا كم في الجارية وقال الجوارى الكفن ولم يسمها سباحات وان أطلق عليها فعل السباحة كقوله كل في ذلك يسبحون ويدل عليه ذكره السابقات بعدها والمدبرات بالفاء وذكره الثلاثة الاول بالواو ولان السبق والتدبير مسبب عن المذكورة قبله فلما نزع ونشطت وسبحت فسبقت الى ما أمرت به فدبرته ولو كان السابقات هي السفن أو النجوم أو النفوس الآدمية فلما عطف عليها فعل السبق والتدبير بالفاء فقام له قال مسروق ومقاتل والكلبي السابقات سبقتها الملائكة قال مجاهد وأبو روق

سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح والايان والتصديق قال مقاتل نسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة وقال الفراء والزجاج هي الملائكة نسبق الشياطين بالوحى الى الانبياء اذ كانت الشياطين تسترق السمع وهذا القول خطأ لا يخفى فساده اذ يقتضى الاشتراك بين الملائكة والشياطين فى القائه الوحى وان الملائكة نسبقهم به الى الانبياء وهذا ليس بصحيح فان الوحى الذى تأتى به الملائكة الى الانبياء لا تسترقه الشياطين وهم معزولون عن سماعه وان استرقوا بعض ما يسمعون من ملائكة السماء الدنيا من أمـور الحوادث فآله سبحانه صمان وحيه الى الانبياء أن تسترق الشياطين شيئاً منه وهزلهم عن سماعه ولو ان قائل هذا القول فسر السابقات بالملائكة التى نسبق الشياطين بالرجم بالشهب قبل القاء الكلمة التى استرقها لكان له وجه فان الشيطان يدبر مسرعا بالقائه الى وليه فتسبقه الملائكة فى نزوله بالشهب الثواب فتملكه وربما أتى الكلمة قبل ادراك الشهاب له وفمرت السابقات سبقا بالانفس السابقات الى طاعة الله ومرضاة وأما المديرات أمرا أجهوا على انه الملائكة قال مقاتل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت يدبرون أمر الله تعالى فى الارض وهم المقسمات أمرا قال عبدالرحمن بن سابط جبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل مـ وكل بالقطر والنبات وملك الموت مـ وكل بقبض الانفس واسرافيل ينزل بأمر الله عليهم وقال ابن عباس هم الملائكة وكلمهم الله بأمر عرفة العمل بها والوقوف عليها بعضهم لى آدم بحفظـ ون يكتبون وبعضهم وكلوا بالامطار والنبات والخسف والمسخ والرياح والسحاب انتهى وقد أخبر ان الله وكل بالرجم مذكا ولرؤيا ملك موكل بها ولجنة ملائكة موكلون بممارتها وعمل آلتها وأوائها وفراسها وفرشها وغارقتها وأرائكها ولتار ملائكة موكلة بعمل ما فيها وايقادها وغير ذلك فالدنيا وما فيها والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ فوكل الله بذلك ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك ولهذا كان الايمان بالملائكة احد أركان الايمان الذى لا يتم الايمان الا به وأما من قال انها النجوم فليس هذا من قول أهل الاسلام ولم يجعل الله النجوم تدبر شيئا من الخلق بل هى مدبرة منخرة كما قال تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فآله سبحانه هو المدير بملائكته لأم العالم العلوى والسفلى قال الجرجاني وذكر السابقات والمديرات بالفان وما قبلها بالواو لان ما قبلها اقسام مستأنفة وهذا القسم منشأ عن الذى قبلها كما أنه قال فاللانى سجين فسبقن كما تقول قام فذهب أو جب الفان القيام كان سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يجعل القيام سببا للذهاب واعترض عليه الواحدى فقال هذا غير مطرد فى هذه الآية لانه بعد أن يجعل السبق سببا للتدبير مع أن السابقات ليست الملائكة فى قول المفسرين قلت الملائكة داخلون فى السابقات قطعا وأما اختصاص السابقات بالملائكة فهذا محتمل وأما قوله يبعد أن يكون السبق سببا للتدبير فليس كما زعم بل السبق المبادرة الى تنفيذ ما يؤمر به الملك فهو سبب لفعل الذى أمر به وهو التدبير مع أن الفاء دالة على التعقيب وأن التدبير يتعقب السبق بلا تراخ بخلاف الاقسام الثلاثة والله أعلم وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق وهو البعث المستلزم لصديق الرسول وثبوت القرآن أو انه من القسم الذى اريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالقسم به دون أن يراد به مقسم عليه بعينه وهذا القسم يتضمن الجواب

المقسم عليه وان لم يذ كر لفظا ولعل هذا مراد من قال انه محذوف للعلم به لكن هذا الوجه
الطرف مسلكا فان المقسم به اذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما استغنى عن ذكره بذكره
وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه فتأمله ولعل هذا قول من قال انه انما أقسم
برب هذه الاشياء وحذف المضاف فان معناه صحيح لكن على غير الوجه الذي قدروه
فان اقسامه سبحانه بهذه الاشياء اظهر ودلائلها على ربوبيته ووحدايته وعلوه وقدرته وحكمته
فالاقسام بها في الحقيقة اقسام بر بوبيته وصفات كماله فتأمله ثم قرر سبحانه بعده هذا المقسم امر المعاد
ونبوة موسى المستلزمة انبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ من المحال أن يكون موسى نبيا
ومحمد ليس نبيا مع أن ما ثبت نبوة موسى فلمحمد نظيره أو أعظم منه وقرر سبحانه تكليمه
لموسى بندا لله نفسه فقال اذ ناداه ربه فأثبت المستلزم للكلام والتكليم وفي موضع
آخر اثبت النجا والنداء والجا نوع من التكليم ومحال ثبوت النوع بدون الجنس ثم امره ان
يخاطبه بألین خطاب فيقول له هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فخشي نفي هذا
من لطف الخطاب ولينه وجوه أحدها اخراج الكلام مخرج العرض ولم يخرج مخرج الامر
والالزام وهو اطف ونظيره قول ابراهيم لصيفه المذكر مين الا تاكلون ولم يقل كواو الثاني
قوله الى أن تزكى والتزكى التمساء والطهارة والبركة والزيادة فعرض عليه أمرا يقبله كل
ما قل ولا يرد الاكل أحق جاهل الثالث قوله تزكى ولم يقل أزكيت فأضاف التزكية الى نفسه
وعلى هذا يخاطب المملوك الرابع قوله وأهديك اى كون دليلك وهدايا بين يديك فنسب
الهداية اليه والتزكى الى المخاطب اى كون دليلك وهدايا فتزكى انت كما تقول للرجل
هل لك ان ادلك على كسرتى تأخذ منه ماشئت وهذا احسن من قوله اعطيك الخامس قوله
الى ربك فان في هذا ما يوجب قبول ما دل عليه وهو انه يدعو ويوصله الى ربه فطره وخلقه
الذى اوجده ورباه بنعمه جنينا وصغيرا وكبيرا أو آناه الملك وهو نوع من خطاب الاستعطاف
والالزام كما تقول لمن خرج من طاعة سيده الا تطع سيدك ومولاك ومالكك وتقول له ولد
الا تطيع أبك الذى ربك السادس قوله فخشى اى اذا اهتديت اليه وعرفته خشيته لان من
عرف الله خافه ومن لم يعرفه لم يخفه فخشيته تعالى مقرونة بعرفته وعلى قدر المعرفة
تكون الخشية السابع ان في قوله هل لك فائدة لطيفة وهى ان المعنى هل لك في ذلك حاجة
أو ارب ومعلوم ان كل ما قل يبادر الى قول ذلك لان ادعى اغايد حوالى حاجته ومصالحته
لا الى حاجة الداعى فكأنه يقول الحاجة لك وانت المتزكى وانا الدليل لك والمرشد لك
الى اعظم مصالحك فقابل هذا بغاية الكفر والعناد وادعى أنه رب العباد هذا وهو يعلم
أنه ليس بالذى خلق فسوى ولا قدر فهدى فكذب الخبر وعصى الامر ثم أدبر يسمي بالخدعة
والدكر فحشر جنوده فأجابوه ثم نادى فيهم بأنه ربهم الاعلى واستخضعهم بأطاعوه فبطش به
جبار السموات والارض بطشة عزيز مقتدر وأخذ نكال الآخرة والاولى ليحشر بذلك
من يعتبر فاعتبر بذلك من خشى ربه من المؤمنين وحق القول على الكافرين ثم أقام سبحانه
جنته على العالمين بخلق ما هو أشد منهم وأكبر وأعظم وأعلى وأرفع وهو خلق السماء وبنائها
ورفع سمكها وتسويتها وظلام ليلاها واخراج ضحاها وخلق الارض ومدّها وبسطها

وتهيئتها لما يراد منها وأخرج منها شراب الحيوان وأقوا لهم وأرسي الجبال فجعلها
رواسي للارض لتلاقيد بأهلها وأودعها من المنافع ما يتم به مصالح الحيوان الناطق
والبهيم فمن قدر على ذلك كله كيف يعجز عن اعادة تكلم خلقها جديدا فتأمل دلالة المقسم به
المذكور في أول السورة على المعاد والتوحيد وصدق الرسل كدلالة هذا الدليل المذكور
وإذا كان هذا هو المقصود لم يكن محتاجا إلى جواب والله أعلم

فصل في ذلك قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفاء والناشرات نشرات
فالفرقات فرقا للمقيات ذكر اعذرا أو نذرا إنما توجدون لواقع فسرت المرسلات باللائكة وهو
قول أبي هريرة وابن عباس في رواية مقاتل وجاعة وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود
واحدى الروایتين عن ابن عباس وقول قتادة وفسرت بالسحاب وهو قول الحسن وفسرت
بالانبياء وهو رواية عطية عن ابن عباس قلت الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الانبياء
ويرسل الرياح ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فأرساله
واقع على ذلك كله وهو نوعان ارسال دين يحبه ويرضاه كارسال رسوله وانبيائه وارسال كون وهو
نوعان نوع يحبه ويرضاه كارسال ملائكته في تدمير أمر خلقه ونوع لا يحبه بل يخطئه ويغضه
كارسال الشيطان على الكفار فالارسال المقسم به ههنا مقيّد بالعرف فلما أن يكون ضد
المنكر فهو ارسال رسله من الملائكة ولا يدخل في ذلك ارسال الرياح والاصواعق ولا
الشياطين وأما ارسال الانبياء فلما لا يراد لقال والمرسلين وليس بالفصح تسمية الانبياء مرسلات
وتكلف الجملات المرسلات خلاف المهود من استعمال اللفظ فلم يطلق في القرآن جمع ذلك
الاجمع تذكير لاجمع تأنيث وأيضا فاقتران اللفظ بما بعدها من الاقسام لا يناسب تفسيرها
بالانبياء وأيضا فان الرسل مقسم عليهم في القرآن لا مقسم بهم كقوله تالله لقد أرسلنا إلى أمم
من قبلك وقوله وانك لمن المرسلين وقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وان كان العرف
من التابع كعرف الفرس وعرف الديك والناس إلى فلان عرف واحد أى سابقون في قصده
والتوجه اليه جاز ان تكون المرسلات الرياح ويؤيده عطف العاصفات عليه والناشرات وجاز
أن تكون الملائكة وجاز أن يتم النوصين لواقع ارسال عرفا عليهم ويؤيده أن الرياح موكل بها
ملائكة تسوقها وتصرفها ويؤيد كونها الرياح عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبب
فكأنها أرسلت فمصفت ومن جعل المرسلات الملائكة قال هي تعصف في مضيتها مسرعة كما
تعصف الرياح والا كثرون على انها الرياح وفيها قول ثالث انها تعصف بروح الكافر يقال تعصف
بالشيء اذا أباده وأهلكه قال الاشمي تعصف بالدارع والحاسر حكاها أبو اسحاق وهو قول
متكلف فان المقسم به لا بد ان يكون آية ظاهرة تدل على الربوبية وأما الامور القسابة التي يؤمن
بها فلما يقسم عليه وانما يقسم سبحانه بملائكته وكتبناه لظهور شأنهما ولقيام الأدلة
والاعلام الظاهرة الدالة على بوثهما وأما الناشرات نشرات فهو استئناف قسم آخر ولهذا أنى
به بالواو وما قبله معطوف على القسم الاول بالفاء قال ابن مسعود والحسن وبجاءه دوقة فتادة هي
الرياح تأتي بالمطر وبدل على صحة قولهم قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراب بين يدي
رحمته يعني انها تنشر السحاب نشرات وهو ضد الطي وقال مقاتل هي الملائكة تنشر كتب

بني آدم وصحائف أعمالهم وقاله مسروق وعطاء عن ابن عباس وقالت طائفة هي الملائكة تنشر
اجنحتها في الجو عند صعودها ونزولها وقيل تنشر أو أمر الله في الأرض والسماء وقيل تنشر
النفوس فخصيها بالإيمان وقال أبو صالح هي الأمطار تنشر الأرض أي يحييها قلت ويجوز
أن تكون الناشرات لازماً لمفعول له ولا يكون المراد أنهن نشرن كذا فإنه يقال نشر الميت حي
وأشهره الله إذا أحياه فيكون المراد بها النفس التي حيت بالعرف الذي أرسلت به الرسائل
أو الأشباح والأرواح والبساق التي حيت بالرياح الرسائل فإن الرياح سبب لنشور الأبدان
والنبات والوحى سبب لنشور الأرواح وحياتها لكن هنا أمر بنبي التفتن له وهو أنه
سبحانه جعل الاقسام في هذه السورة نوعين وفصل أحدهما من الآخر وجعل العاصفات
معطوفاً على الرسائل بفساء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد ثم جعل الناشرات كأنه قسم
مبتدأ يأتي فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء وأوهم هذا أن الفارقات والملقيات
مرتبطة بالناشرات وإن العاصفات مرتبطة بالرسالات وقد اختلفت في الفارقات والاكثرون
على أنها الملائكة ويدل عليه عطف الملقيات ذكر أعليها بالفاء وهي الملائكة بالاتفاق وعلى هذا
فيكون القسم بالملائكة التي تنشر اجنحتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل فألقت
الذكر على الرسل اعداوا واندرا ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها وقال هي
تفرق السحاب ههنا وههنا ولكن يأتي ذلك عطف الملقيات بالفاء عليها ومن قال الفارقات
أي القرآن يفرق بين الحق والباطل فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من
الثمامة إذا قبل أنها الرياح ومن قال هي جارات الرسل فإن اراد الرسل من الملائكة فظاهر وإن
اراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول وبظهور الله أعلم بما اراد من كلامه
أن القسم في هذه الآية وقع على النوعين الرياح والملائكة ووجه المناسبة أن حياة الأرض
والنبات والأبدان الحيوان بالرياح فالله من روح الله وقد جعلها الله تعالى نشورا وحياة القلوب
والأرواح بالملائكة فهذين النوعين يحصل نوعاً للحياة ولهذا الله أعلم فصل أحد
النوعين من الآخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء وتأمل كيف وقع القسم
في هذه السورة على المساد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والاشقياء فيها وقررها
بالحياة الأولى في قوله ألم نخلقكم من ماء مهين فذكر فيها المبدأ والمسار وأخلص السورة
لذلك فحسن الاقسام بما يحصل به نوعاً للحياة المشاهدة وهو الرياح والملائكة فكان في القسم
بذلك إين دليل واطهر آية على صحة ما قسم عليه وتضمنته السورة ولهذا كان المكذب بعد ذلك
في غاية الجحود والعداؤ الكفر فاستحق الويل بعد الويل فتضاعف عليه الويل كما تضاعف
منه الكفر والتكذيب فلا حسن من هذا التكرار في هذا الموضع ولا أعظم موقعاً منه تكرر
عشر مرات ولم يذكر الا في آية دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق وما يوجب
التصديق به فتأمل

فصل في ذلك قوله تعالى لا أقسم بيوم القيمة ولا أقسم بالنفس الهائمة وقد تقدم
ذكر هذين القسمين ومناسبة الجمع بينهما في الذكر وكون الجواب غير مذكور وأنه يجوز
أن يكون مما حذف لدلالة السياق عليه والعلم به ويجوز أن يكون من القسم المقصود به التنبيه

على دلالة المقسم به وكونه آية ولم يقصده مفسرنا عليه معينا فكأنه يقول اذ كر يوم القيمة
والنفس اللوامة مفسما بها لكونها من آياتنا وادلة ربوبيتنا ثم انكر على الانسان بعد هذه الآية
حسبانه وظنه ان الله لا يجمع عظامه بعد ما فرقها البلى ثم اخبر سبحانه عن قدرته على جمع
غيرها من عظامه وعلى هذا فيكون سبحانه قد اخرج على فعله لما انكره اعداؤه بقدرته عليه
واخبر عن فعله بانه لا يلزمهم من القدرة وقوع المقدور والمعنى بل نجعلها قادرين على تسوية
بنانه ودل على هذا المعنى المحذوف قوله بلى فانها حرف ايجاب لما تقدم من التثنية فلهاذا يستغنى
عن ذكر الفعل بذكر الحرف الدال عليه فدات الآية على الفعل وذكرت القدرة لا بطلان قول
المكذبين وفي ذكر البنان لطيفة اخرى وهى انها اطرافه وآخر ما يتيم به خلقه فن قدرته على جمع
اطرافه وآخر ما يتيم به خلقه مع دقتها وصغرها واطافتها فهو على مادون ذلك اقدر فالقوم
لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والارمام قيل ان يجمع ونسوى اكثر منها تفرقا وادقها اجزاء
وأخر اطراف البدن وهى عظام الانامل ومفاصلها وقالت طائفة المعنى نحن قادرون
على أن نسوى اصابع يديه ورجليه ونجعلها مستوية شياً واحداً كخنف البعير وحافر الحمار
لا تفرق بينهما ولا يمكنه ان يعمل بهاشياً مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل
من فنون الاعمال والبسط والقبض والثاني لما يريد من الحوائج وهذا قول ابن عباس وكثير
من المفسرين والمعنى على هذا القول اننا في الدنيا قادرين على أن نجعل عظام بنانه مجعومة دون
تفرق فكيف لا تقدر على جمعها بعد تفريقها فهذا وجه من الاستدلال غير الاول وهو الاستدلال
بقدرته سبحانه على جمع العظام التى فرقها ولم يجمعها والاول استدلال بقدرته سبحانه على
جمع عظامه بعد تفريقها وهما وجهان حسنان وكل منهما له الترجيح من وجه غير جمع الاول
انه هو المقصود وهو الذى انكره الكفار وهو اجراء على نسق الكلام والاراد لان الكلام
لم يسبق لجمع العظام وتفريقها في الدنيا وانما سبق لجمعها في الآخرة بعد تفرقها بالموت ويرجح
القول الثانى ولعله قول جمهور المفسرين حتى أن فيهم من لم يذكروا غيره وأنه استدلال بآية
ظاهرة مشهورة وهى تقرىق البنان مع انتظامها فى كف واحد وارتباط بعضها ببعض فهى متفرقة
فى عضو واحد يقبض منها واحدة ويبسط اخرى ويحرك واحدة والاخرى ساكنة ويعمل
بواحدة والاخرى معطلة وكلها فى كف واحدة درجة واحدة واحده ولو شاء سبحانه لسواها فعملها
صفة واحدة كبطان الكف ففاته هذه المنافع والمصالح التى حصلت بتفريقها فى هذا
أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت ثم اخبر سبحانه عن سوء حال
الانسان واصرارته على العصية والنجور وانه لا يرهوى ولا يتحاف يوماً يجمع الله فيه عظامه
ويبعثه حيا بل هو يريد للنجور ما طاش فيعجز في الحال ويريد للنجور في ضد وما بعده وهذا
عند الذى يخاف الله والدار الآخرة فهذا لا يندم على ما مضى منه ولا يقلع في الحال ولا يعزم
فى المستقبل على الترتك بل هو حازم على الاستمرار وهذا عند التائب المنيب ثم نبه سبحانه على
الحامل له على ذلك وهو استبعاده ليوم القيامة وليس هذا استبعادا لزمته مع اقراره بوقوعه
بل هو استبعاد لوقوعه كما حكى عنه فى موضع آخر قوله ذلك رجع بعبد اى بعبد وقوعه
ليس المراد انه واقع بعبد لزمته هذا قول جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وأصحابه قال

ابن عباس يقدم الذنب ويؤخر التوبة وقال قتادة وهكـرمة قدما قدما في معاصي الله لا ينزع عن فـجوره وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى بل يريد الانسان ليكذب بما امامه من البعث ويوم القيامة وهذا قول ابن زيد واختيار ابن قتيبة وأبي اسحق قال هؤلاء ودليل ذلك قوله بسئل أيان يوم القيامة ويرجع هذا القول لفظة بل فانها تعطى ان الانسان لم يؤمن بيوم القيامة مع هذا البيان والحجة بل هو مريد لتكذيبه ويرجعه أيضا ان السياق كله في ذم المكذب بيوم القيامة لاقدم العاصي والفاجر وأيضا فان ما قبل الآية وما بعدها يدل على المراد فانه قال أحسب الانسان ان لن نجتمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه فأنكر سبحانه عليه حسبانه ان الله لا يجمع عظامه ثم قرر عليه قدرته على ذلك ثم انكر عليه ارادة التكذيب بيوم القيامة فالاول حسبان منه أن لا يحياه بعد موته والثاني تكذيب منه بيوم البعث وانه يريد أن يكذب بما وضع وبان دليل وقوعه وثبوته فهو مريد لتكذيبه ثم أخبر عن نصر مجرته بالتكذيب فقال بسئل أيان يوم القيامة فالاول ارادة التكذيب والثاني نطقه بالتكذيب وتكلم به وهذا قول قوي كما ترى لكن ينبغي افرغ هذه الالفاظ في قول الب هذا المعنى فان لفظة يفجر انما تدل على عمل الفجور لاهل التكذيب وحذف الموصول مع ما جره وابقاء الصلة خلاف الاصل فان اصحاب هذا القول قالوا تقديره ليكفر بما امامه وهذا المعنى صحيح لكن دلالة هذا اللفظ عليه ليست بالبيينة فالجواب ان الامر كذلك لكن الفعل اذا ضمن معنى اهل آخر لم يلزم اعطاء حكمه من جميع الوجوه بل من جملة هذه اللفظة العظيمة الشأن وجزالتها ان يذكر المتكلم فعلا وما يضمنه معنى فعل آخر ويمر على المضمن احكامه لفظا واحكام الفعل الآخر معنى فيكون في قوة ذكر الفعلية مع غاية الاختصار ومن تدبر هذا وجدته كثيرا في كلام الله تعالى فلفظ يفجر اقتضت امامه بلا واسطة حرف ولا اسم موصول فأعطيت ما اقتضته لفظا واقتضى ما تضمنته من الفعل ذكر الحرف والموصول فأعطيته معنى فهذا وجه هذا القول لفظا ومعنى والله اعلم ثم أخبر سبحانه عن حال هذا الانسان اذا شاهد اليوم الذي كذب به فقال فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر فيسرق بصره اى يشخص لما يشاهده من العجائب التي كان يكذب بها وخسف القمر ذهب ضوءه وانحوى وجمع الشمس والقمر ولم يجتمعا قبل ذلك بل يجمعهما الذي يجمع عظام الانسان بعد ما فرقا البلى ومزقاها ويجمع الانسان يومئذ جميع عمله الذي قدمه وأخره من خير أو شر ويجمع ذلك من جمع القرآن في صدر رسوله ويجمع المؤمنين في دار الكرامة فيكرم وجوههم بالنظر اليه ويجمع المكذبين في دار الهوان وهو قادر على ذلك كله كما جمع خلق الانسان من نطفة من منى بمعنى ثم جملة علاقة مجتمعة الاجزاء بعدما كانت نطفة منفردة في جميع بدن الانسان وكما يجمع بين الانسان وملك الموت ويجمع بين الساق والساق اماساق الميت أو ساق من يجهز بدنه من البشر ومن يجهز روحه من الملائكة أو يجمع عليه شدة الدنيا والآخرة فكيف هذا الانسان أن يجمع بينه وبين عمله وجزائه وأن يجمع مع منى جنسه ليوم الجمع وأن يجمع عليه بين أمر الله ونهيه وهو دينه فلا يترك سدى مـلا مـطالا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب فلا يجمع عليه

ذلك فاجمع هذه السورة لعان الجمع والضم وقد افتتحت بالقسم يوم القيمة الذي يجمع الله فيه بين الاوابين والاخرين وبالنفس الواوامة التي اجتمع فيها هو مهها وغمومها وارادتها واعتقاداتها وتضمنت ذكر المبدأ والمعاد والقيامة الصغرى والكبرى واحوال الناس في المعاد وانقسام وجوههم الى ناظرة منعمة وباسرة معذبة وتضمنت وصف الروح بأنها جسم ينتقل من مكان الى مكان فيجمع من تضاريف البدن حتى تبلغ التراق ويقول الحاضرون من راق اي من يرقى من هذه العلة التي اصبحت على الحاضرين أي التمسوا له من يرقيه والرقبة آخر الطب وقبل من يرقى بها ويصعد أم الملائكة الرحمة أم الملائكة العذاب فعلى الاول تكون من رقى يرقى كرمي يرمى وعلى الثاني من رقى يرقى كسقى يشقى ومصدره الرقا ومصدر الاول الرقية والقول الاول أظهر لوجوه واحدتها انه ليس كل ميت بقول حاضر وه من يرقى بروحه وهذا اغا بقوله من يؤمن يرقى الملائكة بروح الميت وانهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب بخلاف التماس الرقية وهي الدماء فانه قل ما يخلو منه المحتضر الثاني ان الروح اغا يرقى بها الملك بعد مفارقتها وحيثئذ يقال من يرقى بها واما قبل المفارقة فطلب الرقية للمريض من الحاضرين أنسب من طلب علم من يرقى بها الى الله الثالث ان فاعل الرقية يمكن العلم به فحسن السؤال عنه ويفيد السامع واما راقى الى الله فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يسئل عنه ومن اغا يسئل به ان تعيين ما يمكن المسائل أن يصل الى العلم بتعيينه الرابع ان مثل هذا السؤال اغا يراد به تخصيص واثارة هو يوم الى فعل ما يقع بعده من قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا او يراد به انكار فعل ما يذكر بعدها كقوله من ذا الذي يشفع عنده الاباذنه وفعل الراقى الى الله لا يحسن فيه واحد من الامرين هنا بخلاف فاعل الرقية فانه يحسن فيه الاول الخامس ان هذا خرج على عادة العرب وغيرهم في طلب الرقية لمن وصل الى مثل تلك الحال فحى الله سبحانه ما جرت مادتهم بقوله وحذف فاعل القول لانه ليس الغرض متعلقا بالقائل بالقول ولم يجرادة المخاطبين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان محل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله اولى اذهونذ كيراهم بايشاهدونه ويسمعونه السادس انه لو اراد هذا المعنى لكان وجه الكلام ان يقال من هو الراقى ومن الراقى لا وجه للكلام غير ذلك كما يقال من هو القائل منكما كذا وكذا في الحديث من القائل كلمة كذا السابع ان كلمة من اغا يسئل به ان تعيينه كما يقول من الذي فعل كذا من ذا الذي قاله فيعلم ان فاعلا وقائلا فعل وقال ولا يعلم تعيينه فيسأل عن تعيينه من تارة وبأى تارة وهم لم يسألوا عن تعيين الملك الراقى بالروح الى الله فان قيل بل علموا ان ملك الرحمة والعذاب صاعد بروحه ولم يعلموا تعيينه فيسألوا عن تعيين احدهما قيل لم يعلموا ان تعيينه غير ممكن فكيف يسألون عن تعيينه ما لا يسئل لسامع الى تعيينه ولا الى الكلمة بالعلم به الثامن ان الآية انما صيقت لبيان بأسه من نفسه وبأس الحاضرين معه ومحقق اسباب الموت وأنه قد حضر ولم يبق شيء يجمع فيه ولا يخلص منه بل هو قد ظن أنه مفارق لا محالة فالحاضرون قد علموا أنهم يبقون لاسباب الحياة المعتادة تأثيري بقائه فطلبوا اسبابا خارجة عن المقدور تسحب الراقى والدعوات فقوالوا من راق أى من يرقى هذا العليل من اسباب الهلاك والرقية عندهم كانت مستعملة حيث لا يجدى الدواء

التاسع ان مثل هذا اغمايراد به النفي والاعتقاد وهو أحد التقديرين في الآية أي لأحد
يرقى من هذا العلة بعدما وصل صاحبها الى هذه الحال فهو اعتقاد لنفي الرقبة لاطلب
لوجود الرائي كقوله قل من يحي العظام وهي رميم أي لأحد يحييها وقد صارت الى هذه
الحال فان أريد بها هذا المعنى استعمال ان يكون من الرقي وان أريد بها الطلب استعمال أيضا
ان يكون منه وقد ينسأ أنها في مثل هذا اغما تستعمل للطلب أولا نكارا وحينئذ فنقول
في الوجه العاشر أنها اما ان يراد بها الطلب أو الاعتقاد والطلب اما ان يراد به طلب الفعل
أو طلب التعيين ولا سبيل الى حل واحد من هذه المعاني على الرقي لما بيناه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ ومن أسرار هذه المورة أنه سبحانه جمع فيها لاولياته بين جلال الظاهر
والباطن فزبن وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالنظر اليه فلا أجعل لبسواطنهم ولا أنم
ولا أحلى من النظر اليه ولا أجعل لظواهرهم من نضرة الوجهه وهي اشراقه ونحسينه
ويهبته وهذا كما قال في موضع آخر ولقاهم نضرة وسرورا ونظيره قوله يا بني
آدم قدأ نزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشافهنا جلال الظاهر وزينته ثم قال ولباس
القيوم ذلك خير فهذا جلال الباطن ونظيره قوله انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
فهذا جلال ظاهرها ثم قال وحفظا من كل شيطان مارد فهذا جلال باطنها ونظيره قوله عن
أمرأة العزيز بعد ان قالت ليوثا اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلبن
حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الاملك كريم قالت بذلك الذي لمنني فيه ولقد راودته عن نفسه
فانصمذ كرها لها لهداهو من تمام وصفها لحسانه وأنه في غاية الحسن ظاهرا وباطنا
وينظر الى هذا المعنى ويناسبه قوله ان لك ان لا تجوع فيه والاعرى وانك لا تنظم فيها
ولا تضهي فقابل بين الجوع والاعرى لان الجوع ذل الباطن والاعرى ذل الظاهر وقابل
بين الظمأ وهو حر الباطن والضحي وهو حر الظاهر بالبروز للشمس وقريب من هذا قوله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى في ذكر الزاد الظاهر الحمى والزاد الباطن المعنوي
فهذا زاد سفر الدنيا وهذا زاد سفر الآخرة ويلم به قول هود يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم فالاول القوة الظاهرة المنصرفة عنهم
والثاني الباطنة المنصرفة بهم ويشبهه قوله فساله من قوة ولاناصر فتسفي عنهم الدافعين
الدافع من أنفسهم والدافع من خارج وهو الناصر

﴿ فصل ﴾ ومن أسرارها أنها تضمنت اثبات قدرة الرب على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله
وهذا على أحد القولين في قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه ما فخرأ أنه قادر عليه ولم يفعله
ولم يرده وأصرح من هذا قوله تعالى وأ نزلنا من السماء ماء بقدر فاصكناه في الارض وانا
على عهاب به لقادرون وهذا أيضا على أحد القولين أي تفور العيون في الارض فلا يقدر
على الماء قال ابن عباس يريدان بغيض فيذهب فلا يكون من هذا السبب بل يكون
من باب القدرة على ما يفعله وأصرح من هذين الموضوعين قوله تعالى قل هو القادر
على أن يعيث عليكم مآذا ما من فوقكم أو من تحت ارجلكم وقد ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الآية اهو ذوجهك ولكن قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم

انه لا بد ان يقع في امته خسف ولكن لا يكون ما ما وهذا عذاب من تحت الارجل وروى انه كان في الامة قذف ايضا وهذا عذاب من فوق فيكون هذامن باب الاخبار بقدرته على ما يفعله وان اريد به القدرة على عذاب الاتنصال فهو من القدرة على ما لا يريد وقد صرح سبحانه بانه لو شاء لفضل مالم يفعله في غير موضع من كتابه كقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جوعيا وقوله ولو شئنا لا ندين ساكل نفس هداها ونظائر هذه وهذا مما اخفاه فيه بين اهل السنة وبه تبين فساد قول من قال ان القدرة لا تكون الا مع الفعل لا قبله وان الصواب التفصيل بين القدرة الموجبة والمصححة فبني القدرة عن الفاعل قبل الملازمة مطلقا خطأ والله اعلم

فصل * ومن أمرها انها تضمنت التاني والثبت في تلقي العلم وان لا يحمل السامع شدة محبته وحرصه وطلبه على مبادرة العلم بالاخذ قبل فراغه من كلامه بل من آداب الرب التي ادب بها نبيه صلى الله عليه وسلم امره بترك الاستعجال على تلقي الوحي بل بصبر الى ان يفرغ جبريل من قرأته ثم يقرأ به -د فراغه عليه فكذلك ينبغي لطالب العلم واسامعه ان يصبر على معلمه حتى يقضى كلامه ثم يعيده عليه او يسأل عما اشكل عليه منه ولا يبادره قبل فراغه وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه هذا احدها والثاني قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون اوبحسدت لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحقي ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما والثالث قوله سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله فضمن لرسوله ان لا ينسى ما قرأه اياه وهذا تناول القراءة وما بعد ما وقد ذم الله سبحانه في هذه السورة من يؤثر العاجلة على الآجلة وهذا الاستعجال بالتمتع بما يقنى وايشاره ما يقى ورتب كل ذم ووعيد في هذه السورة على هذا الاستعجال ومحبة العاجلة فارادته ان يفجر امامه هو من استعجاله وحب العاجلة وتكذيبه يوم القيامة من فرط حب العاجلة وايشاره لها واستعجاله بتصديه وتمتعه به قبل اوانه واولا حب العاجلة وطلب الاستعجال لتمتع به في الآجلة الكل ما يكون وكذلك تكذيبه وتولييه وترك الصلاة هو من استعجاله ومحبته العاجلة والرب سبحانه وصف نفسه بضد ذلك فلم يعجل على عبده بل امره له الى ان بلغت الروح التراقي وايقن بالموت وهو الى هذه الحال مستمر على التكذيب والتولى والرب تعالى لا يعاجله بل يعهله ويحدث له الذكر شيئا بعد شئ وبصرف له الآيات ويضربه الامثال ويذمهم على مبدئه من كونه نطفة من منى معنى ثم علقه ثم خلقا -ويا فلم يعجل عليه بالخلق وهلة واحدة ولا بالعاقبة اذ كذب خبره وهصى امره بل كان خلقه - وامره وجزاؤه بعد تقبيل وتدرج واناء وله ذم الانسان بالعجلة بشئ وله وكان الانسان عجولا وقال خلق الانسان من عجل - من عجل سار بكم آياتي فلا تستعجلون

فصل * ومن أمرها ان اثبات النبوة والمعاد يعلم بالعقل وهذا احد القولين لاصحابنا وغيرهم وهو الصواب فان الله سبحانه انكر على من حسب انه يترك مدى فلا يؤمروا لانيه ولا يثاب ولا يعاقب ولم ينف سبحانه ذلك بطريق الخبر المجرد بل نفاه نفي مالا يليق نسبتة اليه

ونفى منكر على من حكم به وظنه ثم استدل سبحانه على فساد ذلك وبين ان خلقه الانسان
 في هذه الاطوار وتنقله فيها طورا بعد طور حتى بلغ نهايته بأبي ان يستركه سدى فانه يترزه عن
 ذلك كما يترزه عن العيب والعيب والنقص وهذه طريقة القرآن في غير موضع كاقال تعالى
 اخفيتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليانا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
 العرش الكريم فجعل كمال ملكه وكونه سبحانه الحق وكونه لا اله الا هو وكونه رب العرش
 المستازم لربوبيته اسكل مادونه مبطلا لذلك الظن الباطل والحكم الكاذب وانكار هذا
 الحسبان عليهم مثل انكاره عليهم حساباتهم انه لا يسمع سرهم ونجواهم وحسبان انه لا يراهم
 ولا يقدر عليهم وحسبان انه يسوي بين اوليائه وبين اعدائه في محابهم ومعاتمهم وغير ذلك
 مما هو مترزه عنه تنزيهه عن سائر العيوب والنقائص وان نسبة ذلك كنسبة ما يتعالى عنه مما لا
 يليق من اتخاذ الوالد والشريك ونحو ذلك مما يشكره سبحانه على من حسبه أشد الانكار
 فدل على أن ذلك قبيح ممنع نسبته اليه كما يمنع أن ينسب اليه سائر ما ينافي كماله المقدس واو كان
 نفى تركه سدى اغايل بالسمع الجرد لم يقل بعد ذلك ألميك نطفة الى آخره وما يدل ان تعطيل اسمائه
 وصفاته ممنع وكذلك تعطيل موجهها ومقتضاها فان ملكه الحق يستلزم امره ونهيه وثوابه
 وعقابه وكذلك يستلزم ارسال رسله واتزال كتبه وبعث المعاد ليوم يحجزى فيه المحسن باحسانه
 والمسيء باساءته فمن انكر ذلك فقد انكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق وذلك كان منكر
 ذلك كافرا بربه وان زعم انه يقر بصانع العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال
 والمستحق لنعوت الكمال كما ان المعطل للكلامه وعلوه على خلقه لم يؤمن به سبحانه فانه آمن
 برب لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يصعد اليه قول ولا عمل ولا ينزل من عنده ملك ولا أمر
 ولا ينهى ولا ترفع اليه الايدي ومعلوم ان هذا الذي آمن به رب مقدر في ذهنه ليس هو رب
 العالمين والهارسطين وكذلك اذا اعتبرت اسمه الحى وجدته مقتضيا للصفات كماله من علوه وسمعه
 وبصره وقدرته واراادته ورحمته وفعله ما يشاء واسمه القيوم مقتضى لتدبير امر العالم
 العلوى والسفلى وقيامه بصالحه وحفظه له فمن انكر صفات كماله لم يؤمن بأنه الحى القيوم
 وان اقر بذلك الحد في اسمائه وعطل حقائقها حيث لم يمكنه تعطيل الفاظها وبالله التوفيق
 فصل في ذلك قوله تعالى كلا والقمر والليل اذ دبر والصبح اذا أصفرا انها الاحدى الكبرى
 نذير للبشر لمن شاه منكم ان يتقدم او يتأخر اقسام سبحانه بالقمر الذى هو آية الليل وفيه من الآيات
 الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وباريه وحكمته وعلوه وعنايته بخلقها ما هو معلوم بالمشاهدة
 وهو سبحانه اقسام بالسماء وما فيها مما لا تراه من الملائكة وما فيها مما تراه من الشمس والقمر
 والنجوم وما يحدث بسبب حركات الشمس والقمر من الليل والنهار وكل ذلك آية من آياته
 ودلالة من دلائل ربوبيته ومن تدبر امره هذين النيرين العظيمين وجدتهما من اعظم الآيات
 في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران دائبين ولا يقع
 في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة والرجوع والاستقامة والانخفاض والارتفاع
 ولا يجرى احدهما في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه ولا تدرك الشمس القمر
 ولا يجى الليل قبل انقضاء النهار بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيه الاخر كما ان له تأثيرا

ومنفعة لا يشركه فيها الاخر وذلك بما يدل من له ادنى عقل على انه بتدبير مسخر وامر آمر وتدبير
مدبر بهرت حكمته العقول واحاط علمه بكل دقيق وجليل وفرق ما علمه الناس من الحكم الذي في
خلقهم اما لا تصل اليه عقولهم ولا تنتهي الى مبادئها او هاهم ففاننا الاعتراف بحلال خلقهما كمال
حكيمته ولطف تدبيره وان نقول ما قاله اولو الالباب قبلنا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فما عذاب النار ولوان العبد ووصفه جرم او دمس تدبير عظيم الخلق بيد وفيه النور كخيوط
منسج ثم يتزايد كل ليلة حتى يتكامل نوره فيصير اضوا شئ واحسنه واجله ثم يأخذ
في النقصان حتى يعود الى حاله الاول فيحصل بسبب ذلك معرفة الا شهر والسنين وحساب
آجال العالم من مواقيت جهنم وصلواتهم ومواقيت اجارهم ومدابنا تهم ومعاملتهم التي
لا تقوم مصالحهم الابها فصالح الدنيا والدين متعلقة بالالهة وقد ذكر سبحانه ذلك في ثلاث
آيات من كتابه احدها قوله يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج والثانية قوله هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله
ذلك الا بالحق بفصل الآيات اقوم يعلمون والثالثة قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل
شئ فصلناه تفصيلا فلولا ما بعثه الله سبحانه في آية الليل من زيادة ضوئها ونقصانها لم يعلم
ميقات الحج والصوم والعدد ومدة الرضاع ومدة الحمل ومدة الاجارة ومدة آجال الخاملات
فان قيل كان يمكن هذا بحركة الشمس والايام التي تحفظ بطولع الشمس وغروبها كما يعرف
اهل الكتابين مواقيت صيامهم واهيادهم بحساب الشمس قيل هذا وان كان ممكنا الا انه يصير
ضبطه ولا يقف عليه الا الآحاد من الناس ولا ريب ان معرفة اوائل الشهور واواسطها
واواخرها بالشمس امر يشترك فيه الناس وهو اسهل من معرفة ذلك بحساب الشمس واقل
اضطرابا واختلافا ولا يحتاج الى تكلف حساب وتقليد من لا يعرفه من الناس لمن يعرفه فالحكمة
الباقية التي في تقدير السنين والشهور بسير القمر اظهر وانفع واصح واقل اختلافا من تقديرها
بسير الشمس فالرب جل جلاله دبر الالهة بهذا التدبير العجيب لمنافع خلقه في مصالح دينهم
ودنياهم مع ما يتصل به من الاستدلال به على وحدانية الرب وكال حكمته وعلوه وتدبيره فشهادة
الحق بتغير الاجرام الفلكية وقيام أدلة الحدوث والخلق عليها هي آيات ناطقة بلسان الحال على
تكذيب الدهرية وزنادقة الفلاسفة والملاحدة القائلين بأنها ازلية ابدية لا يتطرق اليها
التغيير ولا يمكن عدمها فاذن امل البصير القمر مثلا واقتناره الى محل يقوم به وسيره دأبا لا يفتري مسير
مسخر ومدبر وهو طه تارة وارتفاعه تارة وأفوله تارة وظهوره تارة وذهاب نوره شيئا فشيئا ثم
عوده اليه كذلك وذهاب ضوئه بجلته واحدة حتى يعود قطعة مظلمة بالكسوف ثم قطعا انه مخلوق
مربوب مسخر تحت امر خالق قاهر مسخر له كما يشاء وعلو أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلا
وان هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهي الى الانقطاع والسكون وان هذا الضوء والنور لا بد أن
ينتهي الى ضده وأن هذا السلطان لا بد أن ينتهي الى العزل وسيمجم بينهما جامع المتفرقات بعد
أن لم يكونا مجتمعين وبذهب بهما حيث شاء ويرى المشركين من عبدهما حال آلهتهم التي
عبدها من دونه كما يرى عباد الكواكب انتشارها وعباد السماء انقطارها

وعباد الشمس تكويرها وعباد الاصنام اهانتها والقاءها في النار احرقشي * واذله واصغره كما يرى
 عباد الجمل في الدنيا حاله ومبادئ عبادته تحمته ونمخته والريح محمزة وتذروه وتنفسه في الموكب
 ارى الاصنام في الدنيا صورها مكسرة مخردلة ملقاة بالامكنة القذرة ومعاول الموحدين قد هتمت
 منها تلك الوجوه وكسرت تلك الرؤس وقطعت تلك الايدي والارجل التي كانت لا يوصل
 اليها بغير التقبيل والاستلام وهذه سنة الله التي لا تبدل ومادته التي لا تحول انه يرى طابغيره حال
 معبوده في الدنيا والآخرة وان كان المعبود غير راض بعبادة غيره ارادة تبريه منه ومعادته له احوج
 ما يكون اليه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
 تأمل سطور الكائنات فانها * من الملك الاعلى اليك رسائل
 وقد خط فيها لو تأملت خطها * الأكل شيء ما خلا الله باطل

ولو شاء تعالى لابقى القمر على حالة واحدة لا يتغير وجعل التغيير في الشمس واوشاء لغيرهما
 معا واوشاء لبقاهما على حالة واحدة ولكن يرى عباد آياته في انواع تصاريفها ليدلهم على
 انه الله الذي لا اله الا هو الملك الحق المبين الفعال لما يريد الاله الخلق والامر ببارك الله
 رب العالمين واما تأثير القمر في ترتيب ابدان الحيوان والنبات وفي المياه وجزر البحر ومد
 وبحرانات الامراض ونقلها من حال الى حال وغير ذلك من المنافع فأمر ظاهر

فصل * واما اقسامه سبحانه بالليل اذ ادبر فلما في ادباره واقبال النهار من ابيين
 الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد فانه مبدأ ومعاد يوصى مشهود بالعبان بينما الحيوان في
 سكون الليل قد هدأت حركاتهم وسكنت اصواتهم ونامت حيواناتهم وصاروا اخوان الاموات
 اذ قبل من النهار داعيه واسمع الخلائق مناديه فانتمت منهم الحركات وارتفعت منهم
 الاصوات حتى كأنهم قاموا احياء من القبور يقول قائلهم الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتنا واليه
 النشور فهو معاد جديد ابداء وأعاد الذي يبدي ويعيد فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى
 الواحد النهار فن تأمل حال الليل اذا سمعس وادبر والصبح اذا تنفس وأسفر فهزم جيوش
 الظلام بنفسه واضاء افاق العالم بقبسه وفضل كتاب المواقب بعسا كره واضحك نواحي الارض
 بذاشيره وبشارته فباللهما آياتان بوحديانية منشيها وكال ربوبيته وعظم قدرته
 وحكمته فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقبلا لسلطان الليل والنهار فلولا طلوعها
 لبطل امر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا
 مظلمة عليهم وكيف كانت تهيئهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه وأي ثمار ونبات وحيوان
 كان يوجد وكيف كانت ثم مصالح ابدان الحيوان والنبات ولولا غروبها لم يكن للناس هدو
 ولا قرار مع علم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجوم حواسهم فلولا جثوم هذا الليل
 عليهم بظلمة ما هادوا ولا قروا ولا سكنوا بل جعله احكم الحاكمين سكتا ولما ساكنا جعل النهار
 ضياء ومعاشا ولولا الليل وبرده لاحتزقت ابدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس
 عليها وكان يحرق ما عليها من نبات وحيوان فانقضت حكمة احكم الحاكمين ان جعلها
 سراجا يطلع على العالم في وقت حاجتهم اليه وبغيب في وقت استغنائهم عنه
 فطلوعه لمصلحتهم وغيبته لمصلحتهم وصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين

متعاونين منظاهرين على مصلحة هذا العالم وقوامه فلو جعل الله سبحانه النهار سرمداً الى يوم
القيامة والليل سرمداً الى يوم القيامة لفانت مصالح العالم واشتدت الضرورة الى تغيير ذلك وزلاته
يضده وتأمل حكمته سبحانه في ارتفاع الشمس وانخفاضها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة
وما في ذلك من مصالح الخلق في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منها مواد
الثمار ويكف الهواء فينشأ منه السحاب وينعقد فيحدث المطر الذي به حياة الارض وغذاء ابدان
الحيوان والنبات وحصول الافعال والقوى وحركات الطبايع وفي الصيف يخدم الهواء فينضج
الثمار وتشتد الحبوب ويجف وجه الارض فيتهيأ العمل وفي الخريف يصفو الهواء وتبرد
الحرارة ويمتد الليل وتستريح الارض والشجر للحمل والنبات مرة ثانية بمنزلة راحة الحامل
بين الحملين ففي هذه الازمنة يبدأ معاد مشهود وشاهد بالبداء والمعاد الغيبي والمقصود ان بحركة
هذين النيران يتم مصالح العالم وبذلك يظهر الزمان فان الزمان مقدر الحركة فالسنة الشمسية
مقدار سير الشمس من نقطة الحمل الى مثلها والسنة القمرية مقدرة بسير القمر وهو اقرب
الى الضبط واشترك الناس في العلم به وقدر احكام الحايكين ثقلهما في منازلهما لما في ذلك
من تمام الحكمة واطف التدبير فان الشمس لو كانت تطلع وتغرب في موضع واحد لاتعداه
لما وصل ضرورها وشعاعها الى كثير من الجهات فكان نفعها يفقد هناك فجعل الله سبحانه
طلوعها ودولابها في الارض لينال نفعها وتأثيرها البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن
ان تطلع عليها الا اخذ بقسطه من نفعها واقضى هذا التدبير المحكم ان وقع مقدار الليل
والنهار على اربعة وعشرين ساعة وبأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منهما اذا امتد
خمس عشرة ساعة فلوزاد مقدار النهار على ذلك الى خمسين ساعة مثلاً او اكثر لاختل
نظام العالم وفسد اكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختلف النظام ايضاً
وتعطلت المصالح ولو احتويا دائماً لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد
والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن
ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه الى عزته وعلمه كما قال
تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير
العزيز العليم وقال تعالى قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون لها اندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
سواء للسانين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها والارض انبساطوا وكرها قالتا انينا
طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظنا ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى فاقم الصبايح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر
حساباً ذلك تقدير العزيز العليم فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها ان تقدير حركات الشمس
والقمر والاجرام العلوية وما ينشأ عنها كان من مقتضى عزته وعلمه وأنه قدره بهاتين
الصفتين وفي هذا تكذيب لاعداء الله الملاحة الذين ينفون قدرته واختياره وعلمه بالمقبيات
فصل في واقم سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة وهي القمر والليل اذ ادبر والصبح
اذا اسفر على المعاد لما في القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه فانه يتضمن كمال قدرته

وحكمته ونسبته بخلقه وابداء الخلق وابدائه كما هو مشهود في ابداء النهار والليل وابدائهما وفي ابداء النور وابدائه في القمر وفي ابداء الزمان وابدائه الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر وابداء الحيوان والنبات وابدائهما وابداء فصول السنة وابدائها وابداء ما يحدث في تلك الفصول وابدائه فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبرت به الرسل كلهم عنه فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدق رساله ونوعها وجعلها للفطر نارة وللسمع نارة وللشاهدة نارة فجعلها آفاقية ونفسية ومنقولة ومعقولة ومشهودة بالعيان ومذكورة بالجان بأبي الظالمون الا كفورا وانخذوا من دونه آهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولما اقام الجنة وبين المحجة ارتهن كل نفس بكسبها وواخذها بذنبها وراستني من اولئك من قبل هداة واتبع رضاهم اصحاب اليمين الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وملكوا غير مصيل المجرمين الذين ليسوا من المصلين ولا من مطعمي المسكين وهم من اهل الخوض مع الخائضين المكذابين بيوم الدين فهذه اربع صفات أخرجتهم من زمرة المتقين وادخلتهم في جملة الهالكين الاولى ترك الصلاة وهي عمود الاخلاص لعمود التسمية ترك اطعام المسكين الذي من هو مراتب الاحسان للعبيد هلا اخلاص للخالق ولا احسان للمخلوق كما قال تعالى الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون وقال لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وهذ ضد ما وصف به اصحاب اليمين بقوله الذين يقعون الصلاة وهم ارزقناهم ينفقون وقال تعالى في جنوبيهم من المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وقرن سبحانه بين هذين الاصلين في غير موضع في كتابه فأمر بهما نارة وأثنى على فاعليهما نارة وتوعد بالويل والعقاب تاركهما نارة فان مدار النجاة عليهما ولا هلاح لمن اخل بهما الصفة الثالثة والرابعة الخوض بالباطل والتكذيب بالحق فاجتمع لهم عدم الاخلاص والاحسان والخوض بالباطل والتكذيب بالحق واجتمع لاصحاب الاخلاص والاحسان والتصديق بالحق والتكلم به فاستقام اخلاصهم واحسانهم وبقيتهم وكلامهم واستبدل اصحاب الشمال بالاخلاص شركا وبالاخسان اساءة وبالبينة شكاً وتكذيباً وبالكلام النافع خوفاً في الباطل فلذلك لم تنفعهم شفاعة الشافعين أي لم يكن لهم من شفيع فيهم لان الشفاعة تقع فيهم ولا تنفع وهذا لما عرضوا عن التذكرة ولم يرفعوا بهاراً ما وجفوا عن سماعها كما تجفل جوارح وحش من الامداد ومن الرماة ثم ختم السورة بما نهج فيها بين شرعه وقدره واقامة الحجية عليهم باثبات المشيئة لهم وبيان مقتضى التوحيد والربوبية وان ذلك اليد اليهم فالاول عدله والثاني فضله فالاول يوجب السعي والطلب والحرص على ما يجيبهم كما يفعلون ذلك في مصالح دنياهم بل أشد والثاني يوجب الاستعانة والتوكل والتفويض والرغبة الى من ذلك يده ليسهل وبوفهم والله المستعان وعليه التكلان

فصل ﴿ ومن ذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه نقول رسول كرم الى آخرها قال مقاتل بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه وقال قتادة أقسم بالاشياء كلها بما يبصر منها وما لا يبصر وقال الكلبي تبصرون من شيء وما لا تبصرون من شيء وهذا أعم قسم وقع في

القرآن فانه يم العلويات والسفليات والدياوال الآخرة وما يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلمهم
والجن والانس والعرش والكرسی وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه
بصرف الاقسام كما بصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل
على صدق رسوله وان ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن
ومن تأمل المخلوقات ما برآه منها وما لا يراه واعتبر ما جاء به الرسول بها ونقل فكرته في مجاري الخلق
والامر ظهر له ان هذا القرآن من عند الله وانه كلامه وهو اصدق الكلام وانه حق ثابت كما ان
سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لخلق مثل ما انكم
تنتقون اى ان كان نطقكم حقيقة وهو امر موجود لا قارون فيه ولا تشكون فهكذا
ما اخبرتكم به من التوحيد والمعاد والنبوة حق كما في الحديث انه لخلق مثل ما انتك ههنا فكانه
سبحانه يقول ان القرآن حق كما ان ما شاهدوه من الخلق وما لا يشاهدونه حق موجود بل
لو فكرتم فيما تبصرون وما لا تبصرون لداكم ذلك على ان القرآن حق ويكنى الانسان من
جميع ما لا يبصره وما لا يبصره بعينه وبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله ظاهرا
وباطنا في ذلك ايب دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله وما لم يباشره
قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال انه لقول رسول كريم
وهذا رسوله البشري محمد صلى الله عليه وسلم وفي اضافته اليه باسم الرسالة بين ذلك انه كلام
المرسل فمن انكر ان يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد انكر حقيقة الرسالة ولو كانت اضافته اليه
اضافة انشاء وابتداء لم يكن رسولا ولناقض ذلك اضافته الى رسوله المسمى في سورة التكوير
ثم بين سبحانه كذب اعدائه وبهتهم في نسبة كلامه تعالى الى غيره وانه لم يتكلم به بل قال
من تلقاه نفسه كما بين كذب من قال ان هذا الاقول البشر فمن زعم انه قول البشر فقد كفر
وسيلبه الله فمر ثم اخبر سبحانه انه تنزيل من رب العالمين وذلك يتضمن امورا احدها انه
تعالى فوق خلقه كلهم وان القرآن نزل من عنده والثاني انه تكلم به حقيقة لقوله من رب العالمين
واو كان غيره هو المتكلم به لكان من ذلك الغير ونظير هذا قوله ولكن حق القول منى ونظير قوله
قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل من حكيم
حجيد وما كان من الله فليس بمخلوق ولا ينتقض هذا بأن الرزق والمطر وما في السموات والارض
جميعا منه وهو مخلوق لان ذلك كله اعيان قائمة بنفسها وصفات وافعال لتلك الالهيان
فاضافتها الى الله سبحانه وانها منه اضافة خلقى كاضافة بيته وعبيده وناقته وروحه وبابه
اليه بخلاف كلامه فانه لا بد ان يقوم بتكلمه اذ كلامه من غير متكلم كسمع من غير سماع وبصر
من غير مبصر وذلك عين المحال فاذا اضيف الى الرب كان بمنزلة اضافة سمعه وبصره وحياته
وقدرته وهله ومشيئته اليه ومن زعم ان هذه اضافة مخلوق الى خالق فقد زعم ان الله لا يسمع له
ولا يبصر ولا حياة ولا قدرة ولا مشيئة تقوم به وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الاشرار وان
زعم ان اضافة السمع والبصر والعلو والحياة والقدرة اضافة صفة الى موصوف فاضافة الكلام
اليه اضافة مخلوق الى خالق فقد تناقض وخرج من موجب العقل والفطرة والشرع ولفات
الامم وفرق بين متساين حقيقة وعقلا وشرعا ونظرة ولغة وتأمل كيف اضافته سبحانه

الى الرسول بلفظ القول واضاهه الى نفسه بلفظ الكلام في قوله حتى يسمع كلام الله فان الرسول يقول للمرسل اليه ما امر بقوله فيقول قلت كذا وكذا وقلت له ما امرتني ان أقوله كما قال المسيح ما قلت لهم الا ما امرتني به والمرسل يقول للرسول قل لهم كذا وكذا كما قال تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن قل لله وؤمنين يغضوا من ابصارهم ونظائرهم فاذا بلغ الرسول ذلك صح ان يقال قال الرسول كذا وهذا قول الرسول أي قاله مبلغا وهذا قوله مبلغا عن رسوله ولا يجيئ في شيء من ذلك تكلم لهم بكذا وكذا ولا تكلم الرسول بكذا او كذا ولا أنه بكلام رسول كريم ولا في موضع واحد بل قيل للصديق وقد تلى آية هذا الكلام وكلام صاحبك فقل ليس بكلامي ولا كلام صاحبي هذا كلام الله

فصل في الامر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين ان ربوبيته الكاملة خلقه تأتي أن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يرشدهم الى ما ينفعهم ويحذرهم ما يضرهم بل يتركهم هملا بمنزلة الانعام السائمة فمن زعم ذلك لم يقدر رب العالمين قدره ونسبه الى ما لا يليق به تعالى تعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ثم أقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يتقول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه لما قرء ولما جله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تأتي أن يقر من تقول عليه وامترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحرهم وأموالهم وأظهر في الارض الفساد والجور والكذب وخالف الخلق فكيف يليق بأحكام الحكامين وأرحم الراحمين وأقدر القادرين أن يقره على ذلك بل كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بأهل الحق يسفك دماهم ويستبيح أموالهم وأولادهم وفسادهم قائلا ان الله امرني بذلك وأباح لي بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها في صدقه باقراره وبالآيات المستلزمة لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول وأظهر ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة لهم بمحصل باجتماع تلك الآيات تصديقي فوق تصديق كل آية بمفردها ثم يعجز الخلق عن معارضته ثم يصدقه بكلامه وقوله ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره ونعله وقوله فن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكام الحكامين ورب العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفترى عليه الذي هو شر الخلق على الاطلاق فن يجوز على الله أن يفعل هذا بشر خلقه وأكذبهم فما آمن بالله قطعا ولا عرف الله ولا هذا هو رب العالمين ولا يحسن نسبة ذلك الى من له مسكنة من عقل وحكمة وجمي ومن فعل ذلك فقد أزرى بنفسه ونادى على جهله وأذكر في هذا مناظرة تجرت لي مع بعض اليهود قلت له بعد أن أفضى في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم الى أن قلت له انكار نبوته يتضمن القدح في رب العالمين ونقصه بأقبح النقص فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الآن في تزويد الرب تعالى فقال كيف تقول مثال هذا الكلام فقلت له بيانه على فاسم الآك أنتم تزعمون أنه لم يكن رسولا وإنما كان ملكا قاهرا قهر الناس بسيفه حتى دانوا له ومكث ثلاثا وعشرين سنة

يكذب على الله ويقول أوحى الي ولم يوح اليه وأمرني ولم يأمره ونهاني ولم ينهه وقال الله كذا ولم يقل ذلك وأحل كذا وحرم كذا وأوجب كذا وكره كذا ولم يحل ذلك ولا حرمه ولا أوجبه بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذبا مفتريا على الله وعلى أنبيائه وعلى رسله وملائكته ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض عباده بسفك دماءهم وبأخذ أموالهم ويسترق نساءهم وأبناءهم ولا ذنب لهم الا الرد عليه ومخالفته وهو في ذلك كله يقول الله أمرني بذلك ولم يأمره ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان رسل وتسخير أئمتهم وحل نواويسهم فهذه حاله عندكم فلا يخلو اما أن يكون الرب تعالى طالما بذلك مطلعا عليه من حاله براه ويشاهده أم لا فان قلتم ان ذلك جبهه فائب عن الله لم يهمله قد حتم في الرب تعالى ونسبتموه الى الجهل المفرط اذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ولا علمه ولا رآه وان قلتم بل كان ذلك بعلمه واطلاعه ومشاهدته قيل لكم فهل كان قادرا على ان يغير ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا فان قلتم ليس قادرا على ذلك نسبتموه الى الجهز المنافي للربوبية وكان هذا الانسان هو أتباعه أقدر منه على تنفيذ اراداتهم وان قلتم بل كان قادرا ولكن مكنته ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر أوليائه واتباع رسله نسبتوه الى أعظم السفه والظلم والاخلال بالحكمة هذا لو كان محلي بينه وبين ماضيه فكيف وهو في ذلك كله ناصره ومؤيده ومجيب دعواته ومهلك من خالفه وكذبه ومصدقه بأنواع التصديق ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الارض كلهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم ولعجزوا عن ذلك وكل وقت من الاوقات يحدث له من أسباب النصر والتكبير والظهور والعلو وكثرة الاتباع أمرا خارجا عن المادة فظهر ان من أنكر كونه رسولا ولا نبيا فقد سب الله وقذح فيه ونسبه الى الجهل والعجز والسفه قتلته ولا ينتقض هذا بالملوك الظالمة الذين مكنتهم في الارض وقتنا ثم قطع دابرهم وأبطل سنتهم ومحا آثارهم وجورهم فان أولئك لم يعيدوا شيئا من هذا ولا أيدوا ونصروا وظهرت على أيديهم الآيات ولا صدقهم الرب تعالى باقراره ولا بفعله ولا بقوله بل أمرهم كان بالضد من أمر الرسول ككفره ونعروا وأضرابهم ولا ينتقض هذا بن ادعى النبوة من الكذابين فان حاله كانت ضد حال الرسول من كل وجه بل حالهم من أظهر الأدلة على صدق الرسول ومن كلمة الله سبحانه أن أخرج مثل هؤلاء الى الوجود ليعلم حال الكذابين وحال الصادقين وكان ظهروهم من آيين الأدلة على صدق الرسل والفرق بين هؤلاء وبينهم فبضدها تبين الاشياء والضد يظهر حسنه الضد معرفة أدلة الباطل وشبهه من أنواع أدلة الحقي وبراهينه فلما سمع ذلك قال ماذا لله لانقول انه ملك ظالم بل نبي كريم من أتبعه فهو من السعداء وكذلك من أتبع موسى فهو كمن أتبع محمدا قتلته بطل كما تموهون به بعد هذا فانكم اذا قررتم انه نبي صادق فلا بد من تصديقه في جميع ما أخبر به وقد هلم أتباعه وأعداؤه بالضرورة انه دعى الناس كلهم الى الايمان وأخبر أن من لم يؤمن به فهو كافر مخلد في النار وقائل من لم يؤمن به من أهل الكتاب وأجعل عليهم بالكفر واستباح أموالهم ودماءهم ونساءهم وأبناءهم فان كان ذلك عدوانا منه وجورا لم يكن نبيا وطادا الامر الى القدح في الرب تعالى وان كان ذلك بأمر الله ووحيه

لم يسع مخالفته وترك اتباعه ورتب تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر وقد أُرشد سبحانه
 الى هذا المسلك في غير موضع من كتابه فقال ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين
 ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين يقول سبحانه لو تقول علينا قولاً واحداً من تلقاء
 نفسه لم نقله ولم نوحه اليه لما أقررناوه لاخذنا يمينه ثم اهلكناه هذا احد اقوال ابن قتيبة في هذا
 قولان أحدهما ان اليمين القوة والقدرة وأقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شئ في يمانه قلت
 وعلى هذا تكون اليمين من صفة الاخذ وهذا قول ابن عباس في اليمين قال ولاهل اللغة في هذا مذهب
 آخر وهو ان الكلام ورد على ما اعتاده الناس من الاخذ بيد من يعاقب وهو قولهم اذا ارادوا عقوبة
 رجل خذيدوا وأكثر ما يقوله السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم خذيدوه واسفع يده
 فكأنه قال لو كذب علينا في شئ اليكم عنا لاخذنا يمينه ثم طأناه بقطع الوتين والى
 هذا المعنى ذهب الحسن انتهى فقد أخبر سبحانه انه لو تقول عليه شيئاً من الأقاويل لما أقره
 ولما جله بالعقوبة فان كذباً على الله ليس ككذب على غيره ولا يلبق به ان يقر الكاذب عليه
 فضلاً عن أن ينصره ويؤيده وبصدقه وقوله ثم لقطعنا منه الوتين والوتين يباط القلب
 وهو عرق يجرى في الظهر حتى يتصل بالقلب اذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه هذا
 قول جبيع أهل اللغة قال ابن قتيبة ولم يرد أن تقطع ذلك العرق بعينه ولكنه ان أراد لو كذب
 علينا لا تمناه او قتلناه وكان كمن قطع وتينه قال ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت آكلة
 خبير تعادني وهذا أو ان قطعة ابهرى والابهر عرق يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
 فكأنه قال بهذا أو ان قلبي السم فكنت كمن انقطع ابهره ثم قال تعالى فما منكم من أحد عنه
 حاجزين اى لا يحجزه منى احد ولا يمنع منى الموضع الثاني قوله تعالى ام يقولون افترى
 على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه علم
 ذات الصدور وفي معنى الآية فتناس قولان أحدهما قول مجاهد ومقاتل ان يشأ الله يربط
 على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشقى عليك والثاني قول قتادة ان يشأ الله ينسبك
 القرآن ويقطع عنك الوحى وهذا القول دون الاول اوجوه أحدها ان هذا خرج حوايلهم
 وتكذيباً لقولهم ان محمداً كذب على الله وافترى عليه هذا القرآن فأجابهم بأحسن جواب
 وهو ان الله تعالى قادر لا يجره شئ ولو كان كما تقولون لختم على قلبه فلا يمكنه ان يأتى بشئ
 منه بل يصير القلب كالشئ المنحوم عليه فلا يوصل الى ما فيه فيعود المعنى الى انه لو افترى
 على لم يمكنه ولم أقره ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر من قلب منحوم عليه فان فيه
 من علوم الاولين والآخريين وعلوم المبدأ والمعاد والدينا والآخرة والعلم الذى لا يعلمه الا الله
 والبيان التام والجزلة والفصاحة والجلالة والاخبار بالغيوب مالم يمكن من ختم على قلبه
 ان يأتى به ولا يعضه فلو اتى أنزلته على قلبه وبصرته بلسانه لما يمكنه ان يأتى بكم بشئ
 منه فابن هذا المعنى الى المعنى الذى ذكره الآخرون وكيف يلتم معنى حكاية قولهم وكيف
 يتضمن الرد عليهم الوجه الثاني أن مجرد الربط على قلبه بالصبر على أذاهم يصدر من الحق
 والمبطل فلا يدل ذلك على التمييز بينهما ولا يكون فيه رد لقولهم فان الصبر على اذى المكذب
 لا يدل بمجرد على صدق الخبر الثالث أن الرباط على قلب العبد لا يقال له ختم على قلبه ولا

هكذا يابض في

يعرف هذا في عرف المخاطب ولا لغة العرب ولا هو المعهود في القرآن بل المعهود استعمال الختم على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن كقوله ختم الله على قلوبهم وقوله أمرأت من اتخذ الله هواه واضله الله - على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ونظائره وأما ربطه - على قلب العبد بالصبر فكقوله وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض وقوله وأصبح نؤادهم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها والإنسان يسوغ له في الدماء أن يقول اللهم اربط على قلبي ولا يحسن أن يقول اللهم اختم - على قلبي الرابع أنه سبحانه حيث يحكى أقوالهم أنه افتراه لا يجيبهم - على هذا الجواب بل يجيبهم بأنه لو افتراه لم يملكوا له من الله شيئاً بل كان يأخذونه ولا يقدر - على تخلصه كقوله أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً ونارة يجيبهم بالمطالبة بمسارضة بمثله أو شئ منه ونارة باقامة الأدلة القاطعة - على أنه الحق وأنهم هم الكاذبون المفترون وهذا هو الذى يحسن في جواب هذا السؤال لا مجرد الصبر الخامس أن هذه الآية نظير ما نحن فيه وأنه لو شاء لما أقره ولا يمكنه وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير السادس أنه لا دلالة في سياق الآية - على الصبر بوجه ما لا بالطائفة ولا التضمين ولا الزوم فمن أين يعلم أنه أراد ذلك ولم يستقر هذا المعنى في غير هذا المعنى فيحصل عليه بخلاف كونه يحول بينه وبينه ولا يمكنه من الافتراء عليه فقد ذكره في مواضع السابغ أنه سبحانه أخبر أنه لو شاء لما أتاه عليهم ولا أدراك به وأن ذلك افتراه ومجربته واذنه وعلمه كما قال تعالى ولو شاء الله ما ملأنا منكم من ولا أدراك به وهذا من أبلغ الحجج وأظهرها أى هذا الكلام ليس من قبلى ولا من عندى ولا أقدر أن أفتريه على الله ولو كان ذلك مقدوراً لى لكان مقدوراً لمن هو من أهل العلم والكتابة ومخالفة الناس والتعلم منهم ولكن الله بعثنى به ولو شاء سبحانه لم ينزله ولم يبصره بالساقى فلم يدعنى أتله - وه عليكم وإن أهلكم به أبتة لاعلى اسانى ولاعلى لسان غيرى وانكته أوحاه الى وأذنى فى تلاوته عليكم وأدراك به بعد أن لم تنك - ونوا دارين به فلو كان كذبا وافتراه كما تقولون لا يمكن خبرى أن يتلوه عليكم وتندرون به من جهته لان الكذب لا يعجز عنه البشر وأنتم لم تدروا بهذا ولم تسمعوه الامنى ولم تسمعوه من بشر غيرى ثم اجاب عن سؤال مقدر وهو انه تعلمه من غيره او افتراه من تلقاء نفسه فقال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله تعلمون حالى ولا يخفى عليكم سبرى ومدخلى ومخرجى وصدقى وامانتى ومن هذا لما تمكّن من قول شئ منه أبتة ولا كان لى به علم ولا بعضه ثم أتيتكم به وهلة من غير تعلم ولا تعلم ولا معاناة الاسباب التى تمكّن به امنه ولا من بعضه وهذا من اظهر الأدلة وابين البراهين انه من عند الله أوحاه الى واتزله على ولو شاء ما فعل فلم يمكننى من تلاوته ولا يمكنكم من العلم به بل يمكننى من تلاوته وممكنكم من العلم به فلم تكونوا عالمين به ولا بعضه ولم أكن قبل ان يوحى الى نأباليه ولا بعضه فتأمل صحة هذا الدليل وحسن تأليفه وظهور دلالته ومن هذا قوله سبحانه واتن شذنا لنذهب - بالذى أوحينا اليك ثم لا نجد لك به علينا وكيلوا وهذا هو المناسب لقوله ام يقولون افتريه على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ولقوله ولو تقول علينا بعض الاقويل لاخذنا منه

باليقين فهو رهان مستقل مذكور في القرآن على وجوه متعددة والله أعلم الثامن ان مثل هذا التركيب انما جاء في القرآن للنفى لا للاثبات كقوله تعالى واثن شذالذنهين بالذى اوحينا اليك وقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظلان رواكد على ظهره وقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ونظائر لم يأت الا فيما كان مابعد فعل المشيئة منقيا التاسع ان الختم على القلب لا يستلزم الصبر بل قد يختم على قلب العبد ويسلبه صبره بل اذا ختم على القلب زال الصبر وضعف بخلاف الربط على القلب فانه يستلزم الصبر كما قال تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ويربط على قلوبكم ومعنى الربط في اللغة الشد ولهذا يقال لكل من صبر على امر ربط قلبه كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه يقال هو رابط الجاش وقد ظن الواحدى ان على زائدة والمعنى يربط قلوبكم وايس كما ظن بل بين ربط الشئ والربط عليه فرق ظاهر فانه يقال ربط الفرس والداية ولا يقال ربط عليها فاذا احاط الرباط بالشئ وعه قبل ربط عليه كأنه احاط عليه بالرباط فلهذا قيل ربط على قلبه وهو وكان أحسن من ان يقال ربط قلبه والمقصود ان هذا الربط هو يكون الصبر أشد وأثبت بخلاف الختم العاشر ان الختم هو شد القلب حتى لا يشعر ولا يفهم فهو مانع عن العلم والتفحص والنهي صلى الله عليه وسلم كان يعلم قول اعدائه انه افترى القرآن ويشعر به فلم يجعل الله على قلبه مانعا من شعوره بذلك وعلمه به فاذا قيل الامر كذلك ولكن جعل الله على قلبه مانعا من التأذى بقولهم قيل هذا اولى ان يسمى ختما وقد كان يؤذيه قولهم وبجزنه كما قال تعالى قد تعلم انه ليعزتك الذى يقولون وكان وصول هذا الاذى اليه من كرامة الله فانه لم يؤذى ما أودى فالقول في الآية هو قول قتادة والله أعلم ثم أخبر سبحانه ان القرآن تذكرة للذين يتذكروه المتقى فيبصر ما ينفعه ويأنيه وما يضره فيحسبه ويتذكره اسماء الرب تعالى وصفاته وافعاله فيؤمن ويتذكره ثوابه وعقابه ووعده وامره ونهيه وآياته في أوليائه واعدائه ونفسه وما يزيها ويطهرها ويعلمها وما يدسها ويخفيها ويحقرها ويذكره علم المبدأ والمعاد والجنة والنار وعلم الخير والشر فهو التذكرة على الحقيقة تذكرة حجة للمؤمن ومنفعة وهداية للمؤمن ثم قال سبحانه وانما تعلم ان منكم مكذبين اى لا يخفون علينا فسجازهم بتكذيبهم ثم أخبر سبحانه ان رسوله وكلامه حمرة على الكافرين اذا طابوا حقيقة ما أخبر به كان تكذيبهم عليهم من أعظم الحسرات حين لا ينفعهم الحصر وهكذا كل من كذب بحق وصدق بساطل فانه اذا انكشف له حقيقة ما كذب به وصدق به كان تكذيبه وتصديقه حمرة عليه كمن فرط فيما ينفعه وقت تحصيله حتى اذا اشتدت حاجته اليه وطاب نوره المصليين صارت تقربه عليه حمرة ثم أخبر سبحانه ان القرآن والرسول حق اليقين فليل هو من باب اضافة الموصوف الى صفته اى الحق اليقين نحو معبد الجامع وصلاة الاولى وهذا موضع يحتاج الى تحقيق فنقول وبالله التوفيق ذكر الله سبحانه في كتابه مراتب اليقين وهى ثلاثة حق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين كما قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فهذه ثلاث مراتب لليقين أولها علم وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة

تدح في تصديقه كعلم اليقين بالجنة مثلا وثيقهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين بهذه مرتبة العلم كيقينهم أن الرسل أخبروا بها عن الله وتيقنهم صدق الخبر المرتبة الثانية عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى ثم لترونها عين اليقين وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة فاليقين للسمع وعين اليقين للبصرو في المسند للإمام أحمد مرفوعا ليس الخبر كالمعين وهذه المرتبة هي التي سألتها إبراهيم الخليل ربه أن يره كيف يحي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه فيسكن القلب هند المعانية ويطمان لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان وعلى هذه المسافة أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الشك حيث قال نحن احق بالشك من إبراهيم ومعاذ الله أن يكون هناك شك منه ولا من إبراهيم وانما هو عين بعد علم وشهود بعد خبر ومعانية بعد سماع المرتبة الثالثة مرتبة حق اليقين وهي مباشرة الشيء بالاحساس به كما اذا دخلوا الجنة وتمتعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين وفي الموقف عين تراق وتقرّب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين واذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين وبمباشرة المعلوم نارة يكون بالحواس الظاهرة ونارة يكون بالقلب ولهذا قال وانه لحق اليقين فان القلب يباشر الايمان به ويخالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلق بها فيبتدئ نخالط بشاشته القلوب ويبقى لها حق اليقين وهذه أعلى مراتب الايمان وهي الصديقية التي تفاوتت فيها مراتب المؤمنين وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلا فقال اذا قال لك من نجزم بصدقه عندي هل اريد أن اطعمك منه بصدقه كان ذلك علم يقين فاذا حضره بين يديك صار ذلك عين اليقين فاذا ذقته صار ذلك حق اليقين وعلى هذا فليست هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى صفته بل من اضافة الجنس الى نوعه فان العلم والعين والحق اعم من كونها يقينا فأضيف العام الى الخاص مثل بعض المناع وكل الدراهم ولما كان المضاف والمضاف اليه في هذا الباب بصدقان على ذات واحدة بخلاف قولك دار عمرو وثوب زيد ظن من ظن أنها من اضافة الموصوف الى صفته وليس كذلك بل هي من باب اضافة الجنس الى نوعه كثوب خبز وخاتم فضة فالضاف اليه قد يكون مقابرا للمضاف لا بصدقان على ذات واحدة وقد يجانسه بصدقان على مسمى واحد والله اعلم ثم ختم السورة بقوله فسبح باسم ربك العظيم وهي جديرة بهذه الخاتمة لما تضمنته من الاخبار عن عظمة الرب تعالى وجلاله وذكر عظمة ملكه وجريان حكمه بالعدل على عباده في الدنيا والآخرة وذكر عظمته تعالى في ارسال رسوله وانزال كتابه وأنه تعالى اعظم وأجل وأكبر عند أهل سماواته والمؤمنين من عباده من أن يقر كذبا متقولا عليه مفترى عليه يبدل دينه وينسخ شرائعه ويقتل عباده ويخبر عنه بالاحقية له وهو سبحانه مع ذلك يؤيده وينصره ويحبب دعوته وبأخذ أهداه ويرفع قدره ويعلى ذكره فهو سبحانه العظيم الذي تأبى عظمته أن يفعل ذلك بمن أتى بأفح أنواع الكذب والعظم فسبحان ربنا العظيم وتعالى عما ينسبه اليه الجاهلون علوا كبيرا

أن تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين أقسم سبحانه رب المشارق والمغرب وهي أما
 مشارق النجوم ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها وان كل موضع من الجهة مشرق
 ومغرب فكذلك جمع في موضع وأفرد في موضع وثني في موضع آخر وقال رب المشرقين
 ورب المغربين ف قيل هما مشرقا الصيف والشتاء وجاء في كل موضع ما يناسبه فجاء في سورة
 الرحمن رب المشرقين ورب المغربين لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات فذكر فيها الخلق
 والتعليم والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والحب والتمر والجن والانس
 ومادة أبي البشر وأبي الجن والبحرين والجنة والنار وقسم الجنة الى جنتين عاليتين وجنتين
 دونهما وأخبر أن في كل جنة عينين فناسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين وأما
 سورة سأل سائل فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكآلهما وصحة تعلفها بأعادتهم بعد العدم
 فذكر المشارق والمغرب بلفظ الجمع اذ هو أدل على المقسم عليه سواء أريد مشارق النجوم
 ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب فكل ذلك
 آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل امثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون
 فيأتيهم في نشأة اخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع وتذهب في مغرب واما في
 سورة المزمل فذكر المشرق والمغرب بلفظ الافراد لما كان المقصود ذكر ربوبيته
 ووحدانيته وكما انه تفرد برؤية المشرق والمغرب وحده فكذلك يجب ان يتفرد
 برؤية التوكل عليه وحده فليس للمشرق والمغرب رب سواه فكذلك ينبغي أن لا يفخذ
 الله ولا وكيل سواه وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله وما رب العالمين فقال رب المشرق
 والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وفي ربوبية سبحانه للمشارق والمغرب تنبيه على ربوبية
 السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم وربوبيته ما بين الجهتين وربوبية الليل والنهار
 وما تضمنه ثم قال انما لقادرون على ان تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين اي لقادرون
 على ان نذهب بهم ونأتي بأطوع لنامهم وخير امهم كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس
 ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وقوله وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتني ذلك اذا ارادته
 ولا يجتمع مني وعبر عن هذا المعنى بقوله وما نحن بمسبوقين لان المغلوب يسبقه الغالب الى ما يريد
 يفوت عليه ولهذا هدى بعلى دون الى كافي قوله وما نحن بمسبوقين على ان تبدل امثالكم
 فإنه لما ضمنه معنى مغلوبين ومقهورين عداه بهلى بخلاف سبقه اليه فإنه فرق بين سبقته اليه وسبقته
 عليه فالاول بمعنى خلبته وقهرته عليه والثاني بمعنى وصلت اليه قبله

فصل في وقوف الاخبار عن قدرته عليه سبحانه على تبديلهم بخير منهم وفي بعضها
 تبديل امثالهم وفي بعضها استبداله قوم اخرهم ثم لا يكونوا امثالهم فهذه ثلاثة امور يجب
 معرفة ما بينها من الجمع والفرق فحيث وقع التبديل بخير منهم فهو اخبار عن قدرته
 على ان يذهب بهم ويأتي بأطوع وانق له منهم في الدنيا وذلك قوله وان تولوا يستبدل قوم اخرهم
 ثم لا يكونوا امثالكم معنى بل يكونوا خيرا منكم قال مجاهد يستبدل بهم من شاء من عباده
 فيجعلهم خيرا من هؤلاء فلم يتولوا بحمد الله في يستبدل بهم واما ذكره تبديل امثالهم في سورة
 الواقعة وسورة الانسان فقال في الواقعة نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
 على ان تبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا

امرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال كشيخ من المفسرين المعنى انا اذا اردنا بحضرتك خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولم يمتنا ذلك وفي قوله واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اذ شئنا اهلكناهم وايننا بأشبابهم فبخلناهم بدلنا منهم قال المهدي قوما واقفين لهم في الخلق مخالفين لهم في العمل ولم يذكروا الواحدى ولا ابن الجوزى غير هذا القول وعلى هذا فتكون هذه الآيات نظير قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فيكون استدلالا بقدرته على اذهابهم والآيات بامثالهم على آياتهم انفسهم اذا ما انوا ثم استدل سبحانه بالنشأة الاولى فذكرهم بها فقال ولقد علمنا النشأة الاولى فلو لا تذكرونها فبهم بما علموه وطابوا على صدق ما أخبرتهم به رساله من النشأة الثانية والذي عندي في معنى هاتين الآيتين وهما آية الواقعة والانسان المراد بتبديل امثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وعدوا بها وقد وفق الزمخشري لفهم هذا من سورة الانسان فقال وبدلنا امثالهم في شدة الامر يعنى النشأة الاخرى ثم قال وقبل وبدلنا غيرهم ممن بطبع وحقه ان يأتي بان لا ياباذا كقوله وان تولىوا يستبدل قوما غيركم قلت وآياتها باذاتى لانكون الا للحمقة الوقوع بدل على تحققي وقوع هذا التبديل وانه واقع لا محالة وذلك هو النشأة الاخرى التي استدل على امكانها بقوله ولقد علمنا النشأة الاولى واستدل بالمثل على المثل وعلى ما ذكره بطابونه وشاهدوه وكونهم امثالهم هو انشاءهم خلقا جديدا بعينه فهم هم بأعيانهم وهم امثالهم فهم انفسهم بعدون فاذا قلت المعاد هذا هو الاول بعينه صدقت وان قلت هو ومثله صدقت فهو هو معاد او هو مثل الاول وقد اوضح هذا سبحانه بقوله بل هم في لبس من خلق جديد فهذا الخلق الجديد هو المتضمن لكونهم امثالهم وقد سماه الله سبحانه وتعالى اعادة والمعاد مثل المبدأ وسماه نشأة اخرى وهى مثل الاول وسماه خلقا جديدا وهو مثل الخلق الاول كما قال سبحانه بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد وسماه امثالا وهم هم فتطابقت الفاظ القرآن وصدق بعضها بعضا وبين بعضها بعضا ولهذا تزول اشكالات اوردها من لم يفهم المعاد الذي اخبرت به الرسل عن الله ولا يفهم من هذا القول ما قاله بعض المتأخرين انهم غيرهم من كل وجه فهذا خطأ قطعا معاذ الله من اعتاده بل هم امثالهم وهم اعيانهم فاذا فهمت الحقائق فلا يناقش في العبارة الاضيق العطن صغير العقل ضعيف العلم وتأمل قوله تعالى في الواقعة افرأيتم ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت كيف ذكر مبدأ النشأة وآخرها مستدلا بها على النشأة الثانية الاولى بقوله وتما نحن بسجوفين على ان تبدل امثالكم وتنشئكم فيما لا تعلمون فانكم انما علمنا النشأة الاولى في بطون اسمائكم ومبدأها مما تمنون ولن نقاب على ان تنشئكم نشأة ثانية فيما لا تعلمون فاذا اتم امثال ما كنتم في الدنيا في صوركم وهيئاتكم وهذا من كمال قدرة الرب تعالى ومشيئته او تذكرتم احوال النشأة الاولى لذلك ذلك على قدرة منشيئها على النشأة التي كذبتم بها فأى استدلال وارشاد احسن من هذا واقرب الى العقل والفهم وابعدهن كل شبهة وشك وليس بعد هذا البيان والاستدلال الا الكفر بالله وما جاءت به الرسل والايمان وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا أسرهم فهذه النشأة الاولى ثم قال واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا فهذه النشأة الاخرى ونظير هذا قوله خلقنا الزوجين الذكور والانثى من نطفة

اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وهذا في القرآن كثير جدا يقرب بين النشأتين مذكرا
 للفطر والعقول باحدهما على الاخرى وبالله التوفيق
 فصل في ما اقام عليهم الحجمة وقطع المذرة قال مذرهم بخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
 يومهم الذي يوعدون وهذا تهديد شديد يتضمن ترك هؤلاء الذين قامت عليهم جنتي فلم يبلوها
 ولم يخافوا بأسى ولا صدقـ وارسالانى في خوضهم بالباطل ولعبهم فاطلوا في الباطل ضد
 التكلم بالحق والامم ضد السعى الذى يعود نفعه على صاحبه فالاول ضد العلم النافع والثانى ضد
 العمل الصالح والاتكلم بالحق ولا عمل بالصواب وهذا شأن كل من اعرض عما جاء به الرسول
 لابدله من هذين الامرين ثم ذكر سبحانه حالهم عند خروجهم من القبور فقال يوم يخرجون
 من الاجداث سرا كما أنهم الى نصب يوفضون اى يسرعون والنصب العلم والغاية التى نصب
 فيؤمنونها وهذا من اطفئ التشبيه وايته واحسنه فان الناس بقومون من قبورهم مهطعين
 الى الداعى يؤمون الصوت لا يعرفون عنه عينة ولا بصيرة كما قال يومئذ يقولون ادعنى لاهوج
 له اى يقبلون من كل اوب الى صوته وناحيته لا يعرفون عنه قال الفراء وهذا كما تقول
 دعوتنى دعوة لاهوج لك عنهما وقال الزجاج المعنى لاهوج لهم عن دعائه اى لا يقدر
 الا على اتباعه ونصده فان قلت اذا كان المعنى لاهوج لهم عن دعوتى فكيف قال
 لاهوج له قيل قالت طائفة اللام بمعنى عن اى لاهوج عنه وقالت طائفة المعنى لاهوج
 لهم عن دعائى كما قال الزجاج وفي القوامين تكلف ظاهر ولما كانت الدعوة تسمع الجمع
 لانه لاهوج عنهم وكلام يوم صوت الداعى ويتبعه لاهوج عنه كان مجي اللام منتظما
 للمعنيين ودالا عليهما والمعنى لاهوج لدعائه لافى اسماءهم اياه ولا فى اجاباتهم له ثم قال تعالى
 خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة فوصفهم بذل الظاهر وهو خشوع الابصار وذل الباطن وهو
 ما يرهقهم من الذل الذى خشعت عنه ابصارهم وقريب من هذا قوله ووجوه يومئذ باسرة
 تظن ان يفعل بها فاقرة ونظيره قوله وترهقهم ذلة ما لهم من الله من حاصم كأنما اغشيت وجوههم
 قظما من الليل مظلما وضد هذا قوله تعالى انك ان لا تجوع فيها ولا تعرى فبنى منه الجوع الذى
 هو ذل الباطن والعرى الذى هو ذل الظاهر وضده ايضا قوله ولتساهم نضرة وسرورا
 فالنضرة عز الظاهر وجمالها والسرور عز الباطن وجمالها ومثله ايضا قوله قاله ثياب سندس
 خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجمع له بين زينة الظاهر
 والباطن ومثله قوله يا بنى آدم قد اتزنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك
 خير فجمع لهم بين زينة الظاهر والباطن ومثله قوله انا زينا السماء زينة الكواكب وحفظا من
 كل شيطان مراد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحفظ من كل شيطان رجيم ومثله قوله ايضا
 وصوركم أحسن صوركم وورزقكم من الطيبات وقريب منه قوله تعالى وتزودوا فان خير
 ازاد التقوى ومنه قوله فاما الذين اسودت وجوههم ا كفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما
 كنتم تكفرون واما الذين ابضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون فجمع لهؤلاء الذين
 جال الظاهر والباطن ولا واثك بين تسويد الظاهر والباطن ومنه قول امرأة العزيز فذلكن
 الذى لئننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فوصفت ظاهره بالجمال وباطنه بالعفنة

فوصفته بحمال الظاهر والباطن فكأنها قالت هذا ظاهره وباطنه أحسن من ظاهره وهذا كله يدل على ارتباط الظاهر بالباطن قدرا وشرحا والله أعلم بالصواب

فصل ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْبُوحٍ ﴾ الصحيح أن ن و ق و ص من حروف الهجاء التي يفتح بها الرب سبحانه بعض السور وهي أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخاسية ولم تجاوز الخمسة ولم تذكر قط في أول سورة الاوعقبها بذكر القرآن اما مقسماته واما مجزئاته ما خلا سورتين سورة كهيعص ون كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لاله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك المرتك آيات الكتاب وهكذا الى آخره في هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها وجلالتها اذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها أو نزلها على رسوله وهدى بها عباده وعرفهم بواسطتها نفسه وأسماؤه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه ووحيه وعده وعرفهم بها الخير والشر والحسن والقبح وأقدرهم على التكلم بها بحيث يبلغون بها أقصى ما في انفسهم بأسهل طريق وقلة كلفة ومشقة واوصله الى المقصود وأدله عليه وهذا من أعظم نعمه عليهم كما هو من أعظم آياته ولهذا ما با سبحانه على من عبده الا يتكلم وامتن على عباده بأن أقدرهم على البيان بها بالتكلم فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال احسانه وانعامه فهي أولى ان يقسم بهامن الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والجموم وغيرهما من المخلوقات فهي دالة تظهر دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكبره وكلامه وصدق رسوله وقد جمع سبحانه بين الامرين أعنى القرآن ونطق اللسان وجعل تعليمها من تمام نعمته وامتنانه كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فهذه الحروف علم القرآن وبها علم البيان وبها فضل الانسان على سائر انواع الحيوان وبها انزل كتبه وبها أرسل رسوله وبها جمعت العلوم وحفظت وبها انتظمت مصالح العباد في المعاش والمعاد وبها تميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد وبها جمعت أشنات العلوم وبها يمكن تغلها في الاذهان وكما جلب بها من نعمة ودفع بهامن قهقهة وأقيمت بهامن حرمة وهدى بهامن ضلالة وأقيم بهامن حق وهدم بهامن باطل فأياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الانسان ولولا عجايب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب فسبحان من هذا صنعه في هواء يخرج من قصبه الرئسة فينضم في الخلقوم بنفوس في أقصى الخلق ووسطه وآخره واعلاه واسفله وعلى وسط لسان واطرافه وبين التنايل في الشفتين والخيشوم فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له فاذا هو حرف فألهم سبحانه الانسان بضم بعضها الى بعض فاذا هي كلمات قائمة بأنفسها ثم ألهم تلك الكلمات بعضها الى بعض واذا هي كلام دال على انواع المعاني امر او نهي وخبر واستخبارا ونقيا واثباتا وقرارا وانكارا وتصديقا وتكذيبا وإيجابا واستخبارا وسؤال او جوابا الى غير ذلك من انواع الخطاب نظمته ونثره ووجيزه ومطوله على اختلاف لغات الخلائق كل ذلك صنعه تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من باطن الانسان الى ظاهره في جوار قدهيئت واعدت لتقطعه وتنصليه ثم تأليفه وتوصيله فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين فهذا شأن الحرف المخلوق وأما الحرف الذي به تكون المخلوقات

مشأته اعلى وأجل واذا كان هذا شأن الحروف فسبق ان تنفع بها السور كما افتتحت الاقسام
 لمفاهيم آيات الربوبية وادلة الوجدانية فهي دالة على كمال قدرته سبحانه وكمال علمه وكمال
 حكمته وكمال رحمته وهنائه بخلقه واطفه واحسانه واذا أعطيت الاستدلال بها فقد احتدلت
 بها على المبدأ والمعاد والخلق والامر والتوحيد والرسالة فهي من اظهر ادلة شهادة ان لا اله الا الله
 وان محمدا عبده ورسوله وان القرآن كلام الله تكلم به حقا- او أنزله على رسوله وحياء وبلغه
 كما أوحى اليه صدقا ولا تهمل الفكرة في كل سورة افتتحت بهذه الحروف واشتمالها على آيات هذه
 المطالب وتقريرها وبالله التوفيق

فصل في ثم أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون فأقسم بالكتاب وآتته وهو القلم الذي هو
 احدي آياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين
 واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد فأطدت به
 الممالك وامنت به السبل والمسالك واقام في الناس ابلغ خطب وافصحها وانفعهم وأصحها
 وواعظا تشفى مواظمة القلوب من السقم وطيبا يبرى باذنه من انواع الالم يكسر العساكر
 العظيمة على انه ضعيف الوحيد وبخاف سطونه وبأماه ذو البأس الشديد وبالاقلام تدبير الاقلام
 وتساس الممالك والعلم لسان الضمير بناجيه بما استتر من الاسماع فينمج حلل المعاني في الطرفين
 فتعود احسن من الوشى المرقوم ويودعها حكمة تنصير بوادر الفهوم والاقلام نظام للفهوم
 وكما أن اللسان يريد القلب فالقلم يريد اللسان ويولد الحروف المسموعة من اللسان كتولد
 الحروف المكتوبة عن القلم والقلم يريد القلب ورسوله وترجانه ولسانه الصامت

فصل في والاقلام متفاوتة في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي
 كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما خلق الله القلم مقال له اكتب قال يا رب وما اكتب
 قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة واختلف العلماء هل القلم أول المخلوقات
 أو العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلي الهمداني اصحهما أن العرش قبل القلم لما ثبت
 في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقد الله مقادير
 الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وعرشه على الماء فهذا صريح أن
 التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة هذا ولا يخلو
 قوله أن اول ما خلق الله القلم الى آخره اما ان يكون جملة أو جملتين فان كان جملة وهو
 الصحيح كان معناه أنه عند أول خلقه قاله اكتب كافي اللفظ أول ما خلق الله القلم قاله
 اكتب بنصب أول والقلم فان كان جملتين وهو مروى برفع أول والقلم فيعين جملة على أنه
 أول المخلوقات من هذا العالم لينفق الحديثان اذ حديث عبادة بن عمر صريح في أن العرش سابق
 على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم وفي اللفظ الآخر لما خلق الله القلم قاله اكتب فهذا
 القلم أول الاقلام وأفضلها وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذي أقسم الله به
 فصل في القلم الثاني قلم الوحي وهو الذي يكتب به وحي الله الى أنبيائه ورسوله واصحاب
 هذا القلم هم الحكام على العالم والمعلم خدم لهم واليهام الحل والعقد والاقلام كلها خدم لاقلامهم

وقد رجع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء الى مستوى يجمع فيه صريف الأقدام وهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحى به الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي
فصل والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله وهو قلم الفقهاء والمفتين وهذا القلم أيضا حكم غير محكوم عليه فإليه التحاكم في الدماء والأموال والفروج والحقوق وأصحابه يخبرون عن الله بحكمه الذي حكم به بين عباده وأصحابه حكماء وملوك على أبواب الأقلام
 وأقلام العالم خدام لهذا القلم

فصل والقلم الرابع قلم طب الأبدان التي تحفظ بها صحتها الموجودة وترد إليها صحتها المفقودة وتُدفع به عنها آفاتها وعوارضها المضادة لصحتها وهذا القلم انفع الأقلام بعد قلم طب الأديان وحاجة الناس الى أهله تلحق بالضرورة

فصل والقلم الخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وسياس الملك ولهم هذا كان أصحابه أعز أصحاب الأقلام المشاركون للملوك في تدبير الدول فان صلحت أقدلامهم صلحت المملكة وأن فسدت أقدلامهم فسدت المملكة وهم وسائط بين الملوك ورعاياهم

فصل والقلم السادس قلم الحساب وهو القلم الذي تضبط به الأموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الأرزاق وهو قلم الكم المنصل والمنفصل الذي تضبط به المقادير وما يدينها من التفاوت والتناوب ومبناه على الصدق والعدل فاذا كذب هذا القلم وظلم فسدمر المملكة

فصل والقلم السابع قلم الحكم الذي ثبتت به الحقوق وتنفذ به القضايا وتراق به الدماء وتؤخذ به الأموال والحقوق من اليد العادية فتزد الى اليد المحقة وتثبت به الإنسان وتقطع به الخصومات وبين هذا القلم وقلم التوقيع عن الله عموم وخصوص فهذا القلم يفوز والزموم وذلك له العموم والشمول وهو قلم قائم بالصدق فيما يشتهه وبالعدل فيما يعضيه وينفذه

فصل والقلم الثامن قلم الشهادة وهو القلم الذي تحفظ به الحقوق وتصان عن الإضاعة ونحوه بين الفاجر وانكاره وبصدق الصادق وبكذب الكاذب ويشهد للمحق بحقته وعلى الباطل بباطله وهو الأمين على الدماء والفروج والأموال والأنساب والحقوق ومتى خان هذا القلم فسدمر العالم أعظم فسادا وبانتقامه يستقيم أمر العالم ومبناه على العلم وعدم الكتمان

فصل والقلم التاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره وما أريد منه وهو قلم شريف جليل مترجم لوحى المناسخ كاشف له وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين وهو يعقد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته ونحره له لصدق والطرائق الجميدة والمناسخ السديدة مع علمه راسخ وصفاء باطن وحسن مؤيد بالنور الإلهي ومعرفة بأحوال الخلق وهياكلهم وسيرهم وهو من أطف الأقلام وأعجمها جولانا وأوسعها تصرفا وأشدها تشبها بسائر الموجودات حلوياتها وسفلياتها وبالأسخى والحال والمستقبل فتصرف هذا القلم في المنام هو محل ولايته وكرسي مملكته وسلطانه

فصل والقلم العاشر قلم توارخ العالم وقائمه وهو القلم التي تضبط به الحوادث وتنقل من أمة الى أمة ومن قرن الى قرن فيحصر ما مضى من العالم وحوادثه في الخيال وينقشه في النفس حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده فهو قلم المسادر وحاقي وهذا القلم قلم العجايب

فانه بعد ذلك العالم في صورة الخيال فتراه بقلبك وتشاهده بصيرتك

فصل في القلم الحامدي عشرة في اللغة وتفاصيلها من شرح معاني الفاظها المفردة ونحوها وتصريفها واسرار تراكيبها وما يتبع ذلك من أحوالها ووجوهها وأنواع دلالتها على المعاني وكيفية الدلالة وهو في التعبير عن المعاني باخبار أحسن الالفاظ وأعذبها وأسهلها وأوضحها وهذا القلم واسع التصرف جدا بحسب سعة الالفاظ وكثرة بحارها وتنوعها

فصل في القلم الثاني عشر القلم الجامع وهو في الرد على المبطلين ورفع سنة المحققين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم ونهايتهم وخروجهم من الحقي ودخولهم في الباطل وهذا القلم في الاقلام نظير الملوك في الانام وأصحابه أهل الحجج الناصرون لما اجات به الرمل المحاربون لاعادتهم وهم الداخون الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل وعدوا لكل مخالف لرسول فهم في شأن وغيرهم من اصحاب الاقلام في شأن فهذه الاقلام التي فيها انتظام مصالح العالم ويكفي في جلالة القلم انه لم يكتب كتب الله الا بدوان الله سبحانه أقسم به في كتابه وتعرف الى غيره بأن علم بالقلم وانما وصل اليها ما بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم ولقد ابدع ابو تمام اذ يقول في وصفه

لك القلم الماضى الذى يتباهى * يصاب من الامر الكلى والمفاصل
له ربة طل و لكن وقعها * بأثاره في الغرب والشرق وابل
اماب الاغشى القاتلات لمسا به * وارش الجا شتارته ابدعوامل
له الخلدوات اللامى لولا نجيبها * لما اختلفت للملك تلك المحافل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * واجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما تطلت الخس اللطاف وأفرغت * عليه سفار الكفر وهى حوافل
الماعتة اطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجمافل
اذا امتعذر الذهن الذى واقبت * اعاليه في القرطاس وهى اسافل
وقدر فدنه الخنصران وشددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنا وميما خطبه وهو هازل

فصل في القلم الثالث عشر القلم والكتابة في هذه السورة تنزيه نبينا ورسوله عما يقول فيه اعداؤه وهو قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وانت اذا طابقت بين هذا القسم والمقسم به وجدته دال عليه أظهر دالة وابينها فان ما طر الكاتب بالقلم من انواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر الامن عقل وافر فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذى في اعلى درجات العلوم بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الا تيان بها ولا سيما من أمي لا يقرأ كتابا ولا يخط بيينه مع كونه في اعلى انواع الفصاحة سليما من الاختلاف بربا من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد ان يأتوا بجمله ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك من مجنون

لا عقل له يميزه ما عسى كثير من الحيوان ان يميزه وهل هذا الامن اقبح الهيات واطهر الافك
 فتأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم عليه ودلالته عليه اتم دلالة ولو ان رجلا انشأ رسالة
 واحدة بديعة منتظمة الاول والاخر مساوية الاجزاء يصدق بعضها بعضا او قال قصيدة
 كذلك او صنف كتابا كذلك لشهده العقلاء بالعقل ولما استجاز احد ربييه بالجنون مع
 امكان بل وقوع معارضتها ومشاكلتها والابان يثلمها واحسن منها فكيف يرمى بالجنون
 من اتى بما حيزت العقلاء كلهم قاطبة عن معارضته ومما ثلته وعرفهم من الحق ما لا تهتدى
 عقولهم بحيث اذعننت له عقول العقلاء وخضعت له ابواب الاولياء وتلاشت في جنب ما جاء به
 بحيث لم يسعها الا التسليم له والانقياد والا ذناب طائفة مختارة وهى ترى حقها ولها
 اشد فمراوحا الى ما جاء به ولا كمالها الا بما جاء به فهو الذى كل عقولها كما يكمل الطفل
 برضاع الثدي ولهذا اتباعه اعقل الخلق على الاطلاق وهذه مؤلفاتهم وكتبهم
 في الفنون اذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفه ظهرت التفاوت بينها ويكنى في عقولهم
 انهم عمرو الدنيا بالعلم والعدل والقلوب بالايان والتقوى فكيف يكون متبوعهم مجنونا
 وهذا حال كتابه وهديه وسيرته وحال اتباعه وهذا انما حصل له ولا يتباعه بنعمة الله
 عليه وعليهم فنفى عنه الجنون بنعمته عليه وقد اختلف في تقدير الآيات ففرقة الباء في بنعمة
 وبك باء القسم فهو قسم آخر اعترض بين المحكوم به والمحكوم عليه كما يقول ما انت بالله بكاذب وهذا
 التقدير ضعيف جدا لانه قد تقدم القسم الاول فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ولا يحسن
 أن تقول والله ما انت بالله بقائم وليس هذا من فصيح الكلام ولا عهد به في كلامهم وقالت
 فرقة العامل في بنعمة ربك اداة معنى النفي او معنى اننى هنك الجنون بنعمة ربك ورد ابو عمر الحاجب
 وغيره هذا القول بان الحرف لا تعمل معانيها وانما تعمل الماظها وقال الزمخشري يتعلق بنعمة ربك
 بمجنون منفيا كما يتعلق بمعلق مثلثا في قولك انت بنعمة الله معلق يستويان في ذلك الايات والنفي
 استواءهما في قولك ضرب زيد عمر او ما ضرب زيد عمرا يعمل الفعل مثبتا ومنفيا معا الا واحد او محله
 الصب على الحال اى ما انت بمجنون منكما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها
 زائدة لتأكيد النفي واعترض عليه بان العامل اذا تسلط على محكوم به وله معمول فانه يجوز فيه
 وجهان احدهما نفي ذلك المعمول فقط نحو قولك ما زيد بذهاب مسرعا فانه ينفي الاسراع دون
 القيام ولا يمتنع أن يثبت له ذهاب في غير اسراع والثاني ينفي المحكوم به فينفي معموله بانتمائه
 فينفي الذهاب في هذه الحال فينفي الاسراع بانتمائه فاذا جعل بنعمة ربك معمول لا مجنون لزم
 احد الامرين وكلاهما متف جزما وهذا الاعتراض هنا فانه لان المعنى اذا حصل ما انت
 بمجنون منكما عليك لزم من صدق هذا الخبر نفيها قطعا ولا يصح نفي المعمول وثبوت العامل
 في هذا الكلام ولا يفهم منه من له آلة الفهم وانما يفهم الآدمى من هذا الكلام ان الجنون اننى
 هنك بنعمة الله عليك واننى هنا ما فهمه هذا المعترض بنعمة الله علينا ثم اخبر سبحانه عن كمال
 حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخراه فقال وانك لا تجرا غير ممنون اى غير
 مقطوع بل هو دائم مستمر ونكر الاجرتنكير تعظيم كما قال ان في ذلك لعبرة وان في ذلك لاية
 وان في ذلك لذكرى وان للمؤمنين مغازا وان له عندنا لزنى وحسن ما آب وهو كثير وانما كان

التكبر لعظيم لانه صور لاسماع بمنزلة امر عظيم لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم قال وانك اعلم خلق عظيم وهذه من اعظم آيات نبوته ورسالتهم ان منعه الله فهم اولئك ام المؤمنين عن خلقه صلى الله عليه وسلم ما اجابت بما شئى وكفى نقالت كان خلقه القرآن فهم سائلها ان يقوم لا يسألها شيئا بعد ذلك ومن هذا قال ابن عباس وغيره انى على دين عظيم وسعى الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صاعدة وارادات زائفة وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال من تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقها من اذكى الاخلاق واشرفها وافضلها فهذه كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبسة من مشكاة القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا له وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبه فيما رغب فيه وزهد فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبه ما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره وتبليغه والجهاد في اقامته فترجت ام المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى فاذا كانت اخلاق العباد وعلومهم واراداتهم واعمالهم مستفادة من القلم وما يسطرون وكان في خلق القلم والكتابة انعام عليهم واحسان اليهم اذ وصلوا به الى ذلك فكيف يشكرون انعامه واحسانه على عبده ورسوله الذى اعطاه اعلى الاخلاق وافضل العلوم والاعمال والارادات التى لا تهتدى العقول الى تفاصيلها من غير قلم ولا كتابة فهل هذا الامن اعظم آيات نبوته وشواهد صدق رسالته وسيعلم اعداؤه المكذبون له ايهم المفتون هو ام هم وقد علموا اهم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث تتساوى اقدام الخلائق في العلم به وقد اختلف في تقدير قوله بأبيكم المفتون فقال ابو عثمان المازنى هو كلام مستأنف والمفتون عنده مصدر اى بأبيكم الفتنة والاستفهام عن امر دائر بين اثنين قد علم اتفاقه عن أحدهما قطعا فتعين حصوله للأخر والجمهور على خلاف هذا التقدير وهو عندهم متصل بما قبله ثم لهم فيه أربعة أوجه احدها ان الباء زائدة والمعنى ابيكم المفتون وزيدت في المبتدأ كما زيدت في قولك بحسبك ان تفعل قاله ابو عبيد الثاني ان المفتون بمعنى الفتنة اى ستبصر وبعصرون بأبيكم الفتنة والباء على هذا ليست زائدة قاله الاخفش الثالث ان المفتون مفعول على بابه ولكن هنا مضاف محذوف تقديره بأبيكم فتون المفتون وليست الباء زائدة قاله الاخفش ايضا الرابع ان الباء بمعنى في والتقدير في اى فريق منكم النوع المفتون والباء على هذا ظرفية وهذه الاقوال كلها تكلف ظاهر لاحاجة الى شئ منه وستبصر مضمن معنى تشمر وتعلم فعدى بالباء كما تقول تشمر بكذا وتعلم به قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى واذا دماك اللفظ الى المعنى من مكان قريب فلا تجب من دماك اليه من مكان بعيد

فصل يكون من ذلك قوله تعالى فلا قسم بواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يسهو الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ذكر سبحانه هذا القسم حقيق ذكر القبامة الكبرى واقسام الخلق فيها ثم ذكر الادلة القاطعة على قدرته وعلى المعاد بالنشأة

الاولى واخراج الثبات من الارض وانزال الماء من السماء وخلق النار ثم بعد ذلك احوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن وأقسام مواقع الجيوم على ثبوت القرآن وانه تنزيله وقد اختلف في الجيوم التي أقسم بمواقعها قبل هي آيات القرآن ومواقعها زولها شيئا بعد شئ وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وقول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة وقيل الجيوم هي الكواكب ومواقعها ساقطها عند غروبها هذا قول ابى عبدة وغيره وقيل مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن ومن جهة هذا القول ان له ظ مواقع تقتضيه فانه مفاعل من الوقوع وهو السقوط فكل نجم موقع وجهها مواقع ومن جهة قول من قال هي مساقطها عند الغروب ان الرب تعالى يقسم بالجوم وطلوعها وجريانها وغروبها اذ فيها وفي احوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى في الاقسام بالجوار الكنس وقال والنجم اذا هوى وقال فلا أقسم برب المشارق والمغرب ويرجع هذا القول ايضا ان الجيوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى وأدبار الجيوم وقوله والشمس والقمر والنجوم وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر الجيوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها ان الجيوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغى فتلك هداية في الظلمات الحسية وآيات القرآن في الظلمات المعنوية فيجمع بين الهدأيتين مع ما في الجيوم من الرجوع للشياطين وفي آيات القرآن من رجوع شياطين الانس والجن والجوم آياته المشهودة المعانية والقرآن آياته المتلوة المعجية مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية وموقعها عند النزول ومن قرأ بمواقع الجيوم على الافراد فدلالة الواحد المضاف الى الجمع على التعدد والموقع اسم جنس والمصادر اذا اختلفت جهت واذا كان النوع واحدا افردت قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الجبير فيجمع الاصوات لتعدد النوع وافرده صوت الجبير لوحده فانفراد موقع الجيوم لوحده المضاف اليه وتعدد المواقع لتعدد اذ لكل نجم موقع

فصل في المقسم عليه ههنا قوله انه لقرآن كريم ووقع الاعتراض بين المقسم وجوابه بقوله وانه المقسم لو تعلمون عظيم ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون عظيم فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض اللفظي شئ واحسنه موقعا واحسن ما يقع هذا الاعتراض اذا تضمن تأكيذا او تنبيها او احترازا كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا الاوسعها أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فاعتراض بين المبتدأ والخبر بقوله لانكف نفسا الاوسعها لا تضمنه ذلك من الاحتراز الدافع لتوهم متوهم ان الوعد انما يستحقه من اتى بجمع الصالحات فرفع ذلك بقوله لانكف نفسا الاوسعها وهذا احسن من قول من قال انه خبر عن الذين آمنوا ثم اخبر عنهم بخبر آخر فهم اخبر ان من مخبر واحد فان عدم التكليف فوق الوسع لا يخص الذين آمنوا بل هو حكم شامل لجميع الخلق مع ما في هذا التقدير من اخلاء جملة الخبر عن الرابطة وتقدير

صفة محذوفة أى نفساً منهم وتعطيل هذه الفائدة الجذيلة ومن أطفأ الاعتراض وأحسنه قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فاعتراض بقوله سبحانه بين الجمعين وفوائد الاعتراض تختلف بحسب قصد المتكلم وسياق الكلام من قصد الاعتناء والتقريب والتوكيد وتعظيم المقسم به والخبر عنه ورفع توهم خلاف المراد والجواب عن سؤال مقدر وغير ذلك فن الاعتراض الذى يقصده التقرير والتوكيد قول الشاعر

لوان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالاً

وما يقصده الجواب عن سؤال مقدر قول الآخر

فلاجرة تبدو وفي اليأس راحة * ولا رصلة تصفو لها فتكارمه

فقوله وفي اليأس راحة جواب لتقدير سؤال سائل وما يفتى عنك بجره فقال وفي اليأس راحة أى المطلوب أحد أمرين إما يأس مريح أو وصال صاف ومن اعتراض الاحتراز قول الجعدي

الأزمت بنو جعد بأنى * وقد كذبوا كبير السن فانى

ومنه قول نصيب

فكذبت ولم أخلق من الطيران بدا * سنا بارق نحو الجواز أطير

فقوله ولم أخلق من الطير لرفع استفهام يتوجه عليه على سبيل الإنكار لو قال فكذبت أطير فيقال له وهل خلقت من الطير فاعتراض بهذا الاعتراض وعندى أن هذا الاعتراض يفيد غير هذا وهو قوة شوقه وتزوجه إلى أرض الجواز فأخبر أنه كاد يطير على أنه ابهمشى من الطيران فإنه لم يخلق من الطير ولا يحب طيران من خلق من الطير وإنما العجب طيران من لم يخلق من الطير أشدة تزوجه وشوقه إلى جهة محبوبة فتأمله ومن مواقع الاعتراض الاعتراض بالدعاء كقول الشاعر

قد كنت أبكى وأنت راضيه * حذار هذا الصدود والغضب

إن تم ذا الحجر يا غلوم ولا تم * فسالى فى العيش من أرب

وقول الآخر

إن سلمى والله يكلوها * ضنت بشى ما كان يزورها

وقول الآخر

إن الثمانين وإن بلغتها * قد أحوجت سمى إلى ترجان

ومنه الاعتراض بالقسم كقوله

ذاك الذى وأبك يعرف مالكا * والحق بدفع ترهات الباطل

ومن اعتراض الاستعطاف قوله

فمن لى بالعين التى كنت مرة * إلى بهانفسى فداؤك نظير

فاعتراض بقوله نفسى فداؤك استعطافاً فتأمل حسن الاعتراض وجزالته في قول الرب تعالى وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فقوله والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه أفاذا موراً منها الجواب عن سؤال سائل ما حكمة هذا التبديل وما فائدته ومنها أن الذى يدل واتى بغيره منزل محكم تزوله قبل الاخبار بقره ولهم ومنها أن مصدر الامر من عن علمه تبارك وتعالى وإن كان منهما منزل فيجب التسليم والايان بالاول والثانى

ومن الاعتراض الذي هو في اهل درجات الحسن قوله تعالى ووعدنا الانسان بالدينه جلته
 امه وهنا على وهن وفضاله في ما بين ان اشكر لي ولو الديك فاعترض بذكر شأن حمله
 ووضعه بين الوصية والموصى به نو كيدا لامر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكرا
 اولدها بحقها وما قاتنه من حله ووضعه عالم يتكلفه الاب ومنه قوله تعالى واذا قتلتم نفسا
 فادار آثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها على قوله والله
 مخرج ما كنتم تكتمون بين اجل المطوف ببعضها على بعض اعلاما بان تداره هم وتدافعهم
 في شأن القبول ليس نافع لهم في كتمانها فانه يظهره ولا بد ولا نستطيل هذا الفصل
 وامثاله فانه يعطيك ميراثا وينهج لك طريقا يبينك على فهم الكتاب والله المستعان
 ﴿ فصل ﴾ ثم قال انه لقرآن كريم فوصفه بما يقتضى حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته
 فان الكريم هو الهمي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء احسنه وافضله والله سبحانه
 وصف نفسه بالكريم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن
 منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال الكلبي انه لقرآن كريم أى
 حسن كريم على الله وقال مقاتل كرمه الله واحزه لانه كلامه وقال الازهرى الكريم اسم جامع
 للمحمد والله كريم جليل الفعالي وانه لقرآن كريم بمحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم
 والحكمة وبالجملة فالكريم الذى من شأنه ان يعطى الخير الكثير بسهولة ويمسر وضده الهميم
 الذى لا يخرج خيره التزرا الا بصبر وصعوبة وكذلك الكريم فى الناس والقيم
 ﴿ فصل ﴾ ثم قال تعالى فى كتاب مكنون اختلاف المفسرون فى هذا فقيل هو الوح
 المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذى بأيدي الملائكة وهو المذكور فى قوله فى صحف مطهرة
 بأيدي سفرة كرام بررة وبدل على انه الكتاب الذى بأيدي الملائكة قوله لا يمسه الا المطهرون
 فهذا يدل على انه بأيديهم يسونه وهذا هو الصحيح فى معنى الآية ومن المفسرين من قال
 ان المراد به ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لوجوه احدها ان الآية سبقت
 تنزها لقرآن ان تنزل به الشياطين وأن محله لا يصل اليه فيمسه الا المطهرون فيستحيل على
 احابث خلق الله وانجسهم ان يصلوا اليه ويسوه كما قال تعالى وما تنزل به الشياطين
 وما ينبغى لهم وما يستطيعون فنفى القهـل وتأنيبه منهم وقدرتهم عليه فما فعلوا ذلك
 ولا يلقى بهم ولا يقدرون عليه فان القهـل قد ينبتى عن محسن منه وقد يلقى من لا يقدر عليه
 فنفى عنهم الامور الثلاثة وكذلك قوله فى سورة عبس فى صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام
 بررة فوصف محله بهذه الصفات يانا ان الشيطان لا يمكنه ان يتنزل به وتقرير هذا المعنى
 اهم واجل وانفع من بيان كون المصحف لا يمسه الا طاهر الوجه الثانى ان السورة مكبة
 والاعتناء فى السور المكبة انما هو بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنسوة واما تقرير
 الاحكام والشرائع فغفظة السور المدنية الثالث ان القرآن لم يكن فى مصحف عند نزول هذه
 الآية ولا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع فى المصحف فى خلافة ابى بكر
 وهذا وان جاز ان يكون باخبار ما يأتى فالظاهر انه اخبار بالواقع حال الاخبار بوضعه
 الوجه الرابع وهو قوله فى كتاب مكنون والمكنون المصون المستور عن الاعين الذى

لأنه أيدى البشر كما قال تعالى كأنهن بيض مكنون وهكذا قال السلف قال الكافي مكنون من الشياطين وقال مقاتل مستور وقال مجاهد لا يصيبه تراب ولا خبار وقال أبو اسحق مصون في السماء يوضه الوجه الخامس ان وصفه بكونه مكنونا نظير وصفه بكونه محفوظا بقوله قرآن كريم في كتاب مكنون كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ يوضه الوجه السادس ان هذا بلغ في الرد على المكذبين وأبلغ في تعظيم القرآن من كون المصحف لا يسه محدث الوجه السابع قوله لا يسه الا المطهرون بارفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حل الآية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حل كل منهما على حقيقته وايس ههنا موجب بوجوب صرف الكلام عن الخبر الى النهي الوجه الثامن انه قال الا المطهرون ولم يقل الا المتطهرون ولو اراد به منع الحدث من مسه لقال الا المتطهرون كما قال تعالى ان الله يحب المتطهرين وفي الحديث اللهم اجعلني من اتوايين واجعلني من المتطهرين فالتطهر فاعل التطهير والمطهر الذي طهره غيره فالتوضي منطهر والملائكة مطهرون الوجه التاسع انه لو اراد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنونا كبير فائدة اذ مجرد كون الكلام مكنونا في كتاب لا يستلزم ثبوته فكيف يدح القرآن بكونه مكنونا في كتاب وهذا امر مشترك والآية انما بقيت لبيان مدحه وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على انه منزل من عند الله وانه محفوظ مصون لا يصل اليه شيطان بوجه ما ولا يس محله الا المطهرون وهم السفرة الكرام البررة الوجه العاشر ماروا وسعيد بن منصور في سننه ثنا ابو الاحوص ثنا صم الجاهلي عن انس بن مالك في قوله لا يسه الا المطهرون قال المطهرون الملائكة وهذا عند طائفة من أهل الحديث في حكم المروع قال الحاكم تفسير الصحابة وندنا في حكم المرفوع ومن لم يجعله مرفوعا فلا ريب انه عنده اصح من تفسير من بعد الصحابة والصحابة أهل الامة بتفسير القرآن وبجبر الرجوع الى تفسيرهم وقال حرب في مسأله سمعت اصمعي في قوله لا يسه الا المطهرون قال النسخة التي في السماء لا يسه الا المطهرون قال الملائكة وسمعت شيخ الاسلام بقررا الاستدلال بالآية على ان المصحف لا يسه المحدث بوجه آخر فقال هذا من باب التنبيه والاشارة اذا كانت المصحف التي في السماء لا يسه الا المطهرون فكذلك المصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي ان يسهها الا طاهر والحديث مشتق من هذه الآية وقوله لا تمس القرآن الا وائنت طاهر رواه أهل السنن من حديث الزهري عن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات أن لا يمسه الا المطهرون قال احمد ارجو أن يكون صحبها وقال أيضا لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه وقال أبو عمر هو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الاسناد لانه اشبه التواتر في مجيئه لتلقى الناس له بالقبول والعرفه ثم قال وهو كتاب معروف عند العلماء وما فيه يخفى عليه الا قليلا وقد رواه ابن حبان في صحبه ومالك في موطنه وفي المسئلة آثار اخر منذ كورة في غير هذا الموضع

فصل في ودلت الآية باشارتها وإيماها على انه لا يدرك معانيه ولا يفهمه الا القلوب

الطاهرة وحرام على القلب التلوث بجماعة البدع والمخالفات ان ينال معانيه وأن يفهمه كما
 ينبغي قال البخاري في صحيحه في هذه الآية لا يجرد معناه الا من آمن به وهذا ايضا من اشارة
 الآية وتبنيها وهو انه لا يلتذبه وبقراءته وفهمه وتدبره الا من شهدانه كلام الله تكلم به حقا
 وانزله على رسوله وحيا ولا ينال معانيه الا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه
 فمن لم يؤمن بالله حتى من عند الله في قلبه منه حرج ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به
 وحيا وليس مخلوقا من جملة مخلوقاته في قلبه منه حرج ومن قال ان له باطنا يخالف ظاهره
 وان له تأويلا يخالف ما يفهم منه في قلبه منه حرج ومن قال ان له تأويلا لا يفهمه ولا يظنه
 وانما تلوه متعبدين بأفانظه في قلبه منه حرج ومن سلط عليه آل الآرائين وهذيان المتكلمين
 وسفسطة المسفسطين وخيالات المتصوفين في قلبه منه حرج ومن جعله تابعا لهيئته ومذهبه
 وقول من قلده دينه ينزله على أقواله ويتكلف حمله عليها في قلبه منه حرج ومن لم يحكمه
 ظاهرا وباطنا في أصول الدين وفروعه وبسلم وينقاد لحكمه ان كان في قلبه منه حرج
 ومن لم يأتمر بأوامره وينزجر عن زواجره ويصدق جميع اخباره ويحكم أمره ونهيه وخبره
 ويرد له كل أمر ونهى وخبر خالفه في قلبه منه حرج وكل هؤلاء لم تقس قلوبهم معانيه ولا
 يفهمونه كما ينبغي أن يفهم ولا يجردون من لذة حلاوته وطعمه ما وجدته الصحابة ومن تبعهم
 وانت اذا تأملت قوله لا يؤمنه الا المطهرون واعطيت الآية حقه من دلالة اللفظ وإيمانه
 وإشارته وتبنيته وقياس الشيء على نظيره واعتباره بمشاكله وتأملت المشابهة التي عقدها الله
 سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهت هذه المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق

فصل في كتاب مكنون وهو ملازم له فهو دليل عليه ومدلول له وواقدا كونه تنزيلا من رب العالمين
 كما في كتاب مكنون فهو ملازم له فهو دليل عليه ومدلول له وواقدا كونه تنزيلا من رب العالمين
 مطلوبين عظيمين من أجل مطالب الدين أحدهما أنه المتكلم وأنه من نزل ومنه بدأ وهو
 الذي تكلم به ومن هنا قال السلف منه بدأ ونظيره ولكن حتى القول منى وقوله قل نزل
 روح القدس من ربك والثاني صلواته سبحانه فوق خلقه فان النزول والتنزيل الذي تعقله
 العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أهلال إلى أسفل والرب تعالى انما يخاطب عباده
 بما تعرفه فطرهم وتشهده عقولهم وذكر التنزيل مضافا إلى ربوبيته للعالمين المستلزما فملكه
 لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم واحسانه وانعامه عليهم وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف
 يلقى به مع ربوبيته التامة أن يتركهم صدى ويدعهم هملا ويخلفهم عينا لا يأمرهم ولا ينههم
 ولا يثيبهم ولا يعاقبهم فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله واستدل بكونه
 رب العالمين على ثبوت رسالته رسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من
 الاستدلال بالمعجزات والخوارق وان كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس وتلك انما
 تكون لخواص العقلاء وقد أشار سبحانه إلى طريقين في غير موضع من كتابه كقوله
 صرناهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فهذا استدلال بالآيات المعانية
 المخلوقة ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فهذا استدلال بكمال ربوبيته وكمال
 أوصافه على صدق رسوله فيما جاء به وهذه الطريق أخص وأقوى وأكمل وأعلى والأول

أعم وأشمل وقد تقدم بانه ما عند قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وابن الاستدلال
 بأوصاف الرب تعالى وكاله المقدس على ثبوت النبي وبعثه من الاستدلال عليه بعض مخلوقاته
 وتأمل فرق ما بين استدلال سيدة نساء العالمين خديجة بصفات الرب تعالى وصفات محمد صلى
 الله عليه وسلم واستنتاجهما من بين هذين الامرين صحة نبوته وأنه رسول الله حقا وان من كانت
 هذه صفات ربه وخالفه تأبى أن يخزيه وأنه يؤيده ويعليه ويتم نعمته عليه وأنت اذا تأملت
 هذه الطريقة وهذا الاستدلال وجدت بينها وبين طريقة المتكلمين من الفرق ما لا يخفى واذا
 حصل للعبد الفقه في الاسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الآخرة وال
 الطرائق والمذاهب والعقائد أعظم انتفاع وأتم وقد بينا في كتابنا المعالم بطلان التخصيل
 وغيره من الخيل الربوية من أسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم ان يحرم الشيء
 ويتواعد على فعله بأعظم انواع العقوبات ثم يبيح التوصل اليه بنفسه بأنواع التخييلات فأبى
 ذلك الوعد الشديد وجواز التوصل اليه بالطريق البعيد اذ ليست حكمة الرب تعالى
 وكال علمه واسمائه وصفاته تتقضى باحالة ذلك وامتناعه عليه فهذا استدلال بالفقه الاكبر
 في الاسماء والصفات على الفقه العملي في باب الامر والنهى وهذا باب حرام على الجهل
 المعطل ان يلجأ اليه حرام عليه ربحها وان ربحها لوجود من مسيرة خمسين الف سنة والله
 العزيز الوهاب لا مانع لما عطى وما منعه مما عطى وبه التوفيق

فصل في نهيهم سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعه وانهم يداهنون
 بما حقه ان يصدع به ويفرق به وبعض عليه بالنواجذ ويثني عليه الخناصر وتعد عليه القلوب
 والاقدسة وبحار وبسالم لاجله ولا يلثوى عنه لائمة ولا بصرة ولا يكون للقلب
 التفات الى غيره ولا يحاكية الا اليه ولا تخصمة الابيه ولا اهتداء في طرق المطالب
 العالية الابنوره ولاشفاء الابيه فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وقائمة
 الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه
 ولم ينزل للمداهنة وانما أزل بالحق والحقى والمداهنة انما تكون في باطل قوى لا يمكن ازالته
 اوفى حق ضعيف لا يمكن اقامته فيحتاج المداهن الى أنه يترك بعض الحق ويلتزم بعض
 الباطل فاما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به ثم قال سبحانه ونجعلون رزقكم انكم
 تكذبون لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب انما هو بالرزق فرزق البدن الطعام
 والشراب ورزق القلب الايمان والمعرفة بربه وظلمه ومحبه والشوق اليه والانس بقربه
 والابتهاج بذكره وكان لحياته الا بذلك كما أن البدن لحياته الا بالطعام والشراب انم
 سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق وجعل قياس ابدانهم وقلوبهم بهما ثم قوت
 سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته فمنهم من وفر حظه من
 الرزقين ووسع عليه فيها ومنهم من قتر عليه في الرزقين ومنهم من وسع عليه رزق البدن
 وقتر عليه رزق القلب وبالعكس وهذا الرزق انما يتم ويكمل بالشكر والشكر مادة زيادته وسبب
 حفظه وبقائه وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فان الله تعالى تأذن أنه لا بد ان
 يزيد الشكور من نعمه ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع

الشكر والايان جعلوا رزقهم نفسه تكذبا فان التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة هوؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب وهذا المعنى هو الذى حام حوله من قال التقدير وتجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وقال آخرون التقديرو وتجعلون بدل شكر رزقكم انكم تكذبون فحذف مضامين معا هوؤلاء اطالوا العظ وقصروا بالمعنى ومن بعض معنى الآية قوله مطرنا بنوه كذا وكذا فهذا لا يصح أن ندل عليه الآية ويراد بها والاقتضاهما اوسع منه واعمواعلى والله اعلم

فصل في ثم ختم السورة بأحوالهم عند القياسة الصغرى كما ذكر في اولها احوالهم في القيامة الكبرى وقسمهم الى ثلاثة اقسام كما قسمهم هناك الى ثلاثة وذكر بين يدي هذا التقسيم الاستدلال على صحته وثبوته بأنهم مربوبون مدبرون مملكون فوفهم رب قاهر مالك يتصرف فيهم بحسب مشيئته و ارادته وقرره على ذلك بالارسل لهم الى دعوته ولا انكاره فقال فلولا اذا بلغت الحلقوم اى وصلت الروح الى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تفارق هى رزخ بين الموت والحياة كما انها اذا فارقت صارت فى رزخ بين الدنيا والاخرة ملائكة الرب تعالى اقرب الى المتضر من حاضريه من الانس ولكنهم لا يبصرون بهم فلولا تردونها الى مكانها من البدن ايها الحاضرون ان كان الامر كما تزعمون انكم غير مجزيين ولا مدبرين ولا مستوحين ليوم الحساب (فان قيل) اى ارتباط بين هذين الامرين حتى يلزم بينهما (قيل هذا) من احسن الاستدلال وابلغه فانهم امان يقروا بأنهم مربوبون مملوكون عبيد لملك قادر متصرف فيهم قاهر آمر ناه ولا يقرون بذلك فان اقروا به لزمهم القيام بحقه عليهم وشكره وتعظيمه واجلاله وان لا يجعلوا له ندا ولا شريكا وهذا هو الذى جاء به رسوله ونزل عليه به كنيته وان انكروا ذلك وقاوا انهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوبين وأن الامر اليهم يردون الارواح الى مقارها اذا بلغت الحلقوم فان المتصرف فى نفسه الحاكم على روحه لا يتنعم منه ذلك بخلاف المحكوم عليه المتصرف فيه غير المدبر له سواء الذى هو عبد مملوك من جميع الجهات وهذا الاستدلال لا يعيد عنه ولا يدفعه ومن أعطاه حقه من التقدير والبيان انتفع به غاية النفع وانتقاد لاجله لعبودية وأذعن ولم يسهه غير التسليم للربوبية والالهية والافرار بالعبودية والله ما احسن جزالة هذه الالفاظ وفصاحتها وبلوغها اقصى مراتب البلاغة والفصاحة والاختصار التام وندائها الى معناها من اقرب مكان واشغالها على التوبخ والتقريب والالزام ودلائل الربوبية والنوحيد والبعث وفصل النزاع فى معرفة الروح وأنها تصعد وتنزل وتنتقل من مكان الى مكان وما احسن اعادة لولا ثانيا قبل ذكر الفعل الذى يقتضيه الاول وجعل الطرفين يقتضيهما اقتضاه واحدا وذكر الشرطين بين لولا الثانية وما يقتضيه من الفعل ثم الموالاة بين الشرط الاول والثانى مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هى الرابطين لولا الاولى والثانية والشرط الاول والثانى وهذا تركيب يستفد العقل والسمع لمناه ولفظه قضت الآياتان تقريرا ونوبضا واستدلالا على اصول الايمان من وجود الخلق بجهانه وكال قدرته وغوذه مشيئته وربوبيته وتصرفه فى ارواح عباده حيث لا يقدرون

على التصرف فيها بشئ وأن ارواحهم يده يذهب بها اذا شاء ويردها اليهم اذا شاء ويحلى ابدانهم
 منها نارة ويجمع بينها وبينها نارة واثبات المعاد وصدق رسوله فيما أخبر به عنه واثبات
 ملائكته وتقرير عبودية الخلق وأنى بهذا في صورة تخصيصهم وتوحيدهم وتقريرين وجوابين
 وشرطين وجزائين منتظمة احسن الانظام ومتداخلة احسن التداخل متعلقا بعضها ببعض
 وهذا كلام لا يقدر البشر على مثل نظمه ومعناه قال الفراء واجبت فلولا اذا بلغت وفلولا
 ان كنتم غير مدينين يجواب واحد وهو ترجمونها ان كنتم صادقين قال ومثله قوله تعالى
 فاما يا نينكم منى هدى فى نبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد
 وهما شرطان قال الجرجاني قوله ترجمونها جواب لقوله فلولا المتقدمة والتأخره على تأويل
 فلولا اذا بلغت النفس الخلقوم تردونها الى موضعها ان كنتم غير محاسبين ولا يجزى بين كانهم
 يقول تعالى ان كان الامر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا اله ولا رب يقوم بذلك
 فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقه - وم فاذالم يكنكم فى ذلك حيلة بوجه
 من الوجوه فهل ذلك على أن الامر الى ملك قادر قاهر متصرف فيكم وهو الله الذى
 لا اله الا هو وقال أبو اسحق معناه فهلا ترجمه - ون الروح ان كنتم غير مملوكين مدبرين فهلا
 ان كان الامر كما تزعمون فى كما يقول فانكم لو اطاعونا ما قتلوا لو اكونوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
 اى ان كنتم تقدروا أن تؤخروا اجلا فهلا ترجمه ون الروح اذا بلغت الخلقوم وهلا تردون
 عن أنفسكم الموت قلت وكان هذا يلتفت الى قوله تعالى قل كونوا جبارة أو حديدا أو خلقا
 مما يكبر فى صدوركم اى ان كنتم كما تزعمون لا تبعون بعد الموت خلقا جديدا فكونوا خلقا لا يفتى
 ولا يلى امان جبارة أو من حديدا واكبر من ذلك ووجه الملازمة ما تقدم ذكره وهو امان
 تقروا بأن لكم رباً منصرفاً فيكم وما كانكم تنفذيكم مشيئته وقدرته بعبادته اذا شاء وبحيبكم
 اذا شاء فكيف تنكرون قدرته على امانكم خلقا جديدا بعدما امانكم واما ان تنكروا أن يكون
 لكم رب قادر قاهر مالك نافذ المشيئة فيكم والقدرة فيكم فكونوا خلقا لا يقبل الفناء والموت
 فاذالم تستطيعوا أن تكونوا كذلك فانكروا من قدرة من جعلكم خلقا يموت وبعبأنى يحييكم
 بعد ما اتاكم فهذا استدلال يعجزهم عن كونهم خلقا لا يموت والذى فى الواقعة استدلال
 يعجزهم عن رد الروح الى مكانها اذا قاربت الموت وليس بعده هذا الاستدلال الا الاذنان
 والانتقاد أو الكفر والضاد

فصل في ما قام الدليل ووضح السبيل وتم البرهان على انهم مملوكون مرسوبون مجزبون
 محاسبون ذكر طبقاتهم عند الخسر الاول والقيامة الصغرى وهى ثلاثة طبقة المقربين وطبقة
 اصحاب اليمين وطبقة المكذبين فجعل نحية المقربين عند الوفاة الروح والريحان والجنة
 وهذه الكرامات الثلاثة التى يعطونها بعد الموت نظير الثلاث التى يعطونها يوم القيامة
 فالروح الفرح والسرور والابتهاج ولذة الروح فهى كلمة جامعة لتعظيم الروح ولذتها وذلك
 قوتها وغذاؤها والريحان الرزق وهو الاكل والشرب والجنة المسكن الجامع لذلك كله
 يعطون هذه الثلاثة فى البرزخ وفى المعاد الثانى ثم ذكر الطبقة الثانية وهى طبقة اصحاب
 اليمين ولما كانوا دون المقربين فى المرتبة جعل نحيبتهم عند القدوم عليه السلالة من الاكاف

والشورور التي تحصل للمكذبين الضالين فقال واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
 من اصحاب اليمين والسلام مصدر من سلم اي ملك السلامة واخلطاب له نفسه اي يقال لك
 السلامة كما يقال للقادم لك الهناء ولك السلامة ولك البشروي ونحو ذلك من الالفاظ كما يقولون
 خير مقدم ونحو ذلك فهذه تحية عند اللقاء قال مقاتل يسلم الله لهم امرهم وينجاوز عن سيئاتهم
 وتقبل حسناتهم وقال الكلبي يسلم عليه أهل الجنة ويقولون السلامة لك وعلى هذا فقوله من
 اصحاب اليمين أي هذه التحية حاصلة لك من اخوانك اصحاب اليمين فانه اذا قدم عليهم حيوه
 بهذه التحية وقالوا السلامة لك وفي الآية أفعال آخر فيها تكلف وتصنف فلاحاجة الى ذكرها
 ثم ذكر الطبقة الثالثة وهي طبقة الضال في نفسه المكذب لاهل الحق وان له عند الموافة
 نزل الجحيم وسكنى الجحيم ثم اكد هذا الجزاء بما جعله كأنه رأى العين لمن آمن بالله ورسوله فقال
 ان هذا لهو حق اليقين فرفع شأنه عن درجة الظن والعلم الى اليقين وعن درجة اليقين الى حقه
 ثم امره ان يترزه اسمه تبارك وتعالى عـ الايليق به وترزيه الاسم متضمن لتزيه المسمى
 عما يقوله الكاذبون والجاحدون

فصل ومن ذلك قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى
 أقم سبحانه بالنجم عند هويته على تزيه رسوله وبرايمته بما ينسبه اليه اعداؤه من الضلال والغى
 واختلاف الناس في المراد بالنجم فقال الكلبي عن ابن عباس أقسم بالقرآن اذا نزل منجما على
 رسوله أربع آيات وثلاثا والسورة وكان بين اوله وآخره عشرون سنة وكذلك روى عطاء
 عنه وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره الفراء وعلى هذا فسمى القرآن نجما لتفرقه
 في النزول والعرب تسمى التفرق نجما والمفرق نجما ونجوم الكتابة اقسامها ويقول جعلت
 مالي على فلان نجما وما منجمة كل نجم كذا وكذا واصل هذا ان العرب كانت تجعل مطالع
 منازل القمر ومساقتها مواقيت حلول ديونها وآياتها فيقولون اذا طلع النجم يريدون الثريا
 حل عليك الدين ومنه قول زهير في ذبيبة جعلت نجوما على العاقل

نجمها قوم لقوم غرامة * ولم يهرقوا ما بينهم من محجم

ثم جعل كل نجم تفرقا وان لم يكن موقنا بطلوع نجم وقوله هوى على هذا القول اي نزل من
 هلو الى سفل قال ابو زيد هوت العقاب تهوى هوبا بفتح الهاء اذا انتقضت على صيد أو غيره
 وكذلك قال ابن الاعرابي وفرق بين الهوى لقوله * والداو في اصعادهما عمل الهوى * وقال
 الايث السامة تقول الهوى بالضم في مصدر هوى بهـ وى وكذلك قال الاصمعي هوى
 بهوى هو بفتح الهاء اذا سقط الى اسفل قال وكذلك الهوى في السير اذا مضى وهما امر
 يجب التنبه عليه خلط فيه ابو محمد بن حزم اقبح خلط فذكر في السماء الرب تعالى الهوى بفتح
 الهاء واخرج ياقب الصبحج من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
 في مجوده سبحان ربي الاعلى الهوى فظن ابو محمد أن الهوى صفة للرب وهذا من خلطه
 رحمه الله وانما الهوى في على وزن فعيل اسم قطعة من الليل يقال معنى هوى من الليل على
 وزن فعيل ومضى هرب منه اي طرف وجانب وكان يقول سبحان ربي الاعلى في قطعة من الليل
 وجانب منه وقد صرح بذلك في اللفظ الآخر فقالت كان يقول سبحان ربي الاعلى الهوى

من الليل عندنا الى قوله والجم اذ هوى وقال ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية
يعنى الثريا اذا سقطت وغابت وهو الرواية الاخرى عن مجاهد والعرب اذا اطلقت الجم
تعنى به الثريا قال فيات تعد الجم وقال ابو حزة الجاني يعنى النجوم اذا انتشرت يوم القيامة وقال
ابن عباس في رواية عكرمة يعنى النجوم التى ترمى بها الشياطين اذا سقطت فى آثارها عند
استراق السمع وهذا قول الحسن وهو اظهر الاقوال ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الآية
الظاهرة المشاهدة التى نصبها الله سبحانه آية وحفظا للوحى من استراق الشياطين له على ان
ماتى به رسوله حق وصدق لاسبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد احترس بالجم اذ هوى
رصدا بين يدي الوحي وحرسه الوحي - هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه فى غاية
الظهور وفى المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالجم اذ هوى
ولا تسمية نزوله هوى ولا عهد فى القرآن بذلك فيحمله هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص
هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة
بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بآياته فلا يحمله نفسه دليل - الا لعدم ظهوره للحساطين
ولاسيما منكرو البعث فانه سبحانه انما استدل بما لا يمكن جمده والاكابرة فيه وأظهر الاقوال
قول الحسن والله اعلم وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى فان النجوم التى ترمى
الشياطين آيات من آيات الله يحفظ به دينه ووحيه وآياته المنزلة - لى رسوله بها ظهر دينه
وشرعه وأسمائه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة خداما حرسا لهذه النجوم الهاوية
ونفى سبحانه عن رسوله اضرار المنايا للهدى والغنى المداق للرشاد فى ضمن هذا الذى الشهادة له
بأنه - لى الهدى والرشاد فالهدى فى علمه والرشاد فى علمه وهذا الاصلان هما غاية كمال
العبد وبهما سعاده وفلاحه وبهما وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلفاءه فقال عليكم
يسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فالراشد ضد الغاوى والمهدى ضد الضال
وهو الذى زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ولا
يشبهه الراشد المهدي بالضال الغاوى الا - لى أجهل خلق الله وأعماهم قلبا وأبدهم
من حقيقة الانسانية والله در القائل

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا ستوت عنده الانوار والظلم

فالداس أربعة أقسام ضال فى علمه ظاوى فى قصده وعمله وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل
الثانى مهتد فى علمه ظاوى فى قصده وعمله وهؤلاء هم الأئمة الغضبية ومن تشبه بهم وهو حال
كل من عرف الحق ولم يعمل به الثالث ضال فى علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر الرابع
مهتد فى علمه راشد فى قصده وهؤلاء ورثة الانبياء وهم وان كانوا الاقلين عددا فهم الاكثر
عند الله قدر او هم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه وتأمل كيف قال سبحانه ماضل صاحبكم
ولم يقل ماضل محمد تأكيذا لاقامة الحجية عليهم بأنه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبماله وأقواله
واعماله وانهم لا يعرفونه بالكذب ولا غنى ولا ضلال ولا يتعمون عليه امر او احد اقط وقد نبه
على هذا المعنى بقوله اهل لم يعرفوا رسوله بقوله وما صاحبكم بمجنون

فصل ثم قال سبحانه وما ينطق عن الهوى ان - والواو حى بوحى بقره نطق رسوله

ان يصدر عن هوى وبهذا الكمال هده ورشده وقال وما ينطق عن الهوى ولم يقل وما ينطق
 بالهوى لان نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى
 فكيف ينطق به فتضمن نفي الامر بن نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه
 فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا النفي والضلال ثم قال ان هو الاوحى بوحي فأعاد الضمير
 على المصدر المفهوم من الفعل اى ما نطقه الاوحى بوحي وهذا احسن من قول من جعل الضمير
 تأييدا الى القرآن فانه يتم نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحى بوحي وقد اخرج الشافعي لذلك
 فقال لعل من جهة من قال به - هذا قوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قالوا لعل من جهة
 ان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ازانى بأمرأة الرجل الذى صالحه على الغنم
 والخادم والذى نعى يده لاقضين بينكما بكتاب الله الغنم والخادم رد عليك الحديث
 وفي الحديث ان يعلى بن امية كان يقول لعمر بنى اري رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل
 عليه الوحي فلما كان بالجرمارة سأله رجل فقال كيف ترى في رجل احرم بعمرة في جنبه
 بعد ما توضح بالملوق فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكث فجاء الوحي فأشار
 عمر يده الى يعلى فجاء فأدخل رأسه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم محرم بغط ثم سرى عنه
 فقال ابن السائل آسف عجبى به فقال ازرع عنك الجبة واغسل اثر الطيب واصنع في عمرتك ما تصنع
 في حرك وقال الشافعي اخبرنا مسلم عن ابن جريح عن ابن طاووس عن ابيه ان عنده كتابا
 نزل به الوحي وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقة وعقول فانه انزل به الوحي
 وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة
 كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه وذكر الاوزاعي ايضا عن ابي حنيفة صاحب سليمان اخبرني
 القاسم بن مخيمرة حدثني ابن فضالة قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سر لنا قال لانسانى عن
 سنة احد ثمانية ايام لم يأمرني بها ولكن سلوا الله من فضله وابن فضالة هذا يسمى طمحة وقد صح عنه
 انه قال الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه وهذا هو السنة بلا شك وقد قال تعالى وانزل الله عليك
 الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة وبالله التوفيق

فصل في ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن ما يعلم انه مضاد لوصاف
 الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوى وهذا نظيره - وله ذى قوة عند ذى
 العرش وذكرناه هناك المر في وصفه بالقوة - وله ذومرة أى جليل المنظر حسن
 الصورة ذو جلاله ليس شيطانا اقبح خلق الله واشوههم صورة بل هو من أجل الخلق
 واقوامهم واعظمهم امانة ومكانة عند الله وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له
 كما تقدم نظيره في سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت
 اوصاف الرسول البشرى والملكى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع الناس وأهلهم
 وأجلهم وأجلهم والشياطين وتلامذتهم بضد من ذلك فهم اقبح الخلق صورة ومعنى
 وأجهل الخلق واضعفهم همما ونفوسا ثم ذكر استواء هذا المعلم بالا فنى الاعلى ودنوه
 وتدليه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايحاء الله ما أوحى فنصور سبحانه لاهل
 الايمان صورة الخالم من نزول جبريل من عنده الى ان استوى بالا فنى ثم دنى وتدلى وقرب

من رسوله فأوحى إليهما أمره الله بما يحسنه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحل وبما ينوبها
 ما بطامن السماء الى ان صار بالافق الاعلى مستويا عليه ثم نزل وقرب من محمد صلى الله عليه
 وسلم وخطبه بما أمره الله به قائلا ربك يقول لك كذا وكذا واخبر سبحانه عن مسافة
 هذا القرب بأتم قدر قوسين أو أدنى من ذلك وليس هذا على وجه الشك بل تحقيقى لتقدر
 المسافة وأنها لا تزيد على قوسين أبنة كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون لتحقيقى
 لهذا العدد وأنهم لا يتقصون عن مائة الف رجل واحدا ونظيره قوله ثم قست قلوبكم
 من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة أى لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم
 تزيد على قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن والطف وادق من قول من جعل
 أو فى هذه المواضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الراى وقول
 من جعلها بمعنى الواو فتأملته انتهى

فصل ثم اخبر تعالى عن تصديق فؤاده لما رآه عيناه وأن القلب صدق العين وليس
 كمن رأى شيئا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه بصره صدقه الفؤاد وهلم
 أنه كذلك وفيها قراءتان أحدهما بخفيف كذب والثانية بتشديدها يقال كذبت عينه وكذبه
 قلبه وكذبه جسده اذا اختلف ما ظنه وحده قال الشاعر

كذبتك هيك أم رأيت بواسط * غلس الظلام من الرباب خبيلا

أى أرتك ما لا حقيقة له فنفى هذا عن رسوله واخبره أن فؤاده لم يكذب ما رآه وما اما ان تكون
 مصدرية فيكون المعنى ما كذب فؤاده رؤيته واما ان تكون موصولة فيكون المعنى
 ما كذب الفؤاد الذى رآه بعينه وعلى التقديرين فهو اخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية
 البصر وتوافقهما وتصديق كل منهما لصاحبه وهذا ظاهر جدا فى قراءة التشديد وقد
 استشكلها طائفة منهم المبرد وقال فى هذه القراءة بعد قال لانه اذا رأى قلبه فقد علمه أيضا
 بقلبه واذا وقع العلم فلا كذب معه فانه اذا كان الشئ فى القلب معلوما فكيف يكون معه
 تكذيب قلت وجواب هذا من وجهين أحدهما أن الرجل قد يخفى الشئ على خلاف
 ما هو به فيكذب قلبه اذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هو عليه كأنك كذبه عينه فيقال
 كذبه قلبه وكذبه ظنه وكذبه عينه فنفى سبحانه ذلك عن رسوله واخبر انما رآه الفؤاد فهو
 كما رآه كمن رأى الشئ على حقيقة ما هو به فانه يصح أن يقال لم تكذب عينه الثانى ان يكون
 الضمير فى رأى طائفا الى الراى لا الى الفؤاد ويكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر وهذا
 بحمد الله لا اشكال فيه والمعنى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر بل صدقه وعلى القراءة ثين فالمعنى
 ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يرو لانهم بصره ثم انكر سبحانه عليه مكابرتهم وجسدهم
 له على ما رآه كما ينكر على الجاهل مكابرة للعالم ومماراته له على ما علمه وفيها قراءتان افتقارونه
 وافتقارونه وهذه المارة أصلها من الجحد والدفع يقول مريت الرجل حقه اذا جحدته كما قال

الشاعر
 لئن هجرت اخا صدق ومكرمة * لقد مريت اخا ما كان يربكا

ومنه المارة وهى المجادلة والمكابرة ولهذا هدى هذا الفعل بعلى وهى على بابها وليست
 بمعنى عن كما قاله المبرد بل الفعل متضمن معنى المكابرة وهذا فى قراءة قتال الف اظهر وورج

ابوعبيدة قراءة من قرأ افتخروا قال وذلك أن المشركين انما شأنهم الجحود لما كان يأبئهم
من الوحي وهذا كان أكثر من المصاراة منهم يعني أن من قرأ افتخارونه فمعناه افتخادولونه
ومن قرأ افتخروا معناه افتخجودونه وجحودهم لساخا به كان هو شأهم وكان أكثر من
مجاداتهم له وخالفه ابو علي وغيره واختراروا قراءة افتخارونه قال ابو علي من قرأ افتخارونه
فمعناه افتخادولونه جدالا ترومون به دفعه عما علمه وشاهده ويقوى هذا الوجه قوله تعالى
يجادلونك في الحق بعد ما تبين ومن قرأ افتخروا كان المعنى افتخجودونه قال والمجادلة كأنها
اشبه في هذا لان الجحود كان منهم في هذا وغيره وقد جادله المشركون في الاسراء قلت القوم
جمعوا بين الجدل والدفع والانكار فكان جدالهم جدال جحود ودفع لاجدال امرشاد
وتبين للحق واثبت الالف بديل على المجادلة والايان بعل يبدل على المكابرة فكانت قراءة
الالف منتظمة للمعنيين جميعا هي أولى وبالله التوفيق

فصل في خبر سبحانه من رؤيته لجبريل مرة أخرى عند سيرة المنتهى فالرة الاولى
كانت دون السماء بالافق الاعلى والثانية كانت فوق السماء عند سيرة المنتهى وقد صح
عنه صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه الصلاة والسلام رآه على صورته التي خلق
عليها مرتين كافي الصحبين عن زر بن حبيش أنه سئل عن قوله تعالى وكان قاب قوسين
أو أدنى قال اخبرني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح
وفي الصحبين أيضا عن عبد الله بن مسعود ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل في
صورته التي له ستمائة جناح وقال البخاري عنه رأى رفرقا اخضر يسد الافق وفي صحيح مسلم
عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام وفي صحبه أيضا عن مسروق
قال كنت متكئا عند عائشة فقالت ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله
الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا
فجلبت فقالت يا أم المؤمنين انظر بنى ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين
ولقد رآه نزلة أخرى فقالت انا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتنه منبطامن
السماء ساد اعظم خلقه ما بين السماء والارض فقالت ألم تسمع ان الله عز وجل يقول لا تدركه
الابصار وهو يدك الابصار وهو الطيف الخير ألم تسمع ان الله عز وجل يقول وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا في وحي باذنه ما يشاء انه على
حكيم قالت ومن زعم ان محمدا كتم شيئا من كتاب الله فقد اعظم على الله الفرية والله
عز وجل يقول يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت
ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله عز وجل يقول قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولو كان محمدا كاتما شيئا مما أنزل عليه لكنم
هذه الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وفي الصحبين عن مسروق
ايضا قال سألت عائشة رضي الله عنها هل رأى محمدا في رؤيا قالت سبحان الله لقد دفع شعري

مسافات وفيهما ايضا قال قلت لعائشه ما بن قوله عز وجل ثم دنى فتدلى وكان قاب قوسين
 او ادنى قالت انما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال وانه اناه في هذه المرة في صورته
 التي هي صورته فسدا لاقى وفي صحيح مسلم ان ابا ذر سأل صلى الله عليه وسلم هل رأيت
 ربك فقال نورانا اراه وفي صحيح مسلم ايضا من حديث أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط
 ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل سبحانه النور لو كشفه لاحرق
 سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهذا الحديث ساقه مسلم بعد حديث أبي ذر المقدم
 عليه وهو كالنفس يره ولا ينام في هذا قوله في حديث الصحيح حديث الرؤية يوم القيامة
 فيكشف الجباب فينظرون اليه فان النور الذي هو حجاب الرب تعالى يراد به الجباب الا دنى
 اليه وهو لو كشف لم يقم له شيء كما قال ابن عباس في قوله عز وجل لا تدركه الابصار قال ذلك نوره
 الذي هو نوره اذا تجلى به لم يقم له شيء وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضى ان قوله لا تدركه
 الابصار على عمومها واطلاقه في الدنيا والاخرة ولا يلزم من ذلك ان لا يرى بل يرى في الاخرة
 بالابصار من غير ادراك واذا كانت ابصارنا لا تقوم لادراك الشمس على ما هي عليه وان رأينا
 مع القرب الذي بين الخلق والخلق فالتفاوت الذي بين ابصار الخلائق وذات الرب جل
 جلاله اعظم واعظم ولهذا حصل للجبل أدنى شيء من نجمل الرب تعالى في الجبل وانما ذلك
 لسبب ذلك القدر من التجلي وفي الحديث الصحيح المرفوع جنتان من ذهب آيتهما وحليتهما
 وما بهما وجنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما بهما ما بين القوم وبين ان ينظروا الى
 ربهم الازياء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فهذا يدل ان رداء الكبرياء على وجهه تبارك
 وتعالى هو المانع من رؤية الذات ولا يمنع من اصل الرؤية فان الكبرياء والعظمة امر لازم لذاته
 تعالى فاذا تجلى سبحانه له باده يوم القيامة وكشف الجباب بينهم وبينه فهو الجباب المخلوق
 واما انوار الذات الذي يحجب عن ادراكها فاذك صفة لذات لا تقارن ذات الرب جل جلاله
 ولو كشف ذلك الجباب لاحرق سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه وتكفي هذه الاشارة
 في هذا المقام للمصدق الموقن واما المعطل الجهمي فكل هذا عند باطل ومحال والمقصود
 ان الخبر عنه بالرؤية في صورة الجسم هو جبريل واما قول ابن عباس رأى محمد ربه بغوازه
 مرتين فالظاهر ان مستنده هذه الآيتان قديمتين ان المرئي فيها جبريل فلا دلالة فيها على ما قاله ابن
 عباس وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي الاجماع على ما قلناه مائة فاقول في نقضه على
 الربيسى في الكلام على حديث ثوبان ومعاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي
 البارحة في احسن صورة فحسبى تأويل الربيسى الباطل ثم قال وبذلك ان تأويل هذا الحديث
 على غير ما ذهب اليه امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أبي ذر انه لم يره
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تروا ربكم حتى ترون اوقات مائتة رضى الله
 عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وأجمع المسلمون على ذلك
 مع قول الله لا تدركه الابصار يعنون ابصار اهل الدنيا وانما هذه الرؤية كانت
 في المنام يمكن رؤيته الله على كل حال كذلك وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله

عليه وسلم انما قال صليت ماشاء الله من الليل ثم وضعت جنبي فأنتاني ربي في أحسن صورة
 فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم وقد ظن القاضي أبو يعلى ان الرواية اختلفت
 عن الامام احمد هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء ام لا على ثلاث
 روايات احداها انه رأى قال المروزي قلت لابي عبد الله يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا
 رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى شيء يدفع قول عائشة فقال يقول النبي صلى الله عليه
 وسلم رأيت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها قال وذكر المروزي في موضع
 آخر انه قال لابي عبد الله ههنا رجل يقول ان الله يرى في الآخرة ولا أقول ان محمدا رأى ربه في الدنيا
 غضب وقال هذا هل ان يخفى بسلم الخبر كما جاء قال فظاهر هذا انه أثبت رؤية عين ونقل حبل
 قال قلت لابي عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه رؤيا حمل بقلبه قال فظاهر
 هذا نفي الرؤية وكذلك نقل الأثرم وقد سأله عن حديث عبد الرحمن بن أبس عن
 النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال معمر مضطرب
 لان معمرأ رواه عن ابيوب عن معمر عن عبد الرحمن بن أبس عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ورواه جواد عن قتادة عن معمر عن ابن عباس ورواه يوسف
 ابن عطية عن قتادة عن انس ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن خالد بن
 الجراح عن عبد الرحمن بن أبس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 ورواه يحيى بن أبي كثير فقال عن ابن أبس عن معاذ عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وأصل الحديث واحد قال الأثرم فقلت لابي عبد الله فإلى أي شيء ذهب
 فقال قال الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العافية عن ابن عباس قال رأى
 محمد ربه بقلبه ونقل الأثرم ان رجلا قال لاجد عن الحسين الأشيب انه قال لم ير النبي
 صلى الله عليه وسلم ربه تعالى فأنكره عليه انسان وقال لم تقول رآه ولا تقول بعينه
 ولا بقلبه كما جاء الحديث فاستحسن ذلك الأشيب فقال ابو عبد الله حسن قال وظاهر هذا
 اثبات رؤية لا يعقل معناها هل كانت بعينه ام بقلبه فهذه نصوص احمد وقد جعلها القاضي
 مختلفة وجعل المسئلة على ثلاث روايات ثم احتج للرواية الاولى بحديث ام الطفيل وحديث
 عبد الرحمن بن أبس الحضرمي ولادلالة فيها لانه رؤية تمام فقط واحتج لها بما لا يرضى احدان
 يحتج به وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعا لما كانت ليلة أسرى بي رأيت ربي في
 أحسن صورة فقال فيهم ينصم للملاء الأهل وذكر الحديث وهذا خلط قطعانان القصة فكانت
 بالمدينة كما قال معاذ بن جبل احتبس ههنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح حتى كدنا
 نراه من الشمس ثم خرج فصلط بنا ثم قال رأيت ربي البارحة في أحسن صورة فقال يا محمد فيم
 ينصم الملاء الأهل وذكر الحديث فهذا كان بالمدينة والاسراء كان بمكة وليس عن الامام
 احمد ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم نص انه رآه بعينه بقظة وانما جعل القاضي كلام
 احمد لا يحتمله واحتج لمافهم منه بما لا يدل عليه وكلام احمد يصدق بعضها والمسئلة رواية
 واحدة عندهم نقل بعينه وانما قال رآه واتبع في ذلك قول ابن عباس رأى محمد ربه ولفظ
 الحديث رأيت ربي وهو مطلق قد جاء بانه في الحديث الآخر ولكن في رد المحتار قول عائشة

ومعارضته بقول النبي صلى الله عليه وسلم اشعار بأنه أثبت الرؤية التي انكرتها طائفة وهى لم تنكر رؤية المنام ولم تقل من زعم ان محمدا رأى ربه في المنام مقدأعظم على الله الفرية وهذا يدل على احد أمرين اما ان يكون الامام احد انكر قول من اطلق نفس الرؤية اذ هو مخالفته للحديث واما ان يكون رواية عنه باثبات الرؤية وقد صرح بأنه رأى رؤيا حله بقلبه وهذا تقييده للرؤية واطلق انه رأى وانكر قول من نفسى مطلق الرؤية واستحسن قول من قال رأى ولا يقول بعينه ولا بقلبه وهذه النصوص عنه متفقة لاختلفة وكيف يقول احد رأى بمعنى رأسه بقلبه ولم يحى ذلك في حديث قط فأجدنا اتبع الفاظ الحديث كما جاءت وانكاره قول من قال لم يره أصلا لا يدل على اثبات رؤية اليقظة بعينه والله اعلم

فصل في وقوله تعالى مازاغ البصر وماطفي قال ابن عباس مازاغ البصر بيننا ولاشمالا ولاجوزا ما ربه وعلى هذا المفسرون فتنى عن نبيه ما يعرض للرأى الذى لا ادب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ومجاوزه بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانباً ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذى اوجب ادبه اطرافه واقباله على ما أرى دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وزبغ البصر التفاته جانباً وطفياته مده امامه الى حيث ينتهى فنزه في هذه الصورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن النقي ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيف والطغيان وهكذا يكون المدح

تلك المكارم لاقصان من ليهن شيئا بما فعدا وبعدها بال

فصل في ولما ذكر رؤيته لجبريل عند مدرة المنتهى استطرد منها واذكر ان جنة المأوى عندها وانه يشاها من امره وخلقها ما يغشى وهذا من احسن الاستطراد وهو المألوف لطيف جد في القرآن وهو نوحان احدهما ان يستطرد من الشيء الى لازمه مثل هذا ومثل قوله وانشئناهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم استطرد من جوابهم الى قوله الذى جعل لكم الارض مهدا وملك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر ما أنشربا به بلدة ميتا كذلك نخرجون والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره وهذا ليس من جوابهم وان كان تقريره واقامة الحجية عليهم ومثله قوله تعالى فن ربك بما ياموسى قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى فهذا جواب موسى ثم استطرد سبحانه منه الى قوله الذى جعل لكم الارض مهدا وملك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجاً من نبات شتى كلوا وورعوا أنعامكم ان في ذلك لايات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم عاد الى الكلام الذى استطرد منه والنوع الثانى أن يستطرد من الشخص الى النوع كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى آخره فالاول آدم والثانى بنوه ومثله قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

ليسكن اليها فلما نشأها جلت حلا خفيفا فارت به فلما أثقلت دعوا الله ربه التي آتيتنا صالحا لكون
 من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعله شر كاه فيما آتاها الى آخر الآيات فاستطرد من
 ذكر الابوين الى ذكر المشركين من اولادهما والله اعلم

فصل في ذلك قوله تعالى والطور و كتاب مسطور في ررق منشور والبيت المعمور
 والسقف المرفوع والبصر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع تضمن هذا القسم
 خمسة اشياء وهى مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته و وحدانيته فالطور هو
 الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى بن عمران عند جهور المفسرين من السلف
 والخلف وعرفه ههنا بالام وعرفه في موضع آخر بالاضافة فقال وطور سينين وهذا
 الجبل مظهر ركة الدنيا والآخرة وهو الجبل الذي اختاره الله لتكليم موسى عليه
 قال عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لايه حدثني محمد بن عبيد بن حبان قال حدثنا
 جعفر بن سليمان قال حدثنا ابو عمران الجوني عن نوف البكالي قال اوحى الله عزوجل الى الجبل
 اني نازل على جبل منكم قال فشمخت الجبال كلها الا جبل الطور فانه تواضع وقال ارضى
 بما قسم الله لي فكان الامر عليه وجبل هذا شأنه حقيقى ان يقسم الله به وانه اسيد الجبال الثاني
 الكتاب المسطور في الرق المنشور واختلف في هذا الكتاب فقبل هو الواح المحفوظ وهذا غلط
 فانه ليس برق وقبل هو الكتاب الذى تضمن اعمال بنى آدم وقال مقاتل نخرج اليهم
 اعمالهم يوم القيامة في ررق منشور وهذا وان كان اقوى واصح من القول الاول
 واختاره جماعة من المفسرين ومنهم من لم يذك غير ما لظاهر أن المراد به الكتاب
 المنزل من عند الله واقسم الله به لعظمته وجلالته وما تضمنه من آيات ربوبيته
 وادلة توحيده وهداية خلقه ثم قبل هو التوراة التى انزلها الله على موسى وكان صاحب
 هذا القول رأى اقتراح الكتاب بالطور فقال هو التوراة ولكن التوراة انما انزلت فى الواح
 لافى رق الا ان يقال هى فى ررق فى السماء وانزلت فى الواح وقبل هى القرآن ولعل هذا
 ارجح الاقوال لانه سبحانه وصف القرآن بأنه فى صحف مطهرة بأيدى سفرة كرام برة
 فالصحف هى الرق وكونه بأيدى سفرة هو كونه منشورا وعلى هذا فيكون قد اقسام بسيد
 الجبال وسيد الكتب ويكون ذلك متضمنا للنبوتين العظيمين نبوة موسى ونبوة محمد وكثيرا
 ما يقرن بينهما وبين محامدهما كما فى سورة التين والزيتون ثم اقسام بسيد البيوت وهو البيت
 المعمور وفى وصفه الكتاب بأنه مسطور تحقيقى لكونه مكتوبا مفروضا منه وفى وصفه
 بأنه منشور ايذانا بالاعتناء به وانه بأيدى الملائكة منشور غير معجور واما البيت المعمور
 فالشهور انه الصراح الذى فى السماء الذى رفع لانبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء يدخله
 كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم وهو بحسب البيت المعمور فى
 الارض وقبل هو البيت الحرام ولا ريب ان كلامهما معمورا فهذا معمور بالملائكة وعبادتهم
 وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركع السجود وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت
 ثم اقسام سبحانه بخلق قين عظيمين من بعض مخلوقاته وهما مظهر آياته وعجائب صنعته
 وهما السقف المرفوع وهو السماء فانها من اعظم آياته قدر اوارتفاطا وسعوتها ولو نواشراقا

وهي محل ملائكته وهي سقف العالم وبها انتظامه ومحل النيران الذين بهما قوام الليل والنهار والسنين والشهور والايام والصبف والشتاء والربيع والخريف ومنهاتنزل البركات واليهما تصعد الارواح وأعمالها وكلما نها الطبيعة والثاني البحر المسجور وهو آية عظيمة من آياته وحجابه لا يصبها الا الله واختلاف في هذا البحر هل هو الذي فوق السموات أو البحر الذي نشاهده على قولين فقالت طائفة هو البحر الذي عليه العرش وبين اعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام كما في الحديث الذي رواه ابو داود من حديث سمك عن عبد الله بن محبيرة عن الاحنف بن قيس قال كنت بالطحساء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرث بهم صحابة فنظر اليها فقال ما سمعون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا او المزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عدد سبع سموات ثم فوق السابعة بحر اربعين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية اجمال بين اطلاقهم وركبهم مثل ما بين السماء الى السماء ثم على ظهورهم العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم الله فوق ذلك وهذا لا ينساق في جامع الترمذي ان بين كل سمانين مسيرة خمسمائة عام اذا لمسقات تختلف مقاديرها باختلاف المقدر به فالخمسمائة مقطرة بسير الابل والسبعون بسير البريد وهو يقطع بقدر ما تقطعه الابل سبعة اضعاف وهذا القول في البحر الذي تحت العرش يحكى عن علي بن ابي طالب والثاني انه بحر الارض واختلاف في المسجور فقبل المملوء هذا قول جميع اهل اللغة قال الفراء المسجور في كلام العرب المملوء يقال سحرت الاله اذا ملامته قال ليلى

فوسطا عرض السرى وصدما * مسجورة متجاوز اقلامها

وقال المبرد المسجور المملوء عند العرب وانشد للخرن توبل * اذا شاء طالع مسجورة * يريد حين المملوء ماء وكذا قال ابن عباس المسجور الممتلى وقال مجاهد المسجور الموقد قال الهيثم البحر ايقادك في التنور نسجوه مسجور اسم الحطب وهذا قول الضحاك وكعب وغيرهما قال البحر يسجور فيراد في جهنم وحكى هذا القول عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال مسجور قال الفراء وهذا يرجع الى القول الاول لانك تقول سحرت التنور اذا ملامته حطبا وروى ذوالمف الشاعر عن ابن عباس ان المسجور اليابس الذي قد نضب مأوؤ وذهب وليس لذي الرمة رواية عن ابن عباس غير هذا الحرف وهذا القول اختيار ابي العالبة قال ابو زيد المسجور المملوء والمسجور الذي ليس فيه شيء جملة من الاضداد وقد روى عن ابن عباس ان المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهو القلادة من هود أو حديد تمسكه والمعنى على هذا انه محبوس بقدره الله ان يفيض على الارض فيغرقها فان ذلك مقتضى الطبيعة ان يكون الماء غامرا للارض فوقها كما ان الهواء فوق الماء ولكن امسكه الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وفي هذا حديث ذكره اجدمر فوما ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يغرق بني آدم وهذا الموضوع مساهم اصول الملاحدة والدهرية فانه ليس في الطبيعة ما يقتضى حبس الماء عن بعض جوانب الارض مع كون كرة الماء طالية على كرة الارض بالذات ولو فرض ان

في الطبيعة ما يقتضى بروز جوانبها لم يكن فيها ما يقتضى تخصيص هذا الجانب بالبروز دون غيره وما ذكره الطبائعيون والمتفلسفة أن العناية الالهية اقتضت ذلك لمصلحة العالم فتم هو كما ذكروا ولكن عناية من يفعل بقدرته ومشيتته وهو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير وهو أحكم الحاكمين غير معقولة فإن العناية الالهية تقتضى حياته وقدرته ومشيتته وعلمه وحكمته ورجته واحسانه الى خلقه وقيام الاعمال به فآيات العناية الالهية مع نفي هذه الامور ممنوع وبالله التوفيق وأقوى الاقوال في المسجور أنه الموقد وهذا هو المعروف في اللغة من المسجور ويدل عليه قوله تعالى وإذا البحار سجرت قال على وابن عباس أوقدت فصارت نارا ومن قال يبست وذهب ماؤها فلا ينافى كونها نارا موقدة وكذا من قال ملئت فانها تلاءم نارا وإذا اشتهرت اسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رايت اللفظة تدل على ذلك كله فان البحر محبوبس بقدرته الله وملؤه ماء وبذهب ماؤه يوم القيامة وبصير نارا فكل من المفسرين اخذ معنى من هذه المعاني والله اعلم

فصل في واقسم سبحانه بهذه الامور على المساد والجزاء فقال ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع وما كان الذي يقع قديما يمكن دفعه اخبر سبحانه انه لا دافع له وهذا يتناول امرين احدهما انه لا دافع لوقوعه والثاني انه لا دافع له اذا وقع ثم ذكر سبحانه وقت وقوعه فقال يوم تقوم السماء ومورا وتسير الجبال سير المور وقد فسرها بالحرارة وفسر بالدوران وفسر بالتوج والاضطراب والتعقيب انه حركة في توج وجهه وتكفيق وذهاب وبجئ واهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال فقال وتسير الجبال سير المور وقال واذا الجبال سيرت من مكان الى مكان واما السماء فانها تتكفى وتقوم وتذهب وتبجئ قال الجوهرى مار الشئ يوم مورا ترها اى تحرك وجاء وذهب كما تكفى النحلة العيدانة اى الطويلة ومنه قوله يوم تقوم السماء مورا قال الضحك قوم مورا وقال ابو عبيدة والاخفش تكفى وانشد للاعشى كان مشيتها من بيت جاريتها * مور الصحابة لاريب ولاصيل

ثم ذكر وعيد المكذبين بالمعاد والنبوة وذكر اعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها وهى الخوض الذي هو كلام باطل والعب الذي هو سعى ضائع فلا عمل نافع ولا عمل صالح بل علومهم خوض بالباطل واعمالهم لعب ولما كانت هذه العلوم والاعمال مستلزمة لدفع الحق بعنف وقهر ادخلوا جهنم وهم يدهون اليها دما اى يدفع في اقفينهم واكتافهم دفعا بمددفع فاذا قفوا عليها وما ينوها وقفوا وقيل لهم هذه النار التي كنتم بهاتكذبون وتقولون لا حقيقة لها ولا من اخبر بها صادق ثم يقول ال افسر هذا الا ان كنتم تقوان للحق اى جاء تصحكم به الرسل انه سحر وانهم سحرة فهذا الا ان سحر لا حقيقة له كما قلتم ام على ابصاركم غشاوة فلا تبصرونها كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصروا الحق اضميت ابصاركم اليوم عن رؤية هذا الحق كما عجت في الدنيا فلا تبصروا الحق ثم سلب عنهم نعم البصر الذي كانوا في الدنيا اذا دهمتهم الشدايد واحاطت بهم لجثوا اليه ونهقوا بانقضاء البلية لانقضاء امد هان قيل لهم يومئذ اصبروا ولا تنصبروا كلاهما واه عليكم لا يجدى عنكم الصبر ولا الجزع فلا الصبر يخفف عنكم حل هذا العذاب ولا الجزع يعطف عليكم

قلوب الخزنة ولا يستنزل لكم الرحمة ثم اعملوا بأن الرب تعالى لم يظلمهم بذلك وانما هو نفس
 أعمالهم صارت عذابا فلم يجدوا من اقترانهم به بدائل صارت عذابا لازما لهم كما كانت ارادتهم
 وعقائدهم الباطلة وأعمالهم القبيحة لازمة لهم وثوروم العذاب لاهله في النار بحسب لزوم
 تلك الارادات الفاسدة والعقائد الباطلة وما يترتب عليها من الاعمال لهم في الدنيا فاذا زال
 ذلك الزور في وقت ما بصدده وبالتوبة النصوح زوالا كلياً لم يعذبوا عليه في الآخرة لان أثره
 قد زال من قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم ولم يبق له أثر يترتب عليه فالتائب من الذنب
 كمن لا ذنب له والمادة الفاسدة اذا زالت مع البدن بالكلية لم يبق هناك ألم يشأ عنها وان لم تزل
 تلك الارادة والاعمال ولكن طرؤها معارض أقوى منها كان التأثير للمعارض وغلب الأقوى
 الاضعف وان تساوى الامران نفاضا وقاوم كل منهما الآخر وكان محل صاحبه جبال الاعراف
 بين الجنة والنار فهذا حكم الله وحكمته في خلقه وأمره وفيه وعقابه ولا يظلم ربك أحدا

فصل في ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة والاعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة
 وهم المتقون فذكر مساكنهم وهم في الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم وذكر نعيم قلوبهم
 وراحتهم بكونهم فاكهين بما آتاهم ربهم والفاكهة المحبب بالشيء الممرور المتشطبه وفعله فكهة
 بالكسر يفكه فهو فكه وفاكهة اذا كان طيب النفس والفاكهة البال ومنه الفاكهة وهي المرح
 الذي ينشأ عن طيب النفس وتفكهت بالشيء اذا فكت به ومنه الفاكهة التي يتنعم بها ومنه قوله
 فظلمت تفكهون قيل معناه تدمون وهذا تفسير يلزم المعنى وانما الحقيقة تربطون عنكم التفكهة
 واذا زال التفكهة خلفه ضده يقال فكتت اذا زال الخنث عنه ونهرج ونحوب وتأم ومنه تفكهة
 وهذا البناء يقال لداخل في الشيء كتمل بحلم وللخارج منه كنهج وتأم والمقصود انه سبحانه جمع
 لهم بين التعمين نعيم القلب بالتفكهة ونعيم البدن بالاكل والشرب والنكاح ووقاهم هذاب الجحيم
 فوقاهم ما يكرهون وأعطاهم ما يحبون جزاء وفا لانهم تركوا ما يكرهوا وأنوا بما يحب فكان جزاؤهم
 مطابقا لأعمالهم ثم أخبر عن دوام ذلك لهم بما أفهمه قوله هينئا لو علموا زواله وانقطاعه
 لنقص عليهم ذلك نعيمهم ولم يكن هناك ثم ذكر بحالهم وهياتهم فيها فقال متكئين
 على سرر مصفوفة وفي ذكر اصطفاها تبييه على كمال النعمة عليهم بقرب بعضهم من
 بعض ومقابلة بعضهم بعضا كما قال تعالى متكئين عليها متقابلين فان من تمام اللذة والنعيم
 أن يكون مع الانسان في بيئته ومنزله من يحب معاشرته ويؤثر فيه ولا يكفون بعيدا
 منه قد حيل بينه وبينه بل سريره الى جانب سريره من يحبه وذكر أن زوجهم وانهم
 الحور العين وقد تكرر وصفهم في القرآن بهاتين الصفتين قال ابو عبدة جعلناهم ازواجا
 كما تزوج البعل بالبعل جعلناهم اثنين اثنين وقل بونس قرناهم بين وليس من عقل التزويج
 واخرج على هذا بأن العرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال تعالى فلما قضى
 زيد منها وطرا زوجناكمها وفي الحديث زوجتكمها بما مطك من القرآن وقال غيره العرب تقول
 تزوجت بامرأة وقال الازهرى العرب تقول زوجت امرأة تزوجت امرأة وليس في كلامهم
 تزوجت بامرأة ومنه قوله تعالى وزوجناهم بحور عين اي قرناهم وعلى هذا فزوجناهم
 عندهم من الاقتران والشفع اي شفعناهم وقرناهم بين وقالت طائفة منهم مجاهد زوجناهم

بهن اى انكسناهم اياهن قلت وعلى هذا فتلويح نعل التزويح قد دل على النكاح وتمديته
 بالباء المتضمنة معنى الاقتران والضم فالقولان واحد والله اعلم وأما الحور العين فقال مجاهد
 التي يحار فيها الطرف باديا غسوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد احداهن
 كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون وقالة فتادة بحور اى يرض وكذا قال ابن عباس وقال مقاتل
 الحور البيض الوجوه العين الحسان الاعمى وعين حوراء شديدة السواد نقية البياض طويلة
 الاهداب مع سوادها كالملة الحسن ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون
 الجسد فوصفهن بالبياض والحسن والملاحة كما قال خيرات حسان قال بياض في اوانهن
 والحسن في وجوههن والملاحة في عيونهن وقد وصف الله سبحانه نساء أهل الجنة بأحسن
 الصفات ودل بما وصف بما سكت عنه فان شئت التفصيل فالذى يحمد ويستحب من وجه المرأة
 وبدنها واخلاقها البياض في أربعة اشياء اللون وبياض العين والفرق والثغر والسواد في
 أربعة سواد العين وسواد شعر الرأس والجفن وسواد الحاجبين والحمرة في اربعة الاسنان
 والشفتين والوجنتين وحررة تشوب البياض فهسنة وتزينه ومن التدوير أربعة اشياء
 الوجه والرأس والكعب والمقعد ومن الطول أربعة القامة والعنق والشعر والحاجب
 والسعة في اربعة الجبهة والعين والوجه والصدر ومن الصغر في اربعة الثدي والقم
 والكف والقدم ومن الطيب في اربعة الفم والانف والفرق والفرج ومن الضيق في موضع
 واحد ومن الاخلاق كما قال تعالى عربا اترابا اذ العرب جمع عرب وهى المرأة المنجبة الى
 زوجها بأخلاقها ولطافتها وشمائلها قال ابن الاعرابى العرب من النساء المطيعة لزوجها
 المنجبة اليه وقال ابو عبيدة هى الحسنة التبع لال المبرهه العاشقة لزوجها وقال البخارى فى صحبه
 هى النجبة ويقال الشكلة فهذا وصف اخلاقهن وذلك وصف خلقهن وأنت اذا تأملت

الصفات التى وصفهن الله بها رأيتهم مستلزمة لهذه الصفات ولما وراءها والله المستعان
 فصل ثم اخبر سبحانه عن تكميل نعميهم بالحق ذرياتهم بهم فى الدرجة وان لم يعملوا
 أعمالهم لتقر أعينهم بهم ويتم سرورهم وفرحهم وأخبر سبحانه انهم ينقص الآباء من عملهم من
 شئ بهذا الاخلاق فينزلهم من الدرجة العليا الى الدرجة السفلى بل الحقى الابناء بالآباء
 وفرح على الآباء أجورهم ودرجاتهم ثم اخبر سبحانه ان هذا انما هو فضل فى أهل الفضل واما
 أهل العدل فلا يفعل بهم ذلك بل كل امرء بما كسب رهين فى هذا دفع لتوهم التسوية بين الفريقين
 بهذا الاخلاق كما فى قوله وما ألتناهم من عملهم من شئ دفع لتوهم حظ الآباء الى درجة الابناء
 وقسمه اجور الآباء بينهم وبين الابناء فينقص أجر أعمالهم فرفع هذا التوهم بقوله وما ألتناهم من
 عملهم من شئ أى ما نقصناهم ثم ذكر امدادهم بالحلم والفاكهة والشراب وانهم يتعاطون
 كؤوس الشراب بينهم بشرب أحدهم ويناوون صاحبه ليم بذلك فرحهم وسرورهم ثم
 نزه ذلك الشراب عن الآفات من الغو من أهله عليه وخلق الاثم لهم فقال لانوقبها
 ولانأثم فنى بالغو السباب والتخاصم والهجر والنفس فى المقال والعريضة ونفى بالتأثم
 جميع الصفات المذمومة التى أتمت شارب الحجر وقال سبحانه ولانأثم ولم يقل ولانأثم أى
 ليس فيها ما يحملهم على الاثم ولا يؤثم بعضهم بعضا بشرها ولا يؤثمهم الله بذلك ولا الملائكة

فلا يلقون ولا يأتون قال ابن قتيبة لا يذهب بقولهم فيلقوا ولم يقع منهم ما يؤثمهم فهو وصف
خدمهم الطائفة عليهم بأنهم كالأؤلؤ في بياضهم والمكنون المصون الذي لا تدنسه الأيدي
فلم تذهب الخدمة تلك الحسن وذلك اللون والصفاء والبهجة بل مع اتصافهم بخدمتهم
كأنهم لؤلؤ مكنون ووصفهم في موضع آخر اذ رأيتهم حسبتهم أولؤا منتورا في ذكورة
المنثور إشارة الى تفرقهم في حوائج ساداتهم وخدمتهم وذهابهم وبجبتهم وسعة المكان بحيث
لا يحتاجون أن ينضم بعضهم الى بعض فيه لضيقه ثم ذكر سبحانه ما يتحدثون به هناك وانهم
يقولون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين أى كنا خائفين في محل الامن بين الأهل والأقارب
والعشائر فأوصلنا ذلك الخوف والاشفاق الى ان من الله علينا فأمننا بما نخاف ووقانا عذاب
السموم وهذا ضد حال الشقي الذي كان في أهله مسرورا فهذا كان مسرورا مع اساءته
وهؤلاء كانوا مشفقين مع احسانهم فبدل الله سبحانه اشفاقهم بأعظم الامن وبدل أمن اولئك
بأعظم المخاوف فبالله سبحانه المستعان ثم أخبر عن حالهم في الدنيا وانهم كانوا يعبدون الله فيها
فأوصلتهم عبادته وحده الى قربه وجواره ومحل كرامته والذى ججع لهم ذلك كله بره
ورحمته فانه هو البر الرحيم فهذا هو المقسم عليه بتلك الاقسام الخمسة في أول السورة والله أعلم
فصل في ذلك قوله والذاريات ذروا فالحمالات وقرا فالجاريات يسرا فالقسمات
أمر اقسام بالذاريات وهى الرياح تذرو المطر وتذرو التراب وتذرو النبات اذا تمشم كما قال
نعالى فأصبح هشيا تذروه الرياح أى تفرقه وتشره ثم بما فوقها وهى السحاب الحاملات وقرا
أى نقلها من الماء وهى روابيا الأرض بسوقها الله سبحانه على متون السحاب الرياح كما فى
جامع الترمذى من حديث الحسن بن أبى هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم
جالس في أصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذه روابيا الأرض بسوقها الله تبارك وتعالى الى قوم
لا يشكرونه ولا يدعونه ثم أسمى سبحانه بما فوق ذلك وهى الجاريات يسرا وهى النجوم التى
من فوق النمام ويسرا أى مسخرة منزهة متقادة وقال جماعة من المفسرين انما السفن تجرى
ميسرة فى الماء جريا سهلا ومنهم من لم يذكر غيره واختار شيخنا رحمه الله القول الاول وقال هو
أحسن فى الترتيب والانتقال من السافل الى العالى فانه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه
النجوم وفوقها الملائكة المقسمات أمر الله الذى أمرت به بين خلقه والصحيح ان المقسمات
أمر الانخص بأربعة وقيل هم جبريل يقسم الوحى والعذاب وانواع العقوبة على من
خالف الرسل وميكائيل على القطر والبرد والتلج والنبات يقسمها بأمر الله وملك الموت يقسم
المنايين الخلق بأمر الله واسرافيل يقسم الأرواح على ابدانها عند النفخ فى الصور وهم المدبرات
أمر الله وليس فى اللفظ ما يبدل على الاختصاص بهم والله أعلم واقسم سبحانه بهذه الامور الأربعة
لكان العبرة والآية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وهظم قدرته فى الرياح من
العبور بها وسكونها ولينها وشدتها واختلاف طبائرها وصفاتها ومهابها ونصرتها وتنوع
منافعها وشدتها الحاجة اليها فالله اعلم بربوبها وريح ينفث سحابه وريح يؤلف بينه وريح
تلقه وريح تسوقه حيث يريد الله وريح تذرو امامه وتفرقه ولنبات ریح والسفن ریح والرحمة

ريح ولعذاب ريح الى غير ذلك من انواع الرياح وذلك تقتضى بوجود خالقٍ مصرف لها
مدبر لها ويصرفها كيف يشاء ويجعلها رخاء نارة وحاصفة نارة ورجة نارة وعذابا نارة
قلعة يحيى بها الزرع والثمار ونارة يغطها بها نارة يحيى بها السفن ونارة يهلكها بها نارة
ترطب الابدان ونارة تذيبها ونارة هقيما ونارة لاقحة ونارة جنوبا ونارة دبوراً ونارة صبا
ونارة شمالا ونارة حارة ونارة باردة وهى مع غاية قوتها العطف شئى وأقبل الخلوقات لكل
كيفية سرية التأثير والتأثير لطيفة المسارق بين السماء والارض اذا قطع عن الحيوان الذى
على وجه الارض هلك كبحر الماء الذى اذا فارقه حيوان الماء هلك بحبسها الله سبحانه
اذا شاء ويرسلها اذا شاء تحمل الاصوات الى الاذن والرائحة الى الانف والهباب الى الارض
الجزروهى من روح الله تأنى بالرجة ومن عقوبته تأنى بالعذاب وهى أقوى خلق الله كما رواه
الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله
الارض جعلت قبة فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فحجبت الملائكة من شدة الجبال
وقالوا يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يارب هل من خلقك شئ
أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يارب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالوا يارب هل
من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم ابن آدم
تصدق بصدقة بينه يخفيها من شماله ورواه الامام أحمد فى مسنده وفى الترمذى فى حديث
قصة عاد انه لم يرسل عليهم من الريح الا قدر حلقة الخاتم فلم تذر من شئ أنت عليه الا جعلته
كارم ومقد وصفها الله بأنها غاية قال البخارى فى صحيحه حنت على الخزنة فلم يستطيعوا ان
يردوها والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الرب الدالة على عظيمته وربوبيته وقدرته
فصل فى قسم الهباب وهو من أعظم آيات الله فى الجوفى غاية الخلف ثم يحمل الماء
والبرد فيصير مثل شئ فى أمر الرياح فصله على متونها وتسير به حيث أمرت فهو مسخر
بين السماء والارض حامل لارزاق العباد والحيوان فاذا أفرغه حيث أمر به اضمحل وتلاشى
بقدره الله فانه لو بقى لأضر النسات والحيوان فانشأ سبحانه فى زمين يصلح انشاؤه فيه وجهه
من الماء ما يحمله وساقه الى بلد شديد الحاجة اليه فسل الهباب من انشأه بعد عدمه وجهه
الماء والتلج والبرد ومن جعله على ظهور الرياح ومن أمسكه بين السماء والارض بغير عسار
ومن أظف بقطره العباد واحيى به البلاد وصرفه بين خلقه كما أراد وأخرج ذلك القطر
بقدر معلوم وأترله منه وافتاه بعد الاستغناء عنه ولو شاء لادامه عليهم فلم يستطيعوا الى دفعه
سبيلا ولو شاء لأمسكه عنهم فلا يجدون اليه وصولا فان لم يحيىك جوارح بابك اعتبار الرسل
الرياح من انشأها بقدرته وصرفها بحكمته ومخترها بمشيئته ورساها بشرايين يدي رحمة جعلها
سببا لتام نعمته وساطعانا على من شاء بمقوتهم وجعلها رخاء وذارية لاقحة ومشيئة ومؤلفة
ومغذية لابنان الحيوان والشجر والنبات وجعلها قاصفا وناصفا ومهلكة وطانية الى غير
ذلك من صفاتها فهل ذلك لها من نفسها وذاتها ام كما يبرمد برشدهت الموجودات بربو بيته
واقرت الصنوعات وحدائته يده التمتع والضرر ولما خلق بالامر تبارك الله رب العالمين
وسل الجازيات سيراً من السفن من أمسكها على وجه الماء ومختر لها البحر ومن أرسل لها الرياح

التي تسوقها الى الماء سوق العهاب على متون الرياح ومن حفظها في بحر اها ومرساها
 من طغيان الماء وطفيان الريح فن الذي جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لاخرقها ولو نقص عنه
 لعاقها ومن الذي أجرى لها ريحا واحدة تسير بها ولم يسلط على تلك الريح ما يصادمها وبقاؤها
 فتتوج في البحر يمينا وشمالا تتلاعب بها الريح ومن الذي علم الخلق الضعيف صنعة هذا
 البيت العظيم الذي يمشي على الماء فيقطع المسافة البعيدة ويعود الى بلده يشق المساء ويمخره
 مقبلا ومدبرا بريح واحدة تجري في موج كالجبال ومن آياته الجوار في البحر كالهلام ان يشأ
 يسكن الريح فيظلمن روا كد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور أو يوقن
 بما كسبوا ويعفو عن كثير ومن الذي جد في هذا البيت نبيه وأولياءه خاصة وأخرق جميع
 أهل الارض سواهم وسل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر ومن الذي خلقها
 وأحسن خلقها ورفع مكانها وزين بها قبة العالم وطاقوت بين اشكالها ومقاديرها وأوانها
 وحركانها وأما كنهان السماء فتم الكبير ومنها الصغير والمتوسط والايض والاجر والزجاجي
 اللون والدرى اللون والمتوسط في قبة الفلك والمنطرف في جوانبها وبين ذلك ومنها ما يقطع
 الفلك في شهر ومنها ما يقطعه في عام ومنها ما يقطعه في ثلاثين عاما ومنها ما يقطعه في أضعاف
 ذلك ومنها ما لا يزال ظاهرا لا يغيب بحال فهو أبدي ومنها أبدي الخفاء ومنها ماله حالتان
 ظهور واختفاء ومنها ماله حركتان حركة عرضية من المشرق الى المغرب وحركة ذاتية
 من المغرب الى المشرق فحال ما يأخذ الكوكب في الغروب فاذا كوكب آخر في مقابلته وكوكب
 آخر قد طلع وهو أخذ في الارتفاع والتصاعد وكوكب آخر في الريع الشرقي وكوكب آخر
 في وسط السماء وكوكب آخر قد مال عن الوسط وآخر قد دنا من الغروب وكان رقيه ينتظر
 بطلوعه غيبته وأنت اذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كالتدل
 على المبدأ وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ووحدانته أعظم دلالة
 وكإدال على صفات جلالة وتعلوت كماله دل على صدق رسوله فكما جعل الله النجوم هداية
 في طريق البر والبحر فهي هداية في طرق العلم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته والمبدأ
 والمعاد والانبوة ودلائها على هذه المطالب لا تقصر عن دلائها على طرق البر والبحر بل دلائها
 للمقول على ذلك أظهر من دلائها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا

﴿ فصل ﴾ وأما دلالة القسمات أمرهم الملائكة فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي
 وما لا يشاهد انما هو على أيدي الملائكة فالرب تعالى يدبر بهم أمر العالم وقد وكل بكل عمل من الاعمال
 طائفة منهم فوكل بالشمس والقمر والنجوم والافلاك طائفة منهم ووكل بالقطر والسحاب طائفة
 ووكل بالنبات طائفة ووكل بالاجنة والحيوان طائفة ووكل بالموت طائفة وبمحافظة آدم طائفة
 وباحصاء اعمالهم وكتابتها طائفة وبالوحى طائفة وبالجمال طائفة وبكل شأن من شؤون العالم طائفة
 هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة ولطافة الجسم
 وحسن الخلق وكال الانقياد لامره والقيام في خدمته ونفيذ أو امره في اقطار العالم ثم اقم
 سبحانه بهذه الامور على صدق وعده ووقوع جزائه بالتواب والعقاب فقال انما هو مدون
 لصادق أي ما توعدون من امر الساعة والثواب والعقاب لخلق كاش وهو وعد صدق

لا كذب وان الدين لو وقع أي ان الجزاء لكائن لا محالة ويحوز ان تكون مامو صولة والعائد
محذوف والمعنى ان الذي نوءدونه لصادق أي كائن وثابت وان تكون مصدريه أي ان
وعدكم لحق وصدق ووصف الوعد بكونه صادقا ابلغ من وصفه بكونه صادقا ولا حاجة
الى تكلف جعله بمعنى مصدوقا فيه بل هو صادق نفسه كما يوصف المتكلم بأنه صادق
في كلامه فوصف كلامه بأنه صادق وهذا مثل قولهم سر كاتم وليل قائم ونهار صائم وماء
دافق ومنه عيشة راضية وليس ذلك بمجاز ولا تخالف لقتضى التركيب واذا تأملت
هذا التناسب والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالا عليه مرشدا اليه ثم أقدم
سبحانه بالاسماء ذات الحبك أصل الحبك في اللغة اجادة النسيج يقال حبك الشوب
اذا اجاد نسجه وحبيل محبوبك اذا كان شديدا الفتل وفرس محبوبك الكفيل أي مدبجه وقال سهر
المحبوك في اللغة ما جيد عمله ودابة محبوبكة اذا كانت مدبجة الخلقى وقال ابو عبيدة والمبرد
الحبك الطريق واحدها حباك وحبك الحمام طرائق على جناحيه وحبك الماء طريقه
وقال الفراء الحبك تكسير كل شيء كالرمل اذامرت به الريح والماء الدائم اذامرت به الريح
ونجمه الشعر حبك ايضا واحدها حبيكة مثل طريفة وحبك مثل مثال ومثل
والمقصود بهذا كله ما افصح به ابن عباس فقال يريد الخلق الحسن وروى سعيد بن جبير
عنه قال الحبك حسنها واستواؤها وقال فتادة ذات الخلق الشديد وقال مجاهد متقنة
البيسان وقال ايضا ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها تحبك الماء اذا ضربته
الريح وحبك الرمل وحبك الشعر وقال عكرمة يذبانها كالمبرد المسلسل قلت وفي الحديث
في صفة الدجال شرابه حبك أي جمع الشعر ومن أحسن ما قبل في تفسير الحبك ما ذكره
الترمذي في تفسير الجامع من حديث الحسن عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال هل ندرن ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قلنا الرقع صفة محفوظ وموج
مكفوف وذكر الحديث

فصل في ثم ذكر المقسم عليه فقال انكم اني قول مختلف بؤفة كنه من أنك قاله قول
المختلف أقوالهم في القرآن وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو خرس كله فانهم لما كذبوا بالحق
اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم فان الحق شيء واحد وطريق مستقيم فمن
خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج
أي مختلط ملتبس وفي ضمن هذا الجواب انكم في اقوال باطلة متناقضة يكذب بعضها
بعضا بسبب تكذيبهم بالحق ثم اخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من
صرف فمن ههنا فيها طرق من معنى التسبب كقوله وما نحن بتاركي آلهتنا عن
قولك وقوله من أفك أي من سبني في علم الله انه يضل ويؤفك كقوله فانكم وما تعبدون ما انتم
عليه بمقائين الا من هو صال الجحيم وقالت طائفة الضمير يرجع الى القرآن وقيل الى الايمان وقيل
الرسول والمعنى يصرف عنه من صرف حتى يكذب به ولما كان هذا القول المختلف خرصا
وباطلا قال قتل الخراصون أي المكذبون الذين هم في غرة ساهون وجهه الله قد غر قلوبهم
أي غطاها وغشاها كغرة الماء وغرة الموت فغمرات ما غطاها من جهل أو هووى أو صكر

أو غفلة أو حب أو بغض أو خوف أو غم ونحو ذلك قال تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا أي غفلة وقيل جهالة ثم وصفهم بأنهم ساهون في غمرتهم والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه والفرق بينه وبين النسيان أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمعرفة والسهو لا يستلزم ذلك ثم قال يستلون أي أن يوم الدين استبعادا للوقوع وجسدا فأخبر تعالى أن ذلك يومهم على النار يفتنون والمشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى يجرّفون ولكن لفظة على تعطى معنى زائدا على ما ذكره ولو كان المراد نفس الحرف لقبل يومهم في النار يفتنون ولهذا لما علم هؤلاء ذلك قال كثير منهم على بمعنى في كما تكون بمعنى على والظاهر أن فتنتهم على النار قيل فتنتهم فيها لم عند عرضهم عليها ووقوفهم عليها تشبه وعند دخولهم والتعذيب بها فتننة أشد منها فهم ومن جعل الفتننة هنا من الحريق أخذته من قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا واشتبهوا على ذلك أيضا بهذه اللفظة التي في الذاريات وحقبة الأمر أن الفتننة تطلق على العذاب وسببه ولهذا سمي الله الكفر فتننة فهم لما أتوا بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سمي جزاءهم فتننة ولهذا قال ذو قوا فتننكم وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها من أعظم فتننتهم وآخر هذه الفتننة دخول النار والتعذيب بها ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها ثم فتنوا برسالة الرسل إليهم ثم فتنوا بمخالفتهم وتكذيبهم ثم فتنوا بمذاب الدنيا ثم فتنوا بعذاب الموت ثم يفتنون في موقف القيامة ثم اذا حشروا الى النار وقفة واحدة وعرضوا عليها وذلك من اعظم فتننتهم ثم الفتننة الكبرى التي أنستهم جميع الفتن قبلها

فصل في ثم ذكر سبحانه جزاء من خلس من هذه الفتن بالتقوى وهو الجنات والعيون وأنهم آخذون ما آتاهم ربهم من الخير والكرامة وفي ذلك دليل على أمرهمنا بقولهم له ومنه ارضاهم به ومنها وصولهم اليه بالامانح ولا معاقب ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم فكما أخذوا من أمرهم به في الدنيا وقبلوه بالرضا والتسليم وانفراح الصدر أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك ثم ذكر السبب الذي أوصلهم الى ذلك وهو احسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له والقيام بحقوقه وحقوق عباده ثم ذكر ليهم وأنهم قليل هجوعهم منه وقد قيل ان مانافية والمعنى ما يهجعون قليلا من الليل فكيف بالكثير وهذا ضعيف لوجوه أحدها أن هذا ليس بالآزم او صف المتقين الذين يستحقون هذا الجزاء الثاني أن قيام من نام من الليل نصفه أحب الى الله من قيام من قامه كله الثالث أنه لو كان المراد بذلك احياء الليل جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قام ليلة حتى الصباح الرابع أن الله سبحانه ما أمر رسوله ان يتعبد بالقرآن من الليل لاني الليل كله فقال ومن الليل فتهجد به الخامس أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف أو النقصان منه أو الزيادة عليه فذكر له هذه المراتب الثلاثة ولم يذكر قيامه كله السادس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه عن عثمان بن مظعون أنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاء فقال يا عثمان أرغبت عن سنتي قال لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب قال فاني نام وأصلي وأصوم وأفطر وانكح النساء فاني لله يا عثمان فان لاهلك عليك حقاً

وان اضيفك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وصل ونم ولما بلغه من زيب
 بنت جحش أنها تصل الليل كله حتى جعلت حبلا بين ساريتين اذا فترت تعلقت به أنكرك
 ذلك وأمر بحله السابع أن الله أنى عليهم بأنهم كانت تجسافي وتلقى عنها حتى يقوموا الى
 الصلاة ولهذا جازاهم عن هذا الجسافي الذي سببه قلبي القلب واضطرابه حتى يقوم الى
 الصلاة بقرة الاثمين الثامن أن الحسابة الذين هم أول وأولى من دخل في هذه الايام لم
 يفهموا منها عدم نومهم بالليل أصلا فروى بحير بن سعد عن سعيد عن قتادة عن أنس في
 قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء التاسع أن في
 هذا التقرير تفكيكا للكلام وتقديما للمعول السامل المنفي عليه لانك تجعل قليلا مفصول
 بهجرون وهو منفي والبصريون لا يجرون ذلك وان أجازة الكوفيين وفصل
 بمضمون ما أجازة في الظرف ولم يجزه في غيره

فصل في ما زاد من الخبر كان يهجعون وقليلا منصوب اما على المصدرية أي
 هجوما قليلا واما على الظرف أي زمنا قليلا واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيام
 ثلثه ثم نوم سده أحب القيام الى الله فيكون وقت الهجوم وكثير من وقت القيام فكيف
 يثنى عليهم بما الافضل خلافه وأجيب عن ذلك بأن من قام هذا القيام فز من هجوعه أقل
 من زمن يقظته قطعا فانه مستيقظ من المغرب الى العشاء ومن العجر الى طلوع الشمس
 فيبقى ما بين العشاء الى طلوع العجر فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن الهجوم وع
 أقل من زمن الاستيقاظ وقيل ما مصدرية وهي في موضع رفع بقليل أي كانوا قليلا هجوعهم
 وهو قول الحسن وقيل انها موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي قليل من الليل
 الوقت الذي يهجعون وفيه تكلف وقيل ما يهجعون بدل اشتمال من اسم كان والتقدير كان
 هجوعهم من الليل قليلا ويرد عليه أن من الليل متعلق بهجوعون ومعول المصدر لا يتقدم
 عليه وأجيب عنده أنه منصوب على التفسير ومعناه أن يقدر له فعل محذوف ينصبه مفسره
 هذا المذكور قليلا خبر كان ونم الكلام بذلك والمعنى كانوا صنفنا أو جنسا قليلا ثم قال من
 الليل ما يهجعون واصحاب هذا القول يجعلون ما نافية فيعود الكلام الى نفي هجوعهم شيئا
 من الليل وقد تقدم ما فيه ثم اخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند الهجر
 فحتموا وصلاتهم بالاستغفار والتوبة فبأثوابهم سجدا وقيامهم بأبوابه واستغفروه
 عقيب ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا وأمره الله سبحانه
 أن يختم عمره بالاستغفار وأمر عباده ان يختموا افاضتهم من حركات بالاستغفار وشرع
 صلى الله عليه وسلم للمتموضي أن يختم وضوءه بالتوبة فأحسن ما ختمت به الاعمال التوبة
 والاستغفار ثم اخبر سبحانه عن احسانهم الى الخلق في مع اخلاصهم لربهم فجمع لهم بين
 الاخلاص والاحسان ضد الذين هم براؤن ويمنعون الماعون وأكد اخلاصهم في هذا
 الاحسان بأن مصرفه للمساائل والمحروم الذي لا يقصد باعطائه الجزاء منه ولا الشكور
 والمحروم المتعفف الذي لا يسأل وتامل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه وشرحه لاصحاب
 الجدة اعطائه وهو أغنى الاغنياء واجود الاجودين فلم يجمع عليه بين الحرمان بالقدر وبالشرع

شرح عطائه بأمره وحرمة بقدرته فلم يجمع عليه حرمانين
 فصل ثم ذكرهم سبحانه بآياته الأفقية والفضوية فقال وفي الأرض آيات للموقنين
 وفي أنفسكم أفلا تبصرون فأيات الأرض انواع كثيرة منها خلقها وحدوثها بعد عدمها
 وشواهد الحدوث والافتقار الى الصانع عليها لا يحسد فانها شواهد قائمة بها ومنها بروز
 هذا الجانب فيها من المانع كون مقتضى الطبيعة ان يكون مغمورا به ومنها صنعها وكبير
 خلقها ومنها تسطحها كما قال تعالى والى الأرض كيف سطحت ولا ينافي ذلك كونها كثيرة فهي
 كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان ومنها انه جعلها فرائس لتكون مقر للحيوان ومساكنه
 وجعلها قرارا وجعلها اهدا وجعلها ذوا لا توطأ بها الاقدام وتضرب بالعاول والنفوس وتحمل
 على ظهرها الابنية الثقال فهي ذلول مسخرة لا يريد العبد منها وجعلها بساطا وجعلها كفاتا
 للاحياء تضمنهم على ظهرها والاموات تضمنهم في بطنها وطعامها وبسطها ووسعها
 ودحاها فتهيئها للمايراد منها بان يخرج منها ماها وما مرطها وشقي فيها الانهار وجعل فيها السبل
 والعجاج ومنه يجعلها مهادا وفراشا على حكمته جعلها الله ساكنة وذلك آية اخرى
 اذ لا دماثة نحتها تمسكها ولا علاقة فوقها ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تكفأ فيه
 تكفأ السفينة فانقضت العناية الازلية والحكمة الالهية ان وضع عليها روادى
 يشتها به الثلاثيد وتستقر عليها الانام وجعلها ذوا لا على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة
 والشدة كالحديد فيمتنع حفرها وشقها والبناء فيها والفرس والزرع وبعث النوم عليها
 والمشي فيها ونبيه بكونها قرارا على الحكمة في أنهم لم يخلف في غاية اللين والرخاوة والدمامة
 فلا تمسك بناه ولا يستقر عليها الحيوان ولا الاجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدمامة
 وأشرف الجواهر عند الانسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الأرض من
 هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها وتعلقت المنافع المقصودة منها وبهذا
 يعلم ان جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك وان كانت تلك اهل وأهم
 فقلوها وهزتها لقلتها والافانراب انفع منها وأبرك وأنس وكذلك لم يجعلها شفافة فان
 الجسم الشفاف لا يستقر عليه النور وما كان كذلك لم يقبل الضوء فيبقى في غاية البرودة فلا
 يستقر عليه الحيوان ولا يتأني فيه النبات وكذلك لم يجعلها صقيلة براقعة لتلاصقها
 انعكاس اشعة الشمس كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الصقيل
 الشفاف فانقضت حكمته سبحانه ان جعلها كثيفة خيرا فصلحت ان تكون مستقرا للحيوان
 والانام والنبات ولما كان الحيوان الهوى لا يمكنه ان يعيش في الماء كالحيوان المائي ابرز له
 جانبها كما تقدم وجعله على أوفق الهيئات لمصالحه وانشأ منها طعامه وقوته وكذلك خلق

منها النوع الانساني وأطاعه اليها وبخرجه منها

فصل ثم ومن آياتها ان جعلها مختلفة الاجناس والصفات والمنافع مع انها قطع متجاورات
 متلاصقة فهذه سهلة وهذه حزنة تجاورها وتلاصقها وهذه طيبة تثبت وتلاصقها أرض لا تثبت
 وهذه ترابية وتلاصقها مال وهذه صلبة ويلاصقها ويلبها رخوة وهذه سودا ويلبها أرض بيضاء
 وهذه حصي كلها ويجاورها أرض لا يوجد فيها حجر وهذه تصلح لنبات كذا وكذا وهذه لا تصلح له

بل تصلح لغيره وهذه سبعة ملحقة وهذه بضدها وهذه ليس فيها جبل ولا علم وهذه مسجرة بالجبال
وهذه لا تصلح الاعلى المطر وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح الاعلى سقى الانهار فيمطر الله سبحانه
الارض البعيدة ويسوق الماء اليها على وجه الارض فلو سألتها من نوعها هذا التنوع ومن
فرق اجزاءها هذا التفريق ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به ومن ألقى عليها روايتها
وقبح فيها السبل وأخرج منها الماء والمرعى ومن امسكها عن الزوال ومن بارك فيها وقدر فيها
اقواتها وأنشأ منها حيوانا ونباتا ومن وضع فيها معادن واورها ومانعها ومن هيأها مسكنا
ومستقرا للانام ومن يبدأ الخلق منها ثم يعيده اليها ثم يخرجها منها ومن جعلها ذلولا لغير مستصعبة
ولا تملئة ومن وطأ منا كبرا وذل مسالكها ووسع محارجها وشق انهارها وانبت اشجارها
واخرج ثمارها ومن صدعها عن النبات واودع فيها جميع الاقوات ومن بسطها وفرشها ومهداها
وذللها وطمحها ودحاها وجعل ماعليها زينة لها ومن الذي يسكنها ان تحرك فتزل فيسقط
ماعليها من بناء ومعلم او يخسفها بمن عليها فاذا هي تمور ومن الذي انشأ منها النوع الانساني
الذي هو ابداع المخلوقات واحسن المصنوعات بل انشأ منها آدم ونوحا و ابراهيم وموسى
وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وأنشأ منها اوليائه واحبائه وعبيده
الصالحين ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والارزاق والمعادن والحيوان ومن
جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة لئلا زادت على ذلك لضعف تأثرها
بحرارة الشمس ونور القمر فتعطلت المنفعة الواصلة الى الحيوان والنبات بسبب ذلك ولو
زادت في القرب لاشتدت الحرارة والسخونة كما نشاهد في الصيف فاحترقت ابدان الحيوان
وانتبت وبالجملة فكانت نفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم ومن الذي جعل فيها الجنات
والحدائق والعيون ومن الذي جعل باطنها بيوتا للاموات وظهرها بيوتا للاحياء ومن الذي
يحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الريح ويطلع عليها الشمس فتأخذ
في الحمل فاذا كانت وقت الولادة مخضت الوضغ واهترت وانبتت من كل زوج بهيج فسبحان من
جعل السماء كالباب والارض كالام والقطر كالماء الذي ينعد منه الولد فاذا حصل الحب في
الارض ووقع عليه الماء اثرت نداوة الطين فيه واما نبت السخونة الخفيفة في باطن الارض
فوصلت الندوة والحرارة الى باطن الحبة فالسعت الحبة وربت وانتفخت وانقلبت عن سابقين
ساق من فوقها وهو الشجرة وساق من تحتها وهو العرق ثم عظم ذلك الولد حتى لم يبق لايه
نسبة اليه ثم وضع من الاولاد بعدد آياته آلافا مؤنفة كل ذلك صنع الرب الحكيم في حجة
واحدة اعلمها تبلغ في الصغر الى الغاية وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الام فبالها
من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق وصفات كاله وافعاله وعلى صدق رساله فيما
أخبر وابه عنه باخراج من في القبور ليوم البعث والنشور فتأمل اجتماع هذه العناصر الاربعة
وتجاورها وامتزاجها وحاجة بعضها الى بعض وانفعال بعضها من بعض وتأثيره فيدونها اثره
به بحيث لا يمكنه الا تبايع من التآزر والاتصال ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغنى عن صاحبه
وفي ذلك أظهر دلالة على انها مخلوقة مصنوعة مبروبة مدبرة حادثة بعد عدمها فقيرة الى مورد
غنى عنها مؤثر غير متأثر قديم غير حادث تقاد المخلوقات كلها لقدرة وتجبب داعي مشيئته

وتلبي داعي وحدانيته وربوبيته وتشهد بعلته وحكمته وتدعو عباده الى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته ونمذرتهم من بأسه وتقيته ونجنتهم على المبادرة الى رضوانه وجنته فانظر الى الماء والارض كيف لما أراد الرب تعالى امتزاجهما وزدوا وجههما انشأ الريح فحركت الماء وساقته الى ان قذفته في عمق الارض ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية وحصل بها الانبات ثم انشأ لها حرارة أخرى أقوى منها حصل بها الانفتاح وكانت حالته الاولى تضعف عن الحرارة الثانية فادخرت الى وقت قوته وصلابته فحرارة الربيع للاخراج وحرارة الصيف للانضاج هذا وان الام واحدة والاب واحد والقساح واحد والاولاد في غاية التبائن والتنوع كما قال تعالى وفي الارض قطع منجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فهذا بعض آيات الارض ومن الآيات التي فيها وقائمه سبحانه التي اوقعها بالامم المكذبتين لرسلهم المخالفين لامره وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى وما اذا عمود وقد تبين لكم من مساكنهم وقال في قوم لوط وطوانكم لتتروا عليهم مصعبين وبالليل افلان تعقلون وقال بأخذتهم الصبح مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم اي بطريق ثابت لا يزول عن حاله قال وان كان اصحاب الايكة اظالمين فأتقننا منهم وأنهم الباطل مبين اي ديار هاتين الامتين لطريق واضح يبره السالكون وقال تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وقال من قوم عاد فأصبحوا لاي اري الامساكنهم وقال ألم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم فأى دلالة رجل يخرج وحده لاهدته ولا عدد ولا مال فيدعو الامة العظيمة الى توحيد الله والايان به وطاعته ونمذرتهم من بأسه وتقيته تنفي كلتهم او اكثرهم على تكذيبه ومعاداته فتذكرهم انواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر فتفرق المكذبتين كلهم نارة ويحسف بغيرهم الارض نارة وبهلك آخرين بالريح وآخرين بالصيحة وآخرين بالمسخ وآخرين بالحجارة وآخرين بظلمة من النار من فوقهم وآخرين بالصواعق وآخرين بأنواع العقوبات وينجو داعيهم ومن معه والهالكون اضعاف اضعافهم عددا وقوة ومنعة واموالا

فيا لك من آيات حق لو اهتدى * بهن مرید الحق لكن هو اديا

والكن على تلك القلوب أكنة * فليست وان أصقت نجيب المناديا

فهل امتنعوا ان كانوا على الحق وهم اكثرهم عددا واغوى شوكة بقوتهم وعددهم من بأسه وسلطانه وهلا اختصوا من عقوبته كما اعتصم من هو اضعف منهم من اتباع الرسل ومن الآيات التي في الارض مما يحدده الله فيها كل وقت مما يصدق رسله فيما اخبرت به فلا تزال آيات الرسل واعلام صدقهم وأدلة نبوتهم يحددها الله سبحانه وتعالى في الارض اقامة الحججة على من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل حتى كأن اهل كل قرن يشاهدون ما يشاهدونه الاولون ولنظيره كما قال عزير بن ابي تالي في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهذه الارادة لا تنخص بقرن دون قرن بل لا بد ما يرى الله سبحانه اهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم انه الله الذي

لا اله الا هو وان رحله صادقون وآيات الارض اعظم مما ذكرنا كثير نبيه بالسير منها على الكثير
 فصل ثم قال وفي أنفسكم أفلا تبصرون لما كان أقرب الاشياء الى الانسان نفسه ماء خالقه
 وباريه ومصوره وناظره من قطرة ماء الى التبصر والتفكر في نفسه فاذا تفكر الانسان في نفسه
 استنارت آيات الربوبية وسطعت له انوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب وانفشت
 عنه ظلمات الجهل فانه اذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات وأدلة التوحيد على ربه
 ناطقات شاهدة لمدره دالة عليه مرشدة اليها الذبيحة مكوّنا من قطرة ماء لحوام منضدة وعظاما
 مركبة واوصالا متعددة مأورة مشددة بحبال العروق والاعصاب قد قطت وشدت وجمعت
 بجملة من مشتمل على ثلاث مائة وستين مفصلا ما بين كبير وصغير ونخين ودقيق ومستطيل
 ومستدير ومستقيم ومنحن وشدت هذه الاوصال ثلاث مائة وستين عرقا لا اتصال والانفصال
 والقبض والبسط والمد والضم والصنائع والكتابة وجعل فيه تسعة أبواب فبابان للسمع وبابان
 للبصر وبابان للشم وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس وبابان لخروج الفضلات
 فلهذا يؤذى احتباسها وجعل داخل بابي السمع مراقاة لا يبلغ فيها ساداة تخلص
 الى الدماغ فتؤذيه وجعل داخل بابي البصر مالحا لئلا تذيب الحرارة الدائمة
 ما هناك من الشحم وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوا ليسبق به ما يأكله ويشربه
 فلا يتنفس به لو كان مرا أو مالحا وجعل له مصباحين من نور كالمراج المضيء مركبين
 في أعلى مكان منه وفي أشرف عضو من أعضائه طبيعة له وركب هذا النور في جزء صغير جدا
 يبصر به السماء والارض وما بينهما وغشاوة بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض
 حامية له وصيانة وحرارة وجعل على محله خلقا يبصر عين اعلا واصقل وركب في ذيل المصرعين
 اهدابا من الشعر وقاية لعين وزينة وجالا وجعل طرف فوق ذلك كله حاجبين من الشعر
 يحجبان العين من الترقق النازل ويلتقيان عنها ما ينصب من هناك وجعل سبحانه لكل طبقة
 من طبقة العين شغلا مخصوصا ولكل واحد من الرطوبات مقدارا مخصوصا لو زاد على ذلك
 أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة ثم
 أظهر في تلك العدسة صورة السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والعالم العلوي
 والسفلي مع اتساع اطرافه وتباها دقاره واقتضت حكمته سبحانه ان يجعل فيها باضا وسودا
 وجعل القوة الباصرة في السواد وجعل البياض مستقر لها ومسكنها وزين كلا منهما بالآخر
 وجعل الحدقة مصونة بالاجفان والحواجب كالتقدم والحواجب بالاهداب وجعلها سودا
 اذ لو كانت بيضا لفرق النور الباصر فضف الاذراك فان السواد يجمع البصر وينع من تفرق
 النور الباصر وخلق سبحانه لتحرك الحدق وتقليبها اربعا وعشرين عضلة لو نقصت عضلة
 واحدة لاختل أمر العين ولما كانت العين كالمرآة التي انما تنطبع فيها الصور اذا كانت في
 غاية الصفاة والصفاء جعل سبحانه هذه الاجفان متحركة جدا بالطبع الى الانطباق
 من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة
 اجفانا لاتزال تراها تنظف حينما يدها من آثار الغبار والكدورات

مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفظنة والزبغ والاستقامة فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة وهي فراسة العين وفراسة الاذن وفراسة القلب فالعين مرآة للقلب وطلبة ورَسُول ومن عجيب أمرها انها من الطلغ الاعضاء وابعدها تثر بالحر والبرد على أن الدهن على صلابتها وظلها ايتأثر بهما اكثر من تأثر العين على لطافتها وليس ذلك بسبب الغطاء الذي عليها من الاجفان فانها ولو كانت منفذة لم تتأثر بذلك تأثر الاعضاء اللطيفة

فصل في ومن ذلك الاذنان شتهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه واوردهما من الرطوبة ما يكون معينا على ادراك السمع واوردهما القوة السمعية وجعل سبحانه في هذه الصدفة انحرافات واهوجاجات لتطول المسافة قليلا فلا يصل الهواء الا بعد انكسار حدته فلا يصدمه واهلة واحدة فيؤذيها وايضا قليلا ينجأها الداخل اليها من الديدب والحشرات بل اذا دخل الى حوجة من تلك الانعطافات وقف هناك نسهل اخراجه وكانت العينان في وسط الوجه والاذنان في جانبيه لان العينين محل الملاحظة والزينة والجمال وهما بمنزلة النور الذي يمشى بين يدي الانسان وايضا فكان جعلهما في الجانبين ليكون ادراهما كما لما خلف الانسان وامامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتأ في السموات اليهما على نسبة واحدة وخالقت العينان بغطاء والاذنان بغير غطاء وهذا في غاية الحكمة اذ لو كان للاذنين غطاء لمنع الغطاء ادراك الصوت فلا يحصل الابعاد ارتطاب الغطاء والصوت عرض لا يثبت له فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ما تراه العين فانه اجسام وارضاض لا تزول فيما بين كشف الغطاء وقح العين وجعل سبحانه الاذن عضوا خضر وفيه ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بين الصلابة واللين فتقبل بلينها وتحفظ بصلابتها ولا تصدع انصداع العظام ولا تتأثر بالحر والبرد والشمس والسموم تأثر اللحم اذ المصلحة في بروزها لتتلقى ما يرد عليها من الاصوات والابخار

فصل في ومن ذلك الانف نصبه سبحانه في وسط الوجه قائما معتدلا في احسن شكل وأوقفه للمنفعة وأودعه حاسة الشم التي يدرك بها الارائح وأنواعها وكيفيةها ومنافعها ومضارها ويستدل بها على مضار الاغذية والادوية ومنافعها وايضا فانه ينشق بالمخبرين الهواء البارد الرطب فيؤديه الى القلب فيتروح به فيستغنى بذلك عن قح الفم أبدا وجعل نجويفه بقدر الحاجة فلم يوسع من ذلك فبدخله هواء كثير ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه وجعل ذلك التجوف مستطيل لينحصر فيه الهواء وينكسر برده وحدته قبل ان يصل الى الدماغ فلو لا ذلك لصدمه بحدته وقوته والهواء الذي يستنشقه الانف ينقسم شطرين شطرا يصعد الى الدماغ وشطرا ينزل الى الرئة وهو اكثر من آلات النطق فانه امانة على تقطيع الحروف وكما أن نجويفه جعل لاستنشاق الهواء فانه جعل مصبا لفضلات الدماغ فمدر منه في تلك القصبه فيخرج فيستريح الدماغ ولذلك جعل عليها ستر ولم يجعلها بارزة فتستقبها العيون وجعل فيها نجويفا فانه قد ينسد احدهما او عرض له آفة تمنعه من الادراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني ثابتا عنه يعمل له كما اقتضت

الحكمة مثل ذلك في العينين ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه هناك الانف كيف يدخل اولاً من
 المخربن وينكمس برده هناك ثم يصل الى الخلق فيعتدل من اجبه هناك ثم يصل الى الرئة اللطيفة
 ما يكون ثم يبعثه الرئة الى القلب فيروح من الحرارة انغريزية التي فيه ثم ينفذ من القلب
 الى العروق المتحركة ويبلغ الى اقاصى اطراف البدن ثم اذا سخن في البطن وخرج عن
 حد الانتفاع من تلك الاقاصى الى البدن ثم الى الرئة ثم الحلقوم ثم الى المخربن خارجاً فيخرج منها
 ويعود هو ضمه هواء بارد نافع والنفس الواحد من انقاس العبد انما يتم بمجموع هذه الامور
 والقوى والافعال وهو في اليوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس لله في كل نفس عدة نعم
 قد وقف على القليل منها فاظنك بما وراء النفس من الاعضاء والقوى ومنافعها وقام النعمة بها
 فصل ﴿ واما الفم فعمل العجايب وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ويمكن
 اللسان الناطق الذي هو آلة العلوم وترجمان القلب ورسوله المؤدى عنه ولما كان القلب
 ملك البدن ومعدن الحرارة الفريزية فاذا دخل الهواء البارد وصل اليه فاعتدلت حرارته
 وبقي هنالك ساعة فسخن واحترق فاحتاج القلب الى دفعه واخراجه فجعل احكام الحاكمين
 اخراجه سبباً لحدوث الصوت في الخنجرة والحنك والاسنان والشفتين والاسنان مقاطع
 ومخارج مختلفة بسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ثم اهتم العبد تركيب
 تلك الحروف ليؤدى بها عن القلب ما يأمربه فتأمل الحكمة الباهرة حيث لم يضع سبحانه
 ذلك النفس المستغنى المحتاج الى دفعه واخراجه بل جعل فيه اذا استغنى عنه منفعة ومصالحة
 هي من اكل المنافع والمصالح فان المقصود الاصلى من النفس هو اتصال الشم البارد
 الى القلب فاما اخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة نصرف ذلك سبحانه الى
 رماية تصلحه ومنفعة اخرى فجعله سبباً للاصوات والحروف والكلام ثم انه سبحانه جعل
 الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة لتختلف الاصوات باختلافها
 فلا يتشابه صوتان كالانتشابه صورتان وهذا من اظهر الادلة فان هذا الاختلاف الذي بين
 الصور والاصوات على كثرتها وتعددتها يقل ما يشبه صوتان أو صورتان ليس في الطبيعة
 ما يقتضيه وانما هو صنع الله الذي اتقن كل شئ واحسن كل شئ خلقه فتبارك الله رب
 العالمين واحسن الخالقين غير سبحانه بين الاشخاص بما يدركه السمع والبصر

فصل ﴿ وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام وهي اعظها ومنفعة الذوق
 والادراك وجعله دليلاً على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جعله دليلاً على استقامته واهو واجبه
 فترى الطبيب يستدرك بما يبدو البصر على اللسان من الخشونة والملاسة والبياض والحمرة
 والتشقق وغيره على حال القلب والمزاج وهو دليل قوى على احوال المعدة والامعاء كما يستدل
 السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فيبدو عليه صحة القلب وفساده بمعنى وصورة
 فصل ﴿ وجعل سبحانه اللسان عضواً لاجسام الاعضاء فيه ولا عصب اتسهل حركته
 ولهذا لا نجد في الاعضاء من لا يكثر الحركة او اقله من الاعضاء حركته كما تحرك
 اللسان لم يعطك لذلك ولم يلبث ان بكل ويخلو الى السكون الا اللسان وايضا فانه من اهدل
 الاعضاء والاطفها وهو في الاعضاء بمنزلة رسول الملك ونائبه فزاجه من اهدل امرجة البدن

ويحتاج الى قبض وبسط وحركة في اقصى الفم وجوانبه فلو كان فيه عظام لم ينتهياً منه ذلك ولم ينتهياً منه الكلام التام ولا الذوق التام فكونه كما اقتضاه السبب الفاعلي والقائي والله اعلم
 فصل ﴿ وجعل سبحانه على اللسان خلقين أحدهما الانسان والثاني الفم وجعل حركته اختيارية وجعل على العين غطاء واحدا لم يجعل على الاذن غطاء وذلك بخاطر اللسان وشرفه وخطر حركته وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر وذلك من اللطائف ان آفة الكلام اكثر من آفة النظر وآفة النظر اكثر من آفة السمع فيجعل للاكثر آفات طبقتين وللمتوسط طبقتين وجعل للاقل آفة بلا طبق

فصل ﴿ وجعل سبحانه الفم اكثر الاعضاء رطوبة والريق يتحلل اليه دائماً لا يفارقه وجعله حلواً والمالحة الحامئة العين ولا مرراً كالذي في الاذن والاحضنا كالذي في الانف بل هو اعذب مياه البدن واحلاها حكمة بالغة فان الطعام والشراب يخالطه بل هو الذي يحيل الطعام ويمزجه بما مزاج الجبين بالماء فلو لانه حلواً لالتذال انسان بل والحليب وان بطعام ولا شراب ولا ساغه الاعلى كره وتغصص ولما كان كثير من الطعام لا يمكن حمله الا بعد طبخه جعل الرب تعالى له آفة تقطيع والتفصيل وآلة للطحن فيجعل آلة التقطيع وهي الثنايا وما يليها حادة الرؤس ليسهل بها التقطيع وجعل النواجذ وما يليها من الاضراس مسطحة الرؤس عريضة ليتأني بها الطحن ونظما احسن نظامه كالؤلؤ المنظم في سلك وجعلها من الجانب الاعلى والاسفل ليتأني بها التقطيع والطحن وجعلها من الجانب الايمن واليسر اذ رجمت كلت احدي الاكنتين او تعطلت او عرض لها ارض فينتقل الى الآلة الاخرى وايضا لو كان العمل على جانب واحد دائماً أو شك أن يعطل ويضعف وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم وتخرج من خلاله نابتة كما نبت الزرع في الارض ولم يكسها سبحانه لحمها كسائر العظام سواها اذ لو كسها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة ولما كانت العظام محتاجة الى لحم يكسوها ويحفظها وبلتقي عنها الحرارة والبرد ويحفظ عليها رطوبتها لم تكمل مصلحة الحيوان الابهذه الكسوة ولما كانت عظام الانسان محتاجة الى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه جعلت كسوتها منفصلة عنها وجعلت هي المكتسبة العارية لتتام المنفعة بذلك ولما كانت آلة التقطيع والكسر والطحن لم تنشأ مع الطقل من اول نشأة كسائر عظامه لعدم حاجته اليها فاعطل عنها وقت استغنائها عنها بالرضاع واعطيتها وقت حاجته اليها وفيه حكمة اخرى وهي أنه لو نشأت معه من حين يولد لاضرت بحلمة الثدي اذ لا عقل له يحرزه عن عضها فكانت الام تمنع من رضاعه ومن حبيب أمرها الاتفاق والموالات التي بينها وبين المعدة فانه يسلم اليها الشيء اليابس والصلب فتطحنه ثم تسلمه الى اللسان فيعجنه ثم يسلمه الى الحلق فيوصله الى المعدة فتنضجه وتطبخه ثم يرسل اليها منه معلوماً المقدر لها فاذا هجرت عن قطع شيء وطحنه هجرت المعدة عن انضاجه وطبخه واذا اكلت الانسان كالت المعدة واذا ضعفت ضعفت وهي تصعب الانسان وتخدمه ما لم يرها فاذا وقعت عينه عليها فارقته ابدوهي صلاح ومنشار وسكين وروح وزينة وفيها منافع ومصالح غير هذه

فصل ﴿ ثم تأمل حال الشعر ومنبته وسببه فان البدن لما كان حاراً رطبا والحرارة اذا عملت في الرطوبة فلا بد أن تثير بخارا وتلك البخارة تتصاعد من عمق البدن الى سطحه ويتزايد

الانفصال من هناك فلا بد أن يحدث مساماً و منافذ في ظاهر الجلد وتلك الابخرة اما أن تكون رطبة لطيفة فحينئذ تنفصل من المسام ولا تحدث شيئاً واما أن تكون دخانية يابسة غليظة فالجلد حينئذ اما أن يكون في نهايته النعومة والنضارة كجلد الصبيان أو في غاية اليبس والقشف أو يكون معتدلاً فاذ ذلك لا يتولد فيه الشعر لان البخار اذا شق سطح الجلد وانفصل ما بالجلد في الحال الى اتصاله الاول بسبب كثرة رطوبته و نعومته مثله السمك اذا رفع رأسه من الماء انشقق له الماء فاذا عاد الى الماء عاد الماء الى اتصاله الاول وكذلك نشاهد الاشياء الرطبة كالنشاء مثلا اذا غلي فخرج البخار من موضع الغليان حادت الرطوبة الى الموضع الذي خرج منه ذلك البخار فسدته فان كان الجلد في غاية اليبس لم يتولد الشعر لان الجلد اليابس اذا انتقب بقيت تلك الثقب مفتوحة لئلا يابس الجلد فيفرق أجزاء البخار ولا يجتمع بعضها الى بعض فان الجلد متوسط بين النعومة والكثافة فانه ينفخ فيه المسام بسبب تلك الابخرة ولا يعود يفسد بعد خروج البخار ولكن لانثق المسام شديدة الانفتاح حينئذ يبتقى ذلك البخار الدخاني في تلك الثقبه لا يزال يدهم بخار آخر يدهمه أولا فأولاً الى خارج من غير ان ينقطع اصله فيبقى بعضه مراكوزاً في الجلد منزله اصل النبات وبعضه يطلع الى خارج منزله منزلة مساقى النبات وكذلك هو الشعر فادته الشعر هو البخار الدخاني اليابس وسببه هو الحرارة الطبيعية المحرقة لذلك البخار والآلة التي بها يتم امره هي المسام التي ارتكبت فيها البخار فتلبد هناك فصار شعراً باذن الله تعالى والغاية التي لاجلها وجد شيطان احدهما طم وهو تقيية البدن من الفضول الدخانية الغليظة والاخر خاص وهو اما للزينة واما للوقاية واذا بان الشعر انما يتولد مع الحرارة واليبس المعتدل بقيت ثلاثة اقسام احدها حرارة غالبة على اليبس كالصبيان الثاني عكسه وهو ييبس غالب على الحرارة كالمشايخ الثالث حرارة ضعيفة ويبس ضعيف كأبدان النساء ففي هذه الاقسام يقل الشعر واما الشباب فان حرارة ابدانهم ويبسهم معتدل فيقوى تولد الشعر فيهم وفي شعر الرأس منافع ومصالح منها وقايتة من الحر والبرد والمرض ومنها الزينة والحسن السبب الذي صار به شعر الرأس اكثر من شعر البدن ان البخار شأنه ان يصعد من جعب البدن الى الدماغ ومن الدماغ الى فوق وكان هذا الشعر نامياً على الدوام لان البخار يتصاعد الى الرأس ابداً وهو مادة الشعر فيبينهما الشعر ينمو البخار وكان فيه تخلص للبدن من تلك المواد وتكثير لوقايتة وغطائه

فصل في اماكن الشعر الحاجبين ففيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العين فيما ينحدر من الرأس وجعل هذا المقدار قلو نقص عنه زالت منفعة الجمال والوقاية ولو زاد عليه لغشى العين واضر بها وحال بينها وبين ما تدركه وقد ذكرنا منفعة شعر الهدب ولما كان الانفع والاصح ان يكون شعر الهدب قائماً منتصباً وان يكون باقياً على حال واحد في مقدار واحد جعل منبت هذا الشعر في جرم صلب شبيه بالعضروف يمتد في طول الجفن ثلاثاً بطول ونحو وهذا كما نشاهد النبات الذي ينبت في الارض الرخوة اللينة كيف بطول ويزداد والذي ينبت في الارض الصخرية الصلبة لا ينمو الاغوا يسيراً فكذلك الشعر الثابت في الاعضاء اللينة الرطبة فانه سريع النمو كسعر الرأس والعانة

فصل في ما شعر العجبة فقيه منافع منها الزينة والوقار والهيئة ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء من الهيئة والوقار ما يرى على ذوى العسى ومنها التمييز بين الرجال والنساء فان قيل لو كان شعر العجبة زينة لكان النساء اولى به من الرجال لحاجتهم الى الزينة وكان التمييز يحصل بخلو الرجال منه وان كان اهل الجنة اولى به وقد ثبت انهم جرد مرد قيل الجواب ان النساء لما كن محل الاستمتاع والتقبيل كان الاحسن والاولى خلوهن عن العسى فان محل الاستمتاع اذا خلا عن الشعر كان اثم ولهذا المعنى والله اعلم كان اهل الجنة مردا ليكمل استمتاع نساءهم بهم كما يكمل استمتاعهم بهن وايضا فانه كشف لمحاسن الوجوه فان الشعر يستتر ما تحته من البشرة ان يمس بشرة المرأة والله اعلم بحكمته في خلقه

فصل في ما شعر العانة والابط والناف فتنفعه تنقية البدن عن الفضلة ولهذا اذا ازيل من هذا الموضع وجد البدن خفة ونشاطا واذافر وجسد ثقلا وكسلا ونموا ولهذا جاءت الشريعة بمحلق العانة وتنف الابط وكان حلق العانة اولى من تنفها اصلابة الشعر وتأذى صاحبها بفتنه وكان تنف الابط اولى من حلقه لضعف الشعر هناك وشدة وتجله بالحلق فبجأت الشريعة بالانفع في هذا وهذا

فصل في تأمل حكمة الرب تعالى في كونه اخلا الكفين والجهة والاخصصين من الشعر فان الكفين خلقا حاكين على الموسات فلو حصل الشعر فيهما لاخل بذلك وخلقنا للقبض والاصاق اللحم على القبوض اهون على جودته من التصاق الشعر به وايضا فانها آلة الاخذ والاطاء والاكل ووجود الشعر فيهما يخل بتمام هذه المنفعة واما الاخصصان فلو نبت الشعر فيهما لاضر بالماشى واما في المشى كثيرا مما يعلق شعره مما على الارض ويتعلق شعره بما عليها ايضا هذا مع ان اكثر الاوتار والاضحية في الكفين مانع من نفوذ الابخرة فيها واما الاخصصين فان الابخرة تصاعد الى علو وكل ما تصاعد كان الشعر اكثر وايضا في كثرة وطء الارض بالاخصصين يصلبها ويجعل سطحها امس لا ينبت شيئا كما ان الارض التي توطأ كثيرا لا تنبت شيئا واما الجهة فلو نبت الشعر عليها لستر محاسنها واظلم الوجه وتدلى على العين وكان يحتاج الى حلقه دائما ومنع العينين من كمال الادراك والسبب المؤدى لذلك ان الذي تحت عظم الجهة هو مقدم الدماغ وهو بارد رطب والبخار لا يتحرك منفرقا الى الجهة بل صاعدا الى فوق فان قيل لم نبت شعر الصبي على رأسه وحاجبيه واجفانه معه مع الصغر دون سائر الشعور قبل لشدة الحاجة الى هذه الشعور الثلاثة اوجدها الله سبحانه معه وهو جنين في بطن امه فان شعر الرأس كالغطاء الواقى له من الاكاف والاهداب والاجفان وقاية للعين فان قيل فلم لم تنبت له العجبة الابد بلوغه قيل لانه عند البلوغ يجتمع الحرارة في بدنه وتكون اقوى ما هي ولهذا يمرض له في مثل هذا الطور البثورات والدمل وكثرة الاحتلام واذا كثرت الحرارة كثرت الابخرة بسبب التحلل وزادت على القدر المحتاج اليه في شعر الرأس فصرفها احكم الحساكين الى نبات العجبة والعانة وايضا فان بين اوعية المنى وبين العجبة ارتباط اذا العروق والمجارى متصلة بينهما فاذا تعطلت اوعية المنى ويبست تعطل شعر العجبة واذا قلت الرطوبة والحرارة هناك قل شعر العجبة ولهذا الاخصصان لا ينبت لهم لحي فان قيل فما العلة في الكوسج قيل برد مزاجه

ونقصان حرارته فان قيل فما السبب في الصلغ قبل عدم احتباس الابخرة في موضع الصلغ فان قيل فلم كان في مقدم الرأس دون جوانبه ومؤخره قيل لان الجزء المقدم من الرأس بسبب رطوبة الدماغ يكون أكثر ليونة وتحللا قهقلا الفضلات التي يكـون منها الشعر فلا يبقى له شعر مادة هناك فان قيل فلم يحدث في الاصداع قيل ان الرطوبة في الاصل أكثر منها في الاعلى وشاهد الارض العالية والمنخفضة فان قيل فلم تنصلع المرأة الا نادرا وكان الاصلع في الرجال أكثر قيل لان الاصل يحدث من بيبس في الجلد بمـرلة احتراقه وذلك لقوة الحرارة والنساء غارطوبة والبر ودها غلب عليهن ولهذا جلودهن أرطب من جلود الرجال فلا تنجف جلود رؤسهن فلا يعرض لهن الصلغ ولهذا لا يعرض للصبيان وان مرض المرأة صلغ فذلك في سن يبسها وبلوغها من الكبر هتيا فان قيل فالسبب في شدة سواد الشعر قيل شدة البخارات الخارجة من البدن واعتدالها وصحة مادة كخضرة الزرع فان قيل ما سبب الصهـوبة قيل برد المزاج فتضعف الحرارة عن صبغ الشعر وتسويده فان قيل ما سبب الشقرة والحجرة قيل زيادة الحرارة فتصبغ الشعر ولهذا تجد الشعر أشد حرارة وأكثـر حركة وهمـة فان قيل فما سبب البياض قيل البياض نوعان احدهما طبيعي وهو الشيب والتاني خارج عن الطبيعة وهو ما يوجد في اواخر الامراض المحففة بسبب تحلل الرطوبات كما يعرض للنبات عند الجفاف فان قيل فما سبب الطبيعي قيل اختلف في ذلك فقالت طائفة سببه الاستحالة الى لون الباغ بسبب ضعف الحرارة في ابدان الشيوخ وقالت طائفة سببه ان الغذاء الصائر الى الشعر يصير باردا بسبب نقصان الحرارة ويكون بطئ الحركة مدة تعوده الى المسام واصطلحت طائفة بين القولين وقالوا العلة في الامرين واحدة وسببها نقصان الحرارة فان قيل فلم احتسب الشيب بالانسان من بين سائر الحيوان قيل لحم الانسان وجلده رخولين وجلود الحيوانات ولحمها أقوى وأصلب فلما غلظت مادة الشعر فيها لم يعرض له ما يعرض لشعر الانسان ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الانسان وأيضا فان الانسان يستعمل الطعام المركبة المتنوعة وكذا المشارب ويتناول أكثر من حاجته فيجتمع فيه فضلات كثيرة فتدفعها الطبيعة الى ظاهر البدن فادامت الحرارة قوية فأنها تقوى على احراق تلك الفضلات فينولد من احراقها الشعر الاسود فاذا بلغ الشيخوخة ضعفت الحرارة وهجرت عن احراق تلك الفضلات فتعمل فيها عملا ضعيفا وأما سائر الحيوانات فلا تتناول الاغذية المركبة وتتناول منها على قدر الحاجة فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الانسان وأيضا فان في زمن الشيخوخة يكون أقل حرارة وأكثـر رطوبة فينولد والحيوانات فالبس غالب عليها فان قيل فلم كان سبب تشيب الاصداع في الاكثر مقدما على غيره قيل لقرب هذا الموضع من مقدم الدماغ والرطوبة في مقدم الدماغ كثيرة لان الموضع مفصل والمفصل يجمع فيه الفضلة الكثيرة فيكثر البرد هناك فيسرع الشيب فان قيل فلم اسرع الشيب في شعور الخصبان والنساء فبرد مزاجهن في الاصل ولا اجتماع الفضلات الكثيرة فيهن وأما الخصبان فلتوافر المنى على ابدانهم يصـير دهم غليظا بلغميا ولهذا لا يحدث لهم الصلغ فان قيل فلم كان شعر الابط لا يبس قبل قوة حرارة هذا الموضع بسبب قربه من القلب ومنامه كثيرة بلغمية لانها تنحل

بالعرق الدائم فان قيل فلم أبطأ يباض شعر العانة قيل لان حرصكة الجماع تحلل البانم
الذى فى مسامه فان قيل فلم كانت الحيوانات تبدل شعورها كل سنة بخلاف الانسان
قيل لضعف شعورها عن الدوام والبقاء بخلاف شعر آدمى فان قيل فما سبب الجعودة
والسيوطة قيل اما الجعودة من شدة الحرارة او من التواء المسام فالذى من شدة الحرارة فانه يعرض
منه الجعودة كما يعرض الشعر عند مرصه على النار واما الذى لالتواء المسام فلان البخار
يضعفه لا يقدر ان ينفذ على الاستقامة فيلتوى فى المنافذ فحدث الجعودة فان قيل فما السبب
فى طول شعر الميت واطفاره بعده وانه اذا بقى مدة قيل عنه جوابان أحدهما أنها لا تطول ولكن
لما ينقص ما حولها يظن أنها زادت الثانى وهو اصوب أن ذلك الطول من الفضلات البخارية
التي تحلل وهلة من الميت فيتمدهمها الشعر والظفر فان قيل فلم كان المريض وخاصة العموم
ينقص لحمه ويزيد شعره قيل ان فى المرض تكثر الفضلات فتكون الشعور والاطفار فيها
ويتغل الغذاء فيذوب اللحم واما فى الصحة فنقل الفضلات فلا تحتاج الطبيعة الى الغذاء وهضمه
واذا قلت الفضلات تغذت مادة الشعر فيطوى فان قيل فالعلة فى انتصاب شعر الخائف
والقرون حتى يبقى كشعر القنفذ قيل العلة فيه أن الجلد ينقبض وينتجمع المسام على الشعر
وتتضيق عليه فينتصب فان قيل فلم انتصب شعر البدن والحية والسبعان فان قيل فلم كان
كثرة الجماع تزيد فى شعر الحية والجدو وينقص من شعر الرأس والاجفان قيل لان الشعر فيه
ما يكون طبيعيا من اول الخلقة كالحية وصار شعر البدن والاول يكون من قوة الحرارة الاصلية
والثانى من قوة الحرارة الخارجية فلا جرم نقصت بسببه الشعور الاصلية وقرت العرضية
فان قيل فلم كان الشعر فى الانسان فى الجزء المقدم اكثر منه فى المؤخر وباقي الحيوانات بالعكس
قيل لان الشعر انما يكون حيث تكون الحرارة قوية ويكون تحلل الجلد اكثر وهذا فى الانسان
فى ناحية الصدر والبطن واما جلدة الظهر فتكثف واما ذوات الاربع فى الخلف شعورها اكثر
لان البخار فيها يرقى الى الخلف وان تلك المواضع هى التي تلتقى الحروا البرد فتحتاج الى وقاء اكثر
فان قيل فلم كان الرأس بالشعر احق الاعضاء وبناته اكثر قيل لان البخار يتصاعد ويطلب جهة
الفوق وهو الرأس ولا تستطل هذا الفصل فان امر الشعر من السمات والفضلات وهذا شأنه
فما الظن بغيره من الاجزاء الاصلية فاذا كانت هذه قليلة من كثير من حكمة الرب تعالى فى الشعور
ومواضعها ومناقصها فكيف بحكمته فى الرأس والقلب والكبد والصدر وغيرها ولا تضجر
من ذلك فان الخلق فيه من القمو الحكيم نظير ما فى الامر فالرب تعالى حكيم فى خلقه وامره وبحب
من يفقه عنه عند ذلك ويستدل على كمال حكمته وعلمه ولطفه وتدييره فاذا كان لم
يضع هذه الفضلات سدى فما الظن بغيرها

فصل في ونحن نذكر فصلا مختصرا فى حال الانسان فى مبدئه الى نهايته لنعلمه مرآة له
ينظر فيها قول خالقه وباريه وفى انفسكم أفلا تبصرون لما اقتضى كمال الرب تعالى جل جلاله
وقدرته التامة وعلمه المحيط ومشيئته النافذة وحكمته البالغة تنوع خلقه من المواد المتباينة
وأشأهم من الصور المختلفة والتباين العظيم بينهم فى المواد والصور والصفات والهيئات
والاشكال والطباع والقوى اقتضت حكمته أن اخذ من الارض قبضة من التراب ثم أتى عليها

الماء فصارت مثل الجأ المسنون ثم ارسل عليها الريح فجبفها حتى صارت صلصالا كالغبار
 ثم قدر لها الاعضاء والمآخذ والواصلات والرطوبات وصورها فأبدع في تصويرها واطهرها
 في احسن الاشكال وفصلها احسن تفصيل مع اتصال اجزاءها وهياكل كل جزء منها لما يراد
 منه وقدره لما خلق له على ابلغ الوجوه ففصلها في توصلها وابدع في تصويرها وتشكيلها
 والملائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها وابليس يطيف بها ويقول لامر ما خلقت فلما تكمل
 تصويرها وتشكيلها وتقدير اعضائها وواصلها وصار جسدا مصورا مشكلا كأنه ينطق
 الا انه لا روح فيه ولا حياة وارسل اليه روحه فنفتح فيه نفخة وانقلب ذلك الطين لجمادى وعظاما
 وعروقا وسمما وبصرها وشما ولها وحركة وكلاما فأول شيء بدأ به أن قال الحمد لله رب العالمين
 فقال له خالقه وبارؤه ومصوره يرحمك الله يا آدم فاعتوى جاسا أجل شيء وأحسنه منظر وأتمه
 خلقا وأبدعه صورة فقال الرب تعالى للجميع ملائكته اسجدوا لآدم فسجدوا بالعبود
 تعظيما وطاعة لامر الواحد المعبود ثم قال لهم لتأني هذه القبضة في التراب شرع ابدع مما
 ترون وجمال باطن أحسن مما تبصرون فلنزين بطنه أحسن من زينة ظاهره ولنجعله من
 أعظم آياتنا نعلمه أسماء كل شيء مما لا تحصىه الملائكة فكان التعليم زينة الباطن وجماله
 وذلك التصوير زينة الظاهر في أكل شيء وأجله صورة ومعنى كل ذلك صنعته تبارك
 وتعالى في قبضة من تراب ثم اشتق منه صورة هسي مثله في الحسن والجمال ليسكن اليها
 وتقر نفسه وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواء

فصل في ما أراد الله سبحانه أن يذر نسلهما في الارض ويكثره وضع فيهما حرارة
 الشهوة ونار الشوق والطلب أهم كلا منهما اجتماعه بصاحبه فاجتمعا على أمر قد قدر
 فاسمع الآن عجائب ما هناك ماشاء الرب تعالى أن يخرج نسخة هذا الانسان منه أودع جسده
 حرارة وصلط عليه هيجانها فصارت شهوة قابلية فاذا هاجت حرارة الجسد تحللت الرطوبات
 من جميع اجزاء الجسد وابتدأت نازلة من خلف الدماغ في عروق خلف الاذنين الى قفا
 الظهر ثم تخرج الى الكليتين ثم تجتمع في اوعية المنى بعد أن طبختها نار الشهوة وعقدتها حتى
 صار لها قوام وغلظ وقصرتها حتى ابيضت وقدر لها مجاري وطرق تنفذ فيها ثم اقتضت
 حكمته سبحانه ان قدر بخروجهما أقوى الاسباب المستفرفة لها من خارج ومن داخل
 فقبض لها صورة حسنها في عين الناظر وشوقه اليها وماق أحدهما الى الآخر بساسة الشهوة
 والمهبة فغن كل منهما الى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به يقضى الله أمر اكان مفعولا وجعل
 هذا محل الحرث وهذا محل البذر وقال أيضا والقدر ليشتمل كلا منه على صاحبه ليتلقى
 الما آن على أمر قد قدر وقدر بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة في تلك الرطوبة والفضلة
 عملها واستخراجها من تحت الشعر والبشر والظفر لتوافق لنسخة الاصل ويكون الداعي
 الى التماسل في غاية القوة فلا يقطع النسل ولهذا لا نجد في منى الاحتمام من القوة ما في منى
 الجماع وانما هو من فضلة حرارة نذيب الرطوبة لتنفذ فيها الطبيعة الى خارج من نوع تصور
 خيال بواسطة الشيطان كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة
 من الله والحلم من الشيطان فان قيل فهذا اختيار منكم لقول من قال ان المنى يخرج من

جميع اجزاء البدن وهذا وان كان قد قاله كثير من الناس فقد خالفهم آخرون وزعموا انه
 فضلة تولد من الطعام وهى من اعدل الفضلات ولهذا صلحت ان تكون مبدأ الانسان
 وهو جسم متشابه الاجزاء فى نفسه قبل القول الاول هو الصواب وبديل عليه وجوه
 منها عدم اللذة بجميع اجزاء البدن ومنها مشاكلة اعضاء الموالود لاهضاء الوالدين
 ومنها المشابهة الكفاية تدل على ان البدن كل ارسـل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة
 بحسب محل واحد فدل ان كل عضو ارسـل قسطه ونصيبه فلما انعقد وصلب ظهرت محاماته
 ومشابهته ومنها ان الامر لو كان كازعمه اصحاب المقالة الثانية من ان المني جسم واحد
 متشابه فى نفسه لم تولد منه الاعضاء المختلفة المتشكلة بالاشكال المختلفة لان القوة الواحدة
 لاتعمل فى المادة الواحدة الا فعلا واحدا فدل على ان المادة فى نفسها ليست متشابهة الاجزاء
 ومنها ان المني فضل الهضم الاخر وذلك انما يكون عند نضج الدم فى العروق وصورته
 مستعدا استعدادا تاما لان بصير من جوهر الاعضاء وكذلك عقيب استفراجه من الضعف
 اكثر مما يحصل من استفراغ امثاله من الدم ولذلك يورث الضعف فى جوهر الاعضاء
 الاصلية فدل على انه مركب من اجزاء كل منهما قريب الاستعداد لان بصير جزءه من عضو
 ولذلك سماه الله سلالة والسلالة فعالة من السل وهو ما يسيل من البدن كالبحار والبخارة كما
 سمي أصله سلالة من طين لانه استلهم من جميع الارض كما فى جامع الترمذى حديث عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض قال اصحاب القول الآخر
 وهم جمهور اطباء وغيرهم لو كان الامر كما زعمتم وأن المني يستل من جميع الاعضاء لكان اذا
 حصل مئذ كرومئذ الانثى فى الرحم تشكل الموالود تشكلا مساويا لكان الرجل لا يولد الا
 ذكرا دائما لان المني قد استل عندكم من جميع اجزائه فاذا انعقد وجب ان يكون مثله وايضا فان
 المرأة تضع من وطء الرجل فى البطن الواحد ذكرا وانثى ولا يمكن ان يقال ان ذلك بسبب اختلاف
 اجزاء المني قالوا ولا نسلم عموم اللذة لانها انما حصلت حال الاندفاع بسبب سيلان تلك المادة
 الحارة جارية على تلك الجارية الحموية التى لحنها رخوة شبيهة باللحم القريب العهد بالاندمال
 اذا سال عليه وهى معتدل السخونة وكانت اللذة انما حصلت بسبب ساكن تلك المادة لحصلت
 قبل الاندفاع قالوا وما احتجنا بكم بالمشابهة المذكورين الوالد والمولود فللمشابهة قديع الظفر
 والشعر ولبس يخرج منهما شئ وايضا فالولود قديسبه جدا بهيدان اجداده كائنت بالصحيح
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأله فقال ان امرأتى ولدت غلاما أسود قال هل لك من
 ابل قال نعم قال فألوانها قال سود قال هل فيها من أورك قال نعم قال فأتى له ذلك قال عسى ان يكون
 تزعه عرق قال وهذا عسى ان يكون تزعه عرق قالوا ولو كان فى المني من كل عضو اجزاء فلا
 تخلو تلك الاجزاء اما ان تكون موضوعة فى المني وضعها الواجب اولان تكون كذلك فان
 كانت موضوعة وضعها الواجب كان المني حيوانا صغيرا ولم يكن كذلك استهالة المشابهة
 قالوا وايضا فان المني امان يكون مركبا على تركيب هذه الاعضاء وترتيبها اولان يكون كذلك
 فالاول باطل قطعاً لان المني رطوبة سيالة لا تحفظ الموضع والترتيب وان كانت ثقيلة فتمين
 الثانى ولا بد قطعاً ان يحال ذلك الترتيب والتصوير والتشكيل على سبب آخر سوى القوة

التي في المسادة فانه اقوة سبطة لاشعور لها ولا ادراك ولا تهدي لهذه التفاصيل التي في الصورة
الانسانية بل هذا التصوير والتشكيل الى خالق عليم حكيم قد بهرت حكمته العقول ودات
آثار صنعه كما سماؤه وصفاته وتوحيده قد اعترف بذلك فاضلا الاطباء وهما بقراط وافلاطونا
واقرابان ذلك مستند الى حكمة الصانع وعنايته وأنه لم يصدر الا عن حكيم عليم قد يرذره
جالينوس عنهما في كتاب رأى بقراط وافلاطون فأبى جهلة الاطباء وزنادقة المتفلسفة
والطباة ثم بين الا كفورا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث خليفة
ابن أسيدان الله وكل بالرحم ملكا يقول يارب نطفة يارب حلقه يارب مضغة فالرزق فالاجل
فما العمل فيقضى الله ما يشاء ويكتب الملك وفي لفظ يقول الملك الذي يخلقها اى بصورها
باذن الله اى بصور خلقه في الارحام كيف شاء الله لاله الا هو العزيز الحكيم فقال أصحاب
القول الاول نحن احق بالترزية والتوحيد ومعرفة حكمة الخالق العليم وقدرته وعلوه واهمده
به منكم ومن أحال من صفاتها وزنادقتنا هذا الخلق على اقوة الصورة والاسباب الطبيعية
ولم يسندها الى فاعل مختار عالم بكل شىء قادر على كل شىء لا يكون شىء الا باذنه ومشيئته
واقوة الطبيعة خلق من مخر من خلقه وعبد من جلة عبده ايس لها تصرف ولا حركة ولا
فعل الا باذن بارئها وخالقها فذلك الذى جهل نفسه وربها ومادى الطبيعة والشريعة والرب
تعالى بخلق ما يشاء ويختار وبصور خلقه في الارحام كيف يشاء بأسباب قدرها
وحكمكم دبرها واذا شاء ان يسلب تلك الاسباب قواها سلبها واذا شاء ان يقطع سببها
قطعها واذا شاء ان يهوى لها اياها آخر تقاومها وتعارضها فعلى فانه الفاعل لما يريد
وليس فى كونه المسمى مستلا من جميع اجزاء البدن ما يخرج الحوالة على قدرته ومشيئته
وحكمته بل ذلك ابلغ فى الحكمة والقدره واما قولكم لو كان المسمى مستلا من جميع
الاهضاء لكان الولد يتشكل بشكلهما معا فقد اجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سأل
عن ذلك بما شفى وكفى فى صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه قال بلغ عبد الله بن
سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى ارض يخترق فأتاه وقال ائني
سائلك عن ثلاث لا يعلمن الا انبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة ومن
أى شىء ينزع الولد الى ابيه ومن أى شىء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخبرني بهن آتفا جبريل فقال عبد الله ذلك عدوا ليهود من الملائكة أما اشراط الساعة
فانار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما
الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقت ماؤه كان الشبه لها فقال أشهد انك رسول الله فهذا
جواب جبريل أمين رب العالمين لاجب بل الطبيب وفى صحيح مسلم من حديث ثوبان عن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا علاما الرجل ماء المرأة اذكر باذن الله واذا علاما المرأة ماء
الرجل انت باذن الله وقد يتفق المأان فى الاتزال والقدر وذلك من انذار الاشياء فيخلق للولد
ذكر كذا الرجل وفرج كفرج المرأة فاذا شاء الله ان يغلب سلاله ماء الرجل على ماء المرأة
او سلالته على سلالته أمر ملك الارحام بتصويره كذلك فان ذلك لا يخجل بحكمته ولا يخرق
مادة واوخرتها لم يخجل بحكمة احكم الحاكمين واما منكم عموم الهذة فشيبه بالكبرة والجوامع

يوجد عند الانزال شيئا قاصدا من جميع بدنه وسمعه وبصره وقواه في قالب الرحم فخص كآنه
 خلد قيص كآنه مشتمل به ولهذا اقتضت حكمة الرب تعالى في شرعه وقدره ان امره
 بالاعتسال عقيب ذلك لخصف عليه الماء ما يحول من بدنه من ماء واذا اغتسل وجد نشاطا وقوة
 وكآنه لم ينقص منه شيء فان رطوبة الماء تخلف على البدن ما حالته تلك الحركة من رطوباته
 وتعمل فيها الحرارة الاصلية عملها فتزبها القوى التي ضعفت بالانزال واما التشابه الواقع بين
 الظفر والشعر في الوالد والمولود ولم ينفصل بينهما شيء فآبردها من شبهه فان الظفر والشعر
 تابعان للاهضاء والمزاج السدي وقع فيه التشابه فاستنبع تشابه الاصل تشابه النبع واما شبه
 المولود بالجد البعيد من اجداده فهو من اقوى الادلة لسا في المسئلة لان ذلك الشبه البعيد
 لم يزل ينقل في الاصلاب حتى استقر في صورة الولد وبها حصل الشبه واما قولكم ان تلك
 الاجزاء لا تخلو اما ان تكون موضوعة في المنى وضعها الواجب اولال آخره فجو ابكم انكم
 ان عيتم انها موضوعة بالفعل فليس كذلك وان اردتم انها موضوعة بالقوة فتم وما المانع منه
 ويكون المنى حيوانا صغيرا بل كبيرا بالقوة وبهذا ظهر الجواب عن قولكم ان المنى رطوبية
 مسئلة لا تخلف في الموضوع والترتيب وضاية ما يقدر ان ذلك جزء من اجزاء السبب الذي يخلق
 الله به الولد وجزء السبب لا يستقل بالحكم فاستقل بالاجداد مشيئة الله وخدمه والاسباب
 فحال الظهور أقر الشبه

فصل في ان قيل فهذا تصريح منكم بأن المرأة منى وان منها احد الجزئين اللذين
 يخلق الله منها الولد وقد ظن طائفة من اطباء ان المرأة لا منى لها قيل هذا هو السؤال الذي
 اوردته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم سلمة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وأجابها عنه بثبات منى المرأة في الصحيح ان أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
 ان الله لا ينسى من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فقالت
 أم سلمة أو نحتلم المرأة فقال تربت بدني بمشبهها ولدها وفيها من طائفة رضي الله عنها ان أم سلمة
 رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها
 من غسل قال نعم اذا رأت الماء قالت فقلت لها ان ترى المرأة ذلك يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهل يكون الشبه الا من ذلك اذا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخوه والله اذا ماها
 الرجل ماها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنيع على ارسطو ليس حيث قال
 ان المرأة لا منى لها فلتعبر هذه المسئلة طبعها كما حررت شرعا فنقول منى الذك من جلة
 الرطوبات والفضلات التي في البدن وهذا أمر يشترك بين الذكر والانثى (١) وراسا منه تخلق
 الولد وبواسطته يكون الشبه ولو لم يكن للمرأة منى لما أشبهها ولدها ولا يقال ان الشبه سبب
 دم الطمث فانه لا يعتقد مع منى الرجل ولا ينجده فداجرى الله العادة بأن التولد لا يكون
 الا بين اصلين يتولد من بينهما ثالث ومنى الرجل وحده لا يتولد منه الولد مالم يازجه مادة
 أخرى من الانثى وقد اختلفت آراء القائلين بالآخر بذلك وقالوا لا بد من وجود مادة
 بيضاء لرجة المرأة تصير مادة لبدن الجنين ولكن نازها هل فيها قوة فائدة كفاية منى الرجل
 وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسئلة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث

(١) هكذا بالاصلا
 غير ظاهر فليصرا

ثوبان مولاه حيث سأله اليهود عن الولد فقال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا
 فعلا منى الرجل منى المرأة اذ كبر باذن الله واذا اهلا منى المرأة منى الرجل أنت باذن الله نعم لنى
 الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع فان أراد من نفى منى المرأة انتفاه ذلك
 عنها أصاب ومنى المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فان نفى ذلك عنها اخطأ
 وفي كل من المائتين فسوة فاذا انضم أحدهما الى الآخر اكتسبا قوة تالفة وهى من اسباب
 تكون الجنين واتضت حكمة الخلاق العليم سبحانه أن جعل داخل الرحم خشنا كالسفننج
 وجعل فيه طلبا للمنى وقبوله كطلب الارض الشديدة العطش للماء وقبوله الله سبحانه
 طالبا حافظا مشتاقا اليه بالعطش فلذلك اذا طفر به أمه ولم يضعه بل يشتمل عليه أم الاشمال
 وينضم أعظم انضمام لك لا يفسده الهوى فيتولى القوة والحرارة التى هناك باذن الله الملك الرحم
 اذا اشتمل على المنى ولم يقذف فيه الى خارج استدار المنى على نفسه وصار كالكرة وأخذ فى الشدة
 الى تمام ستة أيام فاذا اشتد نقط فيه نقطة فى الوسط وهو موضع القلب ونقطة فى أعلاه وهى نقطة
 الدماغ واليمين وهى نقطة الكبد ثم تنبأ عدتلك النقط ويظهر بينهما خطوط جهر الى تمام ثلاثة
 أيام آخر ثم تنفذ الدموية فى الجميع بعد ستة أيام آخر فيصير ذلك خمسة عشر يوما ويصير المجموع
 سبعة وعشرين يوما ثم يفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين
 وذلك فى تسعة أيام فتصير ستة وثلاثين يوما ثم هذا التمييز بحيث يظهر للحس ظهره - ورا
 يتا فى تمام اربعة أيام فيصير المجموع أربعين يوما بجمع خلقه وهذا مطابق لقول النبي صلى الله
 عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما واكتفى
 النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاحتمال عن التفصيل وهذا يقتضى الدم قد جمع فيها خلقها اجما خفيا
 وذلك الخلق فى ظهور خفى على التدرج ثم يكون مصنفه اربعين يوما أخرى وذلك التخليق
 يتزايد شيئا فشيئا الى ان يظهر للحس ظهور الاخفاء به كله والروح لم تتعلق به بعد فانها انما تتعلق
 به فى الاربعين الرابعة بعد مائة وعشرين كما اخبر به الصادق وذلك على الاسبيل الى معرفته
 الابالوحى اذ ليس فى الطبيعة ما يقتضيه فلذلك حار فضلاء الاطباء واذا كيا الفلاسفة فى ذلك
 وقالوا ان هذا على الاسبيل الى معرفته لا بحسب الظن البعيد قال وقف على نهايات كلامهم فى ذلك
 وآداب فيه حتى كل وهو صاحب الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال وحقيقة
 العلم فيه عند الله تعالى لا مطمع لاحد من الخلق الوقوف عليه قلت قد أوقفنا عليه الصادق
 المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بما ثبت فى الصحيحين ان خلقى احدكم بجمع فى بطن امه اربعين
 يوما ثم يكون حلقة مثل ذلك ثم يكون مضغفة مثل ذلك ثم يعث به الملك فينفخ فيه الروح
 ويؤمر بأربع يكتب رزقه وأجله وعمله وشق أو سعيد

فصل ورايت لبعض الاطباء كلاما ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره
 واذكر ما فيه قال اذا تم خلق الجنين مدة معينة فأنه اذا زاد عليها مثلها تحرك الجنين فاذا
 انضاف الى المجموع مثله انفصل الجنين قال فاذا تم خلقه فى ثلاثين يوما فاذا صار له ستون
 يوما تحرك فاذا انضاف الى الستين مثله صارت مائة وعشرين يوما وهى ستة اشهر وهى مدة
 يفصل لها الحمل واذا تم خلقه فى خمسة وثلاثين يوما تحرك لسبعين وانفصل لسبعة اشهر واذا

ثم خلفه لاربعمين تحرك لثمانين وانفصل لثمانية اشهر واذا تم خمسة واربعين تحرك لتسعين
وانفصل لتسعة اشهر وعلى هذا الحساب أبدا وهذا الذي ذكره هذا القائل يقتضى حركة
الجنين قبل الاربعين وهذا خطأ قطعاً فان الروح إنما تنطق به بعد الاربعين الثالثة وحينئذ
يتحرك فلان ثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوماً ومائة در من حركة قبل ذلك فليست
حركة ذاتية اختيارية بل لها حركة ماضية بسبب الاغشية والرطوبات وما ذكره من
الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة فربما زاد على ذلك أو نقص منه ولكن الذى
نقطع به ان الروح لا تنطق به الا بعد الاربعين الثالث ومائة در من حركة قبل ذلك
ان صحت لم تكن بسبب الروح والله اعلم

﴿ فصل ﴾ وأما أقل مدة الحمل فقد تظاهرت الشريعة والطبيعة على أنها ستة اشهر قال
نعمانى وحله ونصاه ثلاثون شهرا وقال نعمالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
لمن أراد أن يرضع الرضاعة وقال جالينوس كنت شديد التحصن عن مقادير أزمانه الحمل فرأيت
امراة واحدة ولدت فى مائة واربع وثمانين ليلة وزعم صاحب الشفاء أنه شاهد ذلك وأما
أكثره فقال فى الشفاء بلغنى من حيث وثقت أن امرأة وضعت بعد الرابع من رأس
الحمل ولدا قد نبت احسنه وحاش

﴿ فصل ﴾ فان قيل فاسبب الاذكار والابنات قبل الذى نختاره أنه يبيد مشيئة الرب
الفاعل باختياره وليس بسبب طبيعى وكل ما ذكره اصحاب الطبائع من الاسباب فمستغنى مثل
حرارة الرجل ورطوبته قالوا فساد المزاج أيضا يوجب ابلاذ الاناث واستقامته يوجب
الاذكار وهذا تخليط وهذيان فليس للاذكار والابنات الا قول الله لملك الارحام وقد
استأذن يارب ذكر يارب انى يارب شقى أم سعيد فانه الرزق فى الاجل والاذكار والابنات
قرب السعادة والشقاوة والرزق والاجل فان قيل ذلك أيضا بأسباب قلنا نعم ولكن بأسباب
بعد الولادة ولا سبب للاذكار والابنات قبل الولادة فان قيل فاصنعون بحديث ثوبان
الذى رواه مسلم فى صحيحه أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الولد فقال ماء
الرجل ايضاً وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذكر باذن الله واذا هلا
منى المرأة منى الرجل أنت باذن الله فقال اليهودى صدقت وانك لنبى قبل هذا الحديث تفرد
به مسلم فى صحيحه وقد تكلم فيه بعضهم وقال الظاهر ان الحديث وهم فيه بعض الرواة واذا
كان السؤال عن الشبه وهو الذى سأله عبدالله بن سلام فى الحديث المنفق على صحته
فأجابه بسبق الماء فان الشبه يكون لسابق فلعلى بعض الرواة انقلب عليه شبه الولد
بالمرأة بكونه أنثى وشبهه بالولد لكونه لاسمياً والشبه التام انما هو بذلك وقالت طائفة الحديث
صحيح لا مطعن فى سنده ولا منافية بينه وبين حديث عبدالله بن سلام وليست الواقعة
واحدة بل هما قضيتان ورواية كل منهما غير رواية الاخرى وفى حديث ثوبان قصته
ضبطت وحفظت قال ثوبان كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من
احبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لى لم تدفعنى فقلت
الاتقوا يا رسول الله فقال اليهودى انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان اسمى محمدا الذي سماني به اهل فقال اليهودى جئت اسمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلغك ان حدثتك قال اسمع باذني فتكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود معه فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجمر قال فمن اول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما نجتهم حتى يدخلوا الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فماذا هم على اثرها قال يضرهم ثور الجنة الذي يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها نعى سلسبيل قال صدقت قال وجئت اسمك عن شئ لا يعلمه احد الا نبي اورجل اورجلان قال اينفعك ان حدثتك قال اسمع باذني قال جئت اسمك عن الولد قال ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذ كبر باذن الله واذا علا منى المرأة منى الرجل انت باذن الله قال اليهودى لقد صدقت وانك لنبي ثم انصرف فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا الذي سألتني عنه ومالى علم به حتى أتاني به الله واما حديث عبدالله بن سلام رضى الله عنه ففي صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى ابيه ومن أى شئ ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني آنفا جبريل فقال عبدالله ذلك عدو اليهود من الملائكة فقال اما اول اشراط الساعة فانرا نحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا فشى المرأة فشبها ماؤه كان الشبه له واذ سبقت كان الشبه لها قال اشهد أنك رسول الله وذكرا الحديث فتضمن الحديثان امرين ترتب عليهما الاثران معا وبهما انفرد ترتب عليه اثره فاذا سبق ماء الرجل وعلا ذكر وكان الشبه له وان سبق ماء المرأة وعلا انت وكان الشبه لها وان سبق ماء المرأة وعلا ما الرجل اذ كرو كان الشبه لها ومع هذا كانه هذا جزء سبب ليس بموجب السبب الموجب مشيئة الله قال فقد بسبب شبيه السبب وقد ترتب على ضده مقنضاه ولا يكون في ذلك مخالفة لحكمته كما لا يكون تعبير القدرة وقد اشار في الحديث الى هذا بقوله اذ كرو وانت باذن الله وقد قال تعالى لله ملك السموات والارض يخلف ما يشاء بهب لمن يشاء انا وبهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا نا وانا وبجعل من يشاء عقيما انه عليهم قدبر فأخبر سبحانه ان ذلك طائد الى مشيئته وأنه قد بهب الذكور فقط والاناث فقط وقد يجمع لوالدين بين النوعين معا وقد يتخلبها عنهما معا وان ذلك كما هو راجع الى مشيئته فهو متعلق بعلمه وقدرته وقد وهب الله آدم الذكور والاناث وامر ايل الذكور دون الاناث ومحمد الاناث دون الذكور سوى ولده ابراهيم (٢) وقال سليمان عليه السلام لا طوفن الالة على سبعين امرأة تأتي كل امرأة نهنن بغلام يقاتل في سبيل الله فطاف عليهم فلم تلد منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق ولد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجعون فدل على أن مجرد الوطء ليس بسبب تام وكان له مدخل في السببية وان السبب التام

لعله سوى بيه الذكور
سا القاسم وعبد الله
طيب و ابراهيم

مشيئة الله وحده فهو رب الاسباب المتصرف فيها كيف شاء باعطاءها السببية اذا شاء ومنعها
 ايها اذا شاء وترتيب ضد مقتضاها عليها اذا شاء والاسباب هي مجرى الشرع والقدر
 فعلية يجرى امر الله الكوني والدني فان قيل فقد ظهر ان الولد مخلوق من المائتين جيبها
 فهل يخلق منها على حد سواء أم يكون بعض الولد من ماء الاب وبعضه من ماء الام قيل
 قديين النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسئلة بأوضح البيان فقال الامام اجد في مسنده
 حدثنا حسين بن الحسن حدثنا ابو كريب عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن
 عن ابيه عن عبد الله قال مر بهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث اصحابه
 فقالت قريش يا هودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لا سألته عن شيء لا يعلمه الا نبي فبما حتى
 جالس ثم قال يا محمد يخلق الانسان فقال من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما
 نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم
 والدم فقال اليهودي فقال هكذا يقول من قبلك

فصل في خلق الجنين بطن امه اربعين يوماً يكون حلقة مثل ذلك ثم يكون مضفة مثل ذلك
 ويتم ان كلام اطباء لا ينقض ما خرج به الوحي من ذلك فانصنعون بحديث حذيفة بن
 اسيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك في النطفة بعدما
 تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول
 أي رب ذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمه وأثره وأجله ورزقه ثم الصحيفة فلا يزداد فيها
 ولا ينقص قيل ثلثة ما بالقبول والتصديق وترك التحريف ولا ينافي ما ذكرناه اذ غاية ما فيه
 ان التقدير وقع بعد الاربعين الاولى وحديث ابن مسعود وبديل على أنه وقع بعد الاربعين
 الثالثة وكلاهما حتى قاله هذا تقدير بعد تقدير فالاول تقدير عند انتقال النطفة الى اول اطوار
 الخلق التي هي اول مراتب الانسان وما قبل ذلك فلم يتعلق بها الخلق والتقدير الثاني
 تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح فذلك تقدير عند اول خلقه وتصوره وهذا هو تقدير عند
 تمام خلقه وتصوره وهذا احسن من جواب من قال ان المراد بهذه الاربعين التي في حديث
 حذيفة الاربعين الثالثة وهذا بعيد جداً من لفظ الحديث ولنظنه بأبواب كل الاباء فتأمله فان قيل
 فانصنعون بحديثه الآخر الذي في صحيح مسلم عن طاهر بن وائلة انه سمع عبد الله بن مسعود
 رضي الله عنه يقول الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من وعظ بغيره فأني رجلا من
 اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول له حذيفة بن اسيد الغفاري فعدته بذلك من قول
 ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل اتعجب من ذلك فاني سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا
 فنصورها وخلق سمها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذ كر امني فيقضي
 ربك ما يشاء ويكتب الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على امره ولا ينقص وفي لفظ آخر في الصحيح
 ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذني هاتين يقول ان النطفة تقع في الرحم اربعين
 ليلة ثم يسور عليها الملك الذي يخلقها فيقول يارب اذ كر امني اسوي ام غير سوي فعمله

الله سوا وغير سوى ثم يقول يا رب مارزقه وما اجله وما خلقه ثم يجعله الله عز وجل شقيا او سعيدا
وفي لفظ آخر في الصحيح ايضا ان ملكا موكلا بالرحم اذا اراد الله ان يخلق شيئا باذن الله ليضع
واربعين ليلة ثم ذكر نحوه قبل تلقاه ايضا بالتصديق والقبول وترك التحريف وهذا وافق ما جع
عليه الاطباء ان مبدء الخلق والتصوير بعد الاربعين فان قيل فكيف التوفيق بين هذا وبين
حديث ابن مسعود وهو صريح في ان النطفة اربعين يوما نطفة ثم اربعين حلقة ثم اربعين مضغة
ومعلوم ان الحلقة والمضغة لا صورة فيها ولا جلد ولا لحم ولا عظم وليس بنا حاجة الى التوفيق
بين حديثه هذا وبين قول الاطباء فان قول النبي صلى الله عليه وسلم معصوم وقوله عرضة الخطأ
ولكن الحاجة الى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم قبل لاتنا في بين الحديثين
بمحمد الله وكلامه خارج من مشكاة صادقة معصومة وقد ظن طائفة ان التصوير في حديث
حذيفة انما هو بعد الاربعين الثالثة قالوا واكثر ما فيه التعقيب بالفاء وتعقيب كل شيء بحسبه
وقد قال تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة بل قد قال تعالى فخلقنا
النطفة حلقة فخلقنا الحلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما وهذا تعقيب
بموجب ما يصلح له المحل ولا يلزم ان يكون الثاني عقيب الاول وتعقيب اتصال وظن طائفة
أخرى ان التصوير والخلق الذي في حديث حذيفة وهو في التقدير والعلم والذي في حديث
ابن مسعود وهو في الوجود الخارجي والصواب يدل على الحد ما دل عليه الحديث من
ان ذلك في الاربعين الثانية ولكن هنا تصوير ان أحدهما تصوير خفي لا يظهر المسر وهو تصوير
تقديري كما تصور من تفصل الثواب أو تجز الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها
ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لاسماء بل هذه الصورة
ينشأ فيها التصوير والخلق على التدرج شيئا بعد شيء لاوهلة واحدة كما يشاهد بالعبان في
خلق الظاهر في البيضة فهنا أربع مراتب أحدها تصوير وتخلق على لم يخرج الى الخارج
الثانية مبدء تصوير خفي يعجز الحس عن ادراكه الثالثة تصوير يتاله الحس ولكنه لم يتم
بعد الرابعة تمام التصوير الذي ليس بعده الاتفخ الروح فالرتبة الاولى حلقة والثلاث الاخر
خارجية هيئية وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير فالرب تعالى قدر
مقادير الخلاق تقديرا ما قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وهنا كتب
السعادة والشقاوة والاعمال والارزاق والآجال الثاني تقدير بعد هذا وهو اخص منه
وهو التقدير الواقع عند القبضين حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بيئته وقال هؤلاء
للجنة ويعمل اهل الجنة يعملون وقبض أهل الشقاوة باليد الاخرى وقال هؤلاء للنار ويعمل
اهل النار يعملون الثالث تقدير بعد هذا وهو اخص منه عندما يمضي به في حديث حذيفة بن
اسيد المذكور الرابع تقدير آخر بعد هذا وهو عند ما يتم خلقه وينفخ فيه الروح كما صرح به
الذي قبله وهذا يدل على سعة علم الرب تبارك وتعالى واحاطته بالكليات والجزئيات وكذلك
التصوير الثاني مطابق لتصوير العمل والثالث مطابق للثاني والرابع مطابق للثالث وهذا
مما يدل على كمال قدرة الرب تعالى ومطابقة مقدور المعلومه فتبارك الله رب العالمين وأحسن
الخالقين ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل المخلوقات ثم كتابة ما يكون من العام الى العام

في ليلة القدر وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها وتنوع وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدرق بعينه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويطابق الواقع في الوجود ولا يخالفه وانما يجبر بما لا يستعمل الحس والعقل بادراكه لا بما يخالف الحس والعقل وانما يعرفه الناس ويستقلون بادراكه على أمر عيني يتعلق به الايمان أو على حكم شرعي يتعلق به التكليف والله اعلم

فصل في قول قيل أي عضو يتخلى أو لا قبل سائر الاعضاء قيل اختلف في ذلك على اربعة اقوال أحدها انه القلب وهو قول الاكثرين والثاني انه الدماغ والعينان وهو قول بقراط والثالث الكبد وهو قول محمد بن زكريا والرابع انه المرءة وهو قول جماعة من الالطباء قال اصحاب القلب لا شك ان في المنى قوة روحية بسبب تلك القوة سعد ان يكون انسانا وحاجته الى الروح الذي هو مادة القوى أشد فلا بد ان يكون لذلك الروح فجمع خاص منه ينبعث الى سائر الاعضاء فالجوهر الروحي أول شيء ينهر من المنى ويجمع في موضع واحد ويحيط به ما يتصل اليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب فيجب أن يكون مجمها هو الوسط وسائر الاجزاء يحيط به وذلك الكبد هو القلب قالوا ولان تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزية الذي بها البدن لا بد أن يتقدم على العضو الذي يمنع القوة الفاذية التي بها ينمو وهو الكبد قالوا لان فعال القوى انما تتم بالروح وهي لا بد لها من متعلق تتعلق به ولا بد ان يتقدم متعلقها عليها وهو القلب قالوا وهذا هو الاثني والاثني بحكمة الرب تعالى فان القلب ملك والاعضاء جنوده وخدمه فاذا صلح القلب صلحت جنوده واذا فسدت فسدت وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الى ما يرشد الى ذلك فقال ان في الجسد مصفنة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد الا وهي القلب فاولى بهذه المصفنة ان تكون متقدمة في وجودها على سائر الاعضاء وسائر اجزاها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد قالوا وقد شاهد اصحاب التشريح في المنى عند انعقاد نطفة في وسطه قال اصحاب الدماغ شاهدنا الفراخ في البيض أول ما يتكون منها رأسها وسنة الله في بروز الجنين أول ما يبدو منه الى الوجود رأسه قال اصحاب الكبد لما كان المنى محتاجا الى قوة فاذية تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن ان تكون الاعضاء فيه كان أول الاعضاء واسبقها اليه وهو محل القوة الفاذية وهو الكبد قال اصحاب المرءة حاجتها الجنين الى جذب الغذاء أشد من حاجته الى الاقوات وادراكه ومن المرءة يجذب الغذاء واولى هذه الاقوال القول الاول وهو بيت القلب ومنزله وشرفه ومجمله الذي وضعه الله به يقتضى انه المبدوء به قبل سائر الاعضاء المقدم عليها بالوجود والله اعلم

فصل في قول قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة واحساس ام لا قيل كان فيه حركة النمو واغتذاء كالنبات ولم يكن له حركة نموه واغتذائه والارادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسبه وارادته الى حركة نموه واغتذائه فان قيل قد ثبت ان الولد يتخلق من ماء الابوين فهل يتمازجان ويختلطان حتى يصيرا ماء واحدا أو يكون أحدهما هو المادة والاخر بمنزلة النعمة التي تفسده قيل هو موضع اختلف فيه ارباب الطبيعة فقالت طائفة منهم منى الاب لا يكون جزءا من الجنين وانما هو مادة الروح السارى في الاعضاء واجزاء البدن كلها منى الالم ومنهم من قال بل هو ينقسم من

منى الاثنى ثم يفصل ويفسد قالوا ولهذا كان الولد جزءاً من أمه ولهذا جاءت الشريعة بتبعيته
 له في الحرية والرق قالوا ولهذا لو ترى فعل رجل عابرة آخر فأولدها قالوا ولد ذلك
 الام دون مالك الفصل لانه يتكون من اجزائها واحشاؤها ولحمها ودمها وماء الاب بمنزلة الماء
 الذي يسقى الارض قالوا والحس يشهد ان الاجزاء الذي في المواد من أمه اضعاف اضعاف
 الاجزاء الذي فيه من أبيه مثبت ان تكوينه من منى الام ودم الطمث ومنى الاب طاقده
 كالانثى ونازعهم الجمهور وقالوا انه يتكون من منى الرجل والاثنى ثم لهم قولان
 أحدهما ان يكون من منى الذكر اعضاءه واجزؤه ومن منى الاثنى صورته والثاني ان
 الاعضاء والاجزاء والصورة تكونت من مجموع المائتين وانهما امتزجا واختلطتا وصارا
 ماء واحدا وهذا هو الصواب لاننا نجد الصورة والتشكيل نارة الى الاب ونارة الى الام
 والله أعلم وقد دل على هذا قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى والاصل
 هو الذكر منه البذر ومنه السقي والاثنى وماء ومستودع اولده تربيته في بطنها كما تربيته في
 جرحها ولهذا كان الولد للاب حكما ونسبا وأما تبعيته للام في الحرية والرق فلانه انما يتكون
 وصار ولدا في بطنها وغذته لبانها مع الجزء الذي فيه منها وكان الاب أحق بنسبه وتخصيه
 لانه أصله ومادته ونسخته وكان اشرفهما ديناً اولى به تغلبا لدين الله وشرعه فان قيل
 فهل اطر دنم هذا وقلم لوسق بذر رجل في ارض آخر ويكون الررع لصاحب الارض دون
 مالك البذر قبل الفرق بينهما ان البذر مال متقوم في ارض آخر فهو ملكه وعليه اجرة
 الارض اوهو بينهما بخلاف المنى فانه ليس بالله ولهذا نهى الشارع عن المعاوضة وانفق
 الفقهاء على ان الفصل لوزاعلى ومكة اكان الولد لصاحب الرمكة

فصل فان قيل فهل يتكون الجنين من مائتين وواثنين قبل هذه مسئلة شرعية
 كونه والشرع فيها تابع للتكوين وقد اختلف فيها شرعاً وقد اختلفت ذلك طائفة واتبه
 كل الآباء وقالت الماء اذا امتقر في الرحم اشتمل عليه وانضم غاية الانضمام بحيث لا يبقى فيه
 مقدار رسم رأس ابرة والافسد فلا يمكن افتتاحه بعد ذلك ماء نال من الواطئ والامن غيره
 قالوا بهذا اجري الله العادة ان الولد لا يكون الا للاب واحد كما لا يكون الام الا واحدة وهذا هو
 مذهب الشافعي وقالت طائفة بل يخلق من ماء ما كثر قالوا وانضمام الرحم واشتماله على الماء
 لا يمنع قبوله الماء الثاني فان الرحم اشفق شئ واقبله لمنى قالوا ومثال ذلك كمثل المعدة فان
 الطعام اذا امتقر فيها انضمت عليه غاية الانضمام فاذا ورد عليها طعام فوفا انفتحت له لشوقها
 اليه قالوا وقد شهد به ذلك القائل بين بدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 في ولادته ما اثنان فنظر اليهما واليه وقال ما اراهما الا اشتراكا فيه فواقفه عمر وألحقه بهما
 وواقفه على ذلك الامام احمد ومالك رضى الله عنهما قالوا والحس يشهد بذلك كما ترى في
 جرو الكلبة والسنور تأتي بها مختلفة الالوان تعدد آباءها وقد قال النبي صلى الله عليه
 وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقى ماءه زرع غيره يريد بوط الحمل من غير
 الواطئ قال الامام احمد الوط يزيدي في سمع الولد وبصره هذا بعد انقضاءه وعلى هذا مسئلة
 فقهية وهي لو احبل غيره بشكاح اوز في ثم ملكها هل تصير أم ولد فيها اربعة اقوال

وهي روايات عن الامام أحمد احدى التصيرام ولد لانه لم تعلق بالولد في ملكه والثاني تصيرام ولد لانها وضعت في ملكه والثالث ان وضعت في ملكه صارت ام ولد وان وضعت قبل ان يملكها لم تصر لان الوضع والاجال كان في غير ملكه والرابع ان وطئها بعد ان ملكها صارت ام ولد والادلان الوطء يزيد في خلقه الولد كما قال الامام أحمد الوطء يزيد في سمع الولد وبصره وهذا راجح الاقوال وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر على امرأة تنحج على باب فسطاط فقال لعن سيدها يريد ان يلم بها لقد هممت ان اعنه لعنة تدخل معه في قبره كيف يورثه وهو لا يحل له والحج الحامل المقرب وقوله كيف يورثه اي يجعل له تركة موروثه عنه لانه عبده ولا يحل له ذلك لانه قد صار فيه جزء من اجزائه بوطئه وكيف يجعله عبده ولا يحل له لذلك فهذا دليل على ان وطء الحامل اذ وطئت كثيرا جاء الولد جبالا مثلثا واذا هجر وطئها جاء الولد منبلا ضعيفا فهذه اسرار شرعية موافقة للاسرار الطبيعية مبنية عليها والله اعلم فان قيل فهل يمكن ان يخلق من الماء ولدان في بطن واحد قبل هذه مسألة التوأم وهو ممكن بل وقع له اسباب أحدها كثرة المنى فيقبض الى بطن الرحم دفعات والرحم يعرض له عند الحركة الجارية للمنى حركات اختلاجية مختلفة فربما اتفق ان كان الجاذب لدفعة الاولى من المنى احد جانبيه والثانية الجانب الآخر ومنه ان بيت الاولاد في الرحم فيه نجس او يفتك من المنى كثيرا فيفعل عن احدها فضلة يشتمل عليها النجس الثاني وهكذا الثالث قال ارسطو وقد يعيش للمرأة خمسة اولاد في بطن واحد وحكي عن امرأة انها وضعت في اربع بطون عشرين ولدا قال صاحب القانون سمعت يجرجان ان امرأة امقطت كيسا فيه سبعون صورة صغيرة جدا قال ارسطو واذا توأمت بذكرياتني فقل ماتسلم الوالدة والمولود واذا توأمت بذكرياتني بين نسلم كثيرا قال والمرأة قد تنجب على الجبل ولكن يهلك الاول في الاكثر فقد امقطت امرأة واحدة اثني عشر جنينا جلا على جبل واما اذا كان الحمل واحدا او بعد وضع الاول فقد يعيشان والله اعلم فان قيل فما السبب المانع للعامل من الحيض غالباً قال الامام أحمد وابو حنيفة انما تراه من الدم يسكون دم فساد لحيض والشا فحى وان قال انه دم حيض وهو احدى الروايتين عن عائشة فلا ريب انه نادر بالاضافة الى الاغلب قيل دم الطمث ينقسم ثلاثة اقسام قسم ينصرف الى غذاء الجنين وقسم يصعد الى البدن وقسم يهبط الى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفس وربما كانت مادة الدم قوية وهو كثير فيخرج بعضه لقوته وكثرته وراجع من الدليل انه حيض حكمه حكمه اذ ليس هناك دليل عقلي ولا شرعي يمنع من كونه حيضا واستيفاء الادلة من الجنين فقد ذكرناه في مواضع اخر والله اعلم فان قيل فما السبب في ان النساء الحبال يشتمن في الشهر الثاني والثالث الى تناول الاشياء الغريبة التي لا يعتد بها طبسا حين قيل ان دم الطمث لما احتبس فيهن بحكمة قدرها الله وهي ان صرفه غذاء لولد ومقدار ما يحتاج اليه يسيرا فتدفعه الطبيعة الصحبة الى ثم المعدة فيحدث لهن شهوة تلك الاشياء الغريبة فان قيل فكيف وضع الجنين في بطن أمه قائما او قاعدا او مضطجعا قبل هو معتمد بوجهه على رجليه

وبراحته على ركبته ورجلاه مضومة الى قدميه ووجهه الى ظهره وهذا من العناية
 الالهية ان اجلسه هذه الجلسة في المكان الضيق في الرحم على هذا الشكل وايضا فلو كان
 رأسه الى أسفل لوقع ثقل الاعضاء الخسيسة على الاعضاء الشريفة وأدى ذلك الى تلفه
 ولانه عند محاولة الخروج اذا انقلب أماته على الخروج فانه اذا خرج أول ما يخرج منه
 رأسه لان الرأس اذا خرج أولا كان خروج سائر الاعضاء بعده سهلا ولو خرج على غير
 هذا الوجه لكان فيه تعويق وعسر فان الرجلين لو خرجتا أولا وانعاق خروج الباقي
 فانه ان خرجت الرجل الواحدة أولا انعاق عند الثانية وان خرجتا معا انعاق عند اليدين
 وان خرجت الرجلان واليدان انعاق عند الرأس فكان يلتوى الى خلف وتلتوى السرة
 الى العنق فيألم الرحم ويضعف الخروج ويؤدي الى مرضه أو تلفه فان قبل فاسبب الاجهاض
 الذي يعمونه الطرح قبل كمال الولد قيل الجنين في البطن بمنزلة الثمرة في الشجرة وكل منهما
 له اتصال قوى بالأم ولهذا يضعف قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة وتحتاج الى قوة فاذا
 بلغت الثمرة نهايتها سهل قطعها وربما سقطت بنفسها وذلك لان تلك الرباطات والعروق
 التي تمدها من الشجرة كانت في غاية القوة والغذاء آخر رجوع ذلك الغذاء الى تلك الشجرة
 ضعفت تلك الربوبات والجاري وساعدها ثقل الثمرة فسهل أخذها وكذلك الامر في الجنين
 فانه مادام في البطن قبل كماله واستحكامه فان رطوبانه وأغشيته تكون مانعة له من السقوط
 فاذا تم وكل ضعفت تلك الربوبات وانتهكت الأغشية واجتمعت تلك الربوبات المزلقة
 فسقط الجنين هذا الامر الطبيعي الجاري على استقامة الطبيعة وسلامتها وأما السقوط
 قبل ذلك فلفساد في الجنين وفساد في طبيعة الام أو ضعف الطبيعة كما تسقط الثمرة قبل
 ادراكها لفساد يعرض أو لضعف الاصل أو لفساد يعرض من خارج فأسقط الجنين السبب
 من هذه الاسباب الثلاثة فالآفات التي تصيب الاجنة بمنزلة الآفات التي تصيب الثمار
 فان قيل فكيف الرحم مع ضيقه يخرج منه ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة قيل هذا
 من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيئته فان الرحم لا بد أن ينفتح
 الافتتاح العظيم جدا قال غير واحد من العقلاء ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة
 ثم تلتئم بسرعة أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء وحذاقهم بذلك وقالوا
 لا يكون ذلك الا بعناية الهية وتدبير تعجز العقول عن ادراكه وتقر للخلاق العظيم بكمال الربوبية
 والقدرة فان قيل فما السبب في بكاء الصبي حالة خروجه الى هذه الدار قيل ههنا سببان
 سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق ليعرفه الأطباء وسبب ظاهره أما السبب الباطن فان
 الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطانا فشيطان المولود قد خنس
 ينتظر خروجه ليقارنه ويتوكل به فاذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته
 فصرق عليه وتغيظا واستبالا له بالعداوة التي كانت بين الابوين قديما فيبكي المولود
 من تلك الطعنة واو آمن زنادقة الأطباء والطبائعين بالله ورسوله لم يجحدوا عندهم
 ما يبطل ذلك ولا يردده وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صباح المولود حين يقع نزعته من الشيطان وفي الصحبين من حديثه أيضا

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام من مولود يولد لأبوانه الشيطان فيستهل
 صارخا من نحمسه الا ابن مريم وأمه وفي لفظ آخر عيسى بن آدم عيسى الشيطان يوم ولدته الامريم وابنها وفي لفظ
 الشيطان اياه وفي لفظ آخر كل بني آدم عيسى الشيطان يوم ولدته الامريم وابنها وفي لفظ
 البخاري كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب بطعن
 فطعن في الجنب والسبب الظاهر الذي لا يخبر الرسل بأمثاله برخصه عن الناس ومعرفة لهم
 من غيرهم هو مفارقتهم للمألوف والعادة التي كان فيها الى امر غريب فانه ينتقل من جسم
 حار الى هواء بارد ومكان لم يألفه يستوحش من مفارقتهم وطنه ومألفه وعند أرباب الاشارات
 ان بكاءه ارهاص بين يدي ما يلاقه من الشدائد والآلام والمخاوف وأنشد في ذلك
 ويبي بها المولود حتى كأنه * بكل الذي يلقاه فيها يهدد
 والانس يبكيه فيها وانها * لاوسع مما كان فيه وارعد
 ولهم نظير هذه الاشارة في قبض كفه عند خروجه الى الدنيا وفي فمها عند خروجه منها
 وهو الاشارة الى أنه خرج مركبا على الحرص والطمع وفارقها صفر اليدين منها وأنشد في ذلك
 وفي قبض كف المرء عند ولاده * دليل على الحرص الذي هو مالكة
 وفي فمها عند الممات اشارة * الى فرقة المال الذي هو ناركة
 ولهم نظير هذه الاشارة في بكاء الطفل وضحك من حوله أن الامر سيبدل وبصير الى ما يبكي من
 حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته وأنشد في ذلك
 ولدتك اذ ولدتك أمك باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
 فاعل لعلك ان تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا
 ونظير هذه الاشارة أيضا قولهم ان المولود حين ينفصل يديه الى فيه اشارة الى تعجيل
 نزوله عند القوم عليه بأنه ضعيف من تمام اكرامه تعجيل قراء فأشار بلسان الحال الى ترك
 التأخير ورجم اصبعه اشارة الى نهاية فقره وأنه بلغ منه الى مص الاصابع ومنه قول
 الناس لمن بلغ به الفقر فاينه فهو يمص اصابعه وأنشد في ذلك
 ويهوى الى فيه يمص بناه * يطالب بالتعجيل خوف التناهل
 ويعلمهم أني فقير وليس لي * من القوت شي غير مص الا ناهل
 ونظير هذه الاشارة أنه يحدث بالعجب ممن يظهر من الحدث
 ويحدث بين الحاضرين اشارة * الى أنه من حادث ليس بعصم
 يقول وعندى بعد اخواتها * وما منكم الا ودوا العرش ارحم
 ونظير هذه الاشارة ان يضحك بعد الاربعين وذلك عند ما يتعقل نفسه الناطقة ويدركها
 وفي ذلك قصاص من البكاء الذي اصابه وعند ولادته وتأخر بعده لحي يتأسى العبد اذا اصابته
 شدة فالفرج كام يطلبها في أثرها
 ويضحك بعد الاربعين اشارة * الى فرج وافاه بعد الشدائد
 يقول هي الدنيا فتبكيك مرة * وتضحك أخرى فاصطبر له رائد
 قالوا ويرى المنى بعد سنين يومان ولادته ولكنه ينساها لضيق القوة الحافظة وكثرة الرطوبات

وفي ذلك لطف به أيضا لضعف قلبه عن التفكير فيما يراه

ويرى بين القلب اذياً ثلث له * ستون يوماً رؤية الاحلام

لكنه ينساها بعد اضعفها * عن ضبطه في بقظة و منام

فصل وما تكامل لئلا ينفذها أربعون يوماً فاستحكم نضجها وعقدتها حرارة الرحم استعدت لحالة هي أكل من الأولى وهي الدم الجامد الذي يشبه العلكة ويقبل الصورة وينخفض بانفعاها وقاسك اجزائها فاذا تم لها أربعون استعدت لحالة هي أكل من الخاتين قبلها وهي صيرورتها لخالص من العلكة وأقوى وأحفظ والمخ المودع فيها اللحم هو كسوتها والرباطات تمسك اجزاءه وتشد بعضها ببعض والكبد الذي يأخذ صفو الغذاء فيرسله الى سائر الاعضاء والى الشعر والظفر والامعاء الذي هي مجارى وصول الطعام والشراب الى المعدة والعروق التي هي مجارى تنفذه وايصاله الى سائر اجزاء البدن والمعدة التي هي خزانة الطعام والشراب وحافظته لمستحقه والقلب الذي هو سبع الحرارة ومعدن الحياة والمستولى على ملكة البدن والرئة التي تروح عن البدن وتفيد الهواء البارد الذي به حياته واللسان الذي هو ريد القلب وزجائه ورسوله والسمع الذي هو صاحب اخباره والبصر الذي هو طليعته ورائده والكاشف له عما يريد كشفه والاعضاء التي هي خدمه وخوله والرجلان تسمى في مصالحه واليديطش في حوائجه والاسنان تفصل قوته وتقطعها والعروق توصله الى اربابه والذكر آلة نسله وأنثياه خزانة مادة النسل والكبد لغذاء وقمته وهي الحيوان بمنزلة شرس الشجر والنبات تجذب الغذاء وترسله الى جميع الاجزاء وآلات الغذاء خدم لها والقلب للارواح التي بها حيات الحيوان وآلات النفس خدم لها والدماغ معدن الحس والتصور والحواس خدم له والانتيان معدن التناسل والذكر خدم له وهذه الاعضاء هي رأس أعضاء البدن

فصل وأما آلات الغذاء فتلاثة أقسام آلة تقبل الغذاء وتصلحه وتفرقه وترسله الى جميع البدن وآلة تقبل فضلاته وآلة تعين في اخراج نقله ومالا منقعة في بقائه فالآلات القابلة فهي الفم والمرى والبطن والكبد والعروق الموصلة الى الكبد والعروق الموصلة منها الى البدن

فصل وأما الآلات القابلة للفضلات فالمرارة تقبل ما لطف منه والطحال يقبل كثيفه والكلى والمثانة يقبلان المتوسط والكبد موضوعة في الجانب الايمن وتأخذ يسيراً للجانب الايسر وهذه الحكمة بديمة وهي أن القلب في الجانب الايسر أقرب وهو معدن الحار الفريزي فيجذب عنه الكبد قليلاً لئلا يتأذى بحرارتها وجعل في أوعية الغذاء قوى خادمة له فائق مع كونه يقطع الغذاء ويطحنه بحوله ويغيره والمرى مع كونه منفذاً الى المعدة يغيره تغييراً ثانياً والمعدة مع كونها خزانة حافظة له تنضجه وتطبخه وتغيره تغييراً ثالثاً وتهضمه وتبقى منه ما يصلح وتخرجه وتدفعه الى مخرج النفل فان الطعام اذا استقر في المعدة اشتعلت عليه وانضمت فاية الانضمام ثم انضجته بحرارتها ثم يتولاه الكبد وتشتعل عليه وتقلبه دماً خالصاً ثم تقسمه على جميع الاعضاء فسمت عدل لا جور فيها ولا حيف ولما كانت المعدة

حوض البدن الذي يرده أجزاء البدن من كل ناحية اقتضت الحكمة الالهية جعلها في وسطه وخالص الغذاء يتأدى الى الكبد من شعب كثيرة ويجتمع في موضع واحد واسع يسمى باب الكبد وجمع العروق التي تنصل بالمعدة والامعاء والطحال تسجعم وترتقي الى باب الكبد والمعدة تجذب الموافق ويبقى المخالف المنافي الذي عجزت قوتها عنه ثم ان الكبد تصفيه وتقيه بعد اجتذابه مرة أخرى وتبقى منه غير الموافق وقد أعد الصانع الحكيم سبحانه لتقية الدم من الكبد ثلاثة خدام فآرهم قأمين بالمرصاد بلا كسل ولا تور وقد وضع كل منها في المكان اللائق به ونصبه نصبة بها يكون امكن من عمله ولما استقر الغذاء في المعدة وطبخته وانضجته صارت فضلائه ثلاثة فضلة كالدري الراسب وفضلة كالرغوة والزبد الطافي وفضلة مائة فيجعل كل خادم من هذه الخدام الثلاثة على فضلة لا يتعداها الى الاخرى ليهذبها من مجرى خادم الفضلة الخفيفة الطافية وهي المصفرة المرارة نصبها الرب تعالى فوق الكبد لان المجتذب هو الفضلة الطافية ومكانها فوق مكان الدري الراسب وخادم الفضلة التي هي كالدري الراسب الطحال ونصبه الخلاق العظيم اسفل من باب الكبد حيث كان ما يجتذبه من سفلى ولم يكن في الجانب الايمن لان المعدة قد شغلت ذلك الجانب وكان الجانب الايسر خاليا فلم تعده فاذا اتى الدم من هاتين الفضلتين خدمه الخدام الثالث وهو الكبد وقد بقي احمر في اللون مشرقا نورانيا ويصل اليها من عرق عظيم يسمى الاجوف من يوزع من هناك على جهة البدن العليا والسفلى في رواضع كثيرة العدد ما بين كبير وصغير ومتوسط كلها تنصل بالعرق الاجوف وتماز منه ومادام الدم في هذا العرق ففيه مائة غير محتاج اليها لانها كانت مرتكب الغذاء فلما وصلت الى مستقر ما يستغنى عنها فاحتاج ولا بد الى اخراجها ودفعها ولولم يبادر الى ذلك اضررت به فخلق الله سبحانه الكليتين يتصان هذه الفضلة بعنتين طويلين كالانويين ويفرغان في المائدة بعرقين آخرين ووضعهما سبحانه اسفل من الكبد قليلا حيث يكون امكن لتخليص المائة كالعروق المصارات واما المرارة فوضعهما الله سبحانه فوق الكبد لانها بمنزلة السقفة أو القنطرة التي يقطف بها الذهب عن وجه الرطوبات واما الطحال فوضعهما

أبلى الى اسفل لانه بمنزلة ما يجتذب الاشياء المصونة اذا رسبت
 فصل ❖ اذا اتى الدم من هذه العقول كلها وعملت فيه هذه الخدم بقواها التي أودعها فيها هذا العمل وأصلحته هذا الاصلاح عمل ملك الاعضاء والجوارح وهو القلب فيه عملا آخر يقصده بحرارة أخرى وهي أقوى من حرارة الكبد

فصل ❖ وجعل سبحانه في المعدة أربع قوى قوة جاذبة للملائم وقوة منضجة له وقوة محسكة له وقوة دافعة لفضلة المستغنى عنها منه ورئيس هذه القوى هي القوة المنضجة وسائرها خدم لها وخصت المعدة عن سائر الاعضاء بأن أودع فيها قوة تحس بالعون والنقصان وخاصته فمنها لتبذ الحيوان على تناول الغذاء عند الحاجة واما سائر الاعضاء فانها تنفذ بالنبات باجتذاب الملائم اليها ولما احتاجت المعدة الى القوة وحس بالعون ولم يكن ذلك الامن معدن الخواص وهو الدماغ اناها روح العصب عظيم ما ثبت أكثرها في قفا وما يليه ومن ياقبه مستقيما حتى يبلغ قعرها فان قيل فالحكمة في ان باعد سبحانه بين المعدة والقفا وجعل بينهما مجرى

طويلا وهو المرى وهلا اتصلت المعدة بالفم واستغنت عن المرى قبل هذا من تمام حكمة الخالق وفيه منافع كثيرة منها أن يحصل للغذاء تغير ما في طريق الجرى فيلطف قبل وصوله إليها ومنها بعمه عن آلة التنفس لئلا تعوقه ويعوق الصوت والكلام وان لا تنقلب المعدة الى خارج عند شدة الجوع كما يعرض ذلك للحيوان الشرس اذا كان قصير العنق فان قبل فلم كانت الى جانب الابرص أميل منها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الكبد ولا يتحصر فان قبل فهلا كانت مستقيمة في وضعها بل مال اسفلها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الطحال حيث كان أخفض موضعا من الكبد فان قبل فلم جعلت مستطيلة مدورة وجعلت مما يلي الصلب مسطحة قبل لما وضعها الله بين الكبد والطحال جعلها مستطيلة وكانت مستديرة لتتسع للطعام والشراب وكان اسفلها أوسع من اعلاها لذلك وجعلها مدخلا وهو المرى ومخرجا يسمى البواب وجعل البواب اضيق من المرى لان ما يتلعبه يكون أصلب واخشن مما يخرج فعمل مدخل الداخل أوسع من مخرج الخارج لابطلاخه في المعدة ولينه ولحكم آخر منها أن لا يزال منه الطعام والشراب قبل نضجه وانه ولتقوى المعدة على حبسه ولتخرج أولا فأولا لادفعة واحدة والمرى يتسع بالتدرج حتى يبلغ المعدة ولذلك يظن أنه جزء منها وأما البواب فان الجزء الضيق يتصل بأسفلها الذي هو أوسعها ثم يتسع على التدرج ليسهل خروج الفضلة

فصل في الكبد منطبقه على المعدة محتوية عليها بزوائد التسخنها والطحال يسخنها من الباب الابرص والصلب يسخنها من خلف والترائب من قدامها والترائب مؤلفة من طبقتين رقيقتين تنطبق احدهما على الاخرى يشتم كثير وهو خشاش الامعاء كلها ولباسها ثم غشي البطن كله بفشاء واحد بقي الاحشاء وينبع من انفتاح المعدة والامعاء بالرياح ويربط جلة آلات الغذاء ولم يجعل في الكبد نجوم يوف كنجوف القلب لتحتوي على الدم احتواء يمكننا ونحوه احالة بليغة ولكبد ثلاث شبك من العروق شبكة بينها وبين المعدة والامعاء وشبكة في مفرعها وشبكة في مجذبا فالشبكة الاولى تجذب الغذاء ونحوه بعد أن أحاله وفي الشبكة الثانية بصير دما وفي الشبكة الثالثة يزداد صفاء وترويقا ولكبد بالقلب والدماغ اتصال بشطة من العصب حفية كندجج العنكبوت ولما كانت النفس المدية بمنزلة حيوان غائب وحشى وكل جسم حيوت فلا بد أن تتصل به هذه النفس وتغذوه بخلاف النفس المفكرة التي محلها الدماغ وبخلاف النفس الغضبية التي محلها القلب فالنفس المفكرة تستعين بالنفس الغضبية على تلك النفس الحيوانية الغائبة الوحشية اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن وصل بين محل هذه الانفس الثلاثة وسماها ليذهن بعضها لبعض ولا تنكر تسمية هذه القوى نفوسا فليس الشأن في التسمية فان تسمية نفسك نفوسا حيوانية تطلب الطعام والشراب ونفسا مفكرة سلطانها على التصور والعلم والشعور ونفسا غضبية سلطانها على الغضب والارادة وتضرب كل واحدة ثم فيما جعل اليه وبعضها عون لبعض فمحل النفس الحيوانية الكبد ومحل المفكرة الدماغ ومحل الغضبية القلب

فصل في تأمل الحكمة في أن جعلت صفقات عروق الكبد أرق من صفقات سائر عروق البدن لينفذ الى الكبد فوق جوهر الدم بسرعة وهي مع ذلك غير محتاجة الى الوقاية

لان الكبد محورها بلحمها وانما وضعت بجارى المرة الصفراء بعد العروق التي تصعد الغذاء من المعدة وقبل العروق التي تأخذ الدم منها لان هذا الموضع هو بين موضع كمال الطبع وبين انتقاله الى العرق الاجوف وحينئذ يمكن انفصال المرة عن الدم وجمت العروق كلها الى عرق واحد هو الباب ثم مادت فتجمت في مقعر الكبد ثم مادت فجمت في مجدها الى عرق واحد وهو الاجوف ليجيد بقسمها انضاج ما محتوى عليه وئلا ينفذ بسرعة وكذلك كل موضع احتج فيه الى طول مكث المادة هـ ين بقاؤها فيه بطول مسلكها وكثيرة تعاريفه كما فعل في مجارى المنى وشبكة الدماغ وهذا شأن العروق الجوارب واما العروق الضواريب فبالعكس من ذلك فانها جمت في مقعر الكبد دون مجدها لانه موضع الدم وحاجته الى المعدة بالحرارة مساسة قال جالينوس ولا تقسم العروق الضواريب في مجذب يعلم الخالق سبحانه انه جذبه الكبد لتحرك دائما بمجاورة الجلب فيقوم لها ذلك مقام حركة العروق الضواريب وجعلت هذه العروق الضواريب رقاقا لانها انما وضعت لترويح الكبد لان تغذيتها ولان اتصال روح اليها

اذ ليس بالكبد حاجة الى قبول روح حيواني كثير ولا يحتاج لحمها الى غذاء لطيف بخارى

فصل في واحرز الصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها بأن ربطها بالمعدة والامعاء كلها بالعروق وبالفشاء الممدود على البطن الذي يشد جيعها ووصل بها رباطات من جميع النواحي وغشاؤها الرابطة يتصل بالجلب ورباط قوي ورباط الكبد بالجلب حين صلب وثيق لان الكبد معلقة به وهو اصلب من غشاء الكبد بشدة الحاجة الى صلابة لانه يحرز الكبد والعرق الاجوف متى ناله آفة مات الحيوان كانت تلك اغصان الشجرة اذا اصاب ساقها آفة وجعل أرق هذه الرباطات من خلف يشده بالعظام وأغظاه من قدام حيث لا عظام هناك تقيه وهذا من شدة الاسر الذي قال الله تعالى فيها نحن خلقناهم وشددنا أسرهم شدا وصلبهم بالرباطات المحكمة وجعل خلقهم بعضه الى بعض ولما كان الجلب آله شريفة لافس بوعدهم العضوين المجاورين له وهما المعدة والكبد بمقدار حاجته لئلا يزحسا ويعوقه عن فعله فبوعدت المعدة عنه بطول مجراها

فصل في واما الطحال فبعضهم يقول انه لا تقع فيه وانما شغل المكان به لئلا يبقى فارقا فيميل أحده شق البدن بثقل الكبد فجعل موزونا للكبد قلت وهذا ظاهرا من وجه و صواب من وجه اما الصواب فن الحكم العجيبة جعل الطحال في الجانب الايسر على موازنة الكبد لئلا يميل الشق الايمن بها ولا يمكن أن تقوم المعدة بموازنة الكبد لانها دائما قنلى وتخلو فتارة تكون أخف من الكبد وتارة أرجح منها فيصير البدن مترجعا أو يميل الى شق الكبد وقتا وإلى شق المعدة وقتا آخر فجعل الخالق سبحانه الطحال يوازن الكبد وجعل المعدة بينهما في الوسط لئلا يثقل جانب ويشف آخر عند امتلائها وخلقها فلما جعلت وسطا لم تختلف وضع البدن باختلافها وأما الغلط فقوله انه لا منفعة فيه وانما يشغل المكان لئلا يبقى فارقا فانه لو لم يعلم فيه منفعة لم يكن له أن ينفى فان عدم العلم بالمنفعة لا يكون هـ ما بعدمها ولا شيء في البدن خال عن المنفعة آتية وفي الطحال من المنافع أنه يجذب الفضلة الغليظة الكبرية السوداء من الكبد نوما من جنس العروق كالغني له فاذا حصلت تلك

الفضلة عنده انضجها وأحالها وهو ينضج غليظ الدم وعكسه كما ينضج قوالب غليظ الغذاء ويابسه ويستعمل في نعله العروق الضوارب الكثيرة المبثوثة فيه كلها لما نضج واستحال الى طبيعة صار غذاء له ومالم يمكن أن يتقلب الى الدم الموافق له قذفه الى المعدة بمنق آخر من جنس العروق وإنما أمكنه جذب الفضل الاسود بقوة لحيته لانه رخو متحلل مخفف كالاسنج ولما اتصلت به العروق الضوارب الكثيرة استغنى بها عن انضاج الفضول السود ولبقى لحمه خفيفا متحللا لان دم الشرايين رقيق لطيف قريب طبيعته البخار فما اغتذى به كان نحييفا كالثمة ولكن الرئة تغتذى بما صفاورق وأشرق وكان أحر نارياو كذلك الرئة كانت أخف وزنا منه وأسخف جرما ومائلة الى البياض وأما الطحال فيغتذى بما لطيف من الخلط الاسود وانطخ في الشرايين فيسترخ منه البدن ويغتذى به الطحال فالطحال يغتذى بغذاء لطيف من غذاء الكبد لانه يرشح اليه من الشرايين التي صفا فأيهما يحبه جدا ولابل سواد تلك الفضلة وكونها عكرة في الاصل لم يكن لون الطحال أحمر ولا مشرقا فأما الكبد فيغتذى بدم غليظ فاضل يرشح اليها من العروق غير الضوارب فلبجودة غذائها كان لونها أحمر ولفضلته كانت كثيفة فالكبد تغتذى بدم أحمر غليظ والطحال بدم أسود لطيف والرئة بدم صاف مشرق في غاية النضج قريب من طبيعة الروح فجوهر كل عضو على ما هو عليه صير غذاءه ملائمه فالغاذي شبيه بالمغتذى في طبعه وفعله وهذا كما أن حكمة الله سبحانه في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره حيث حرم الاغذية الخبيثة على عباده لانهم اذا اغتدوا بها صارت جزأ منهم فصارت أجزاؤهم مشابهة لاغذيتهم اذا الغاذي شبيه بالمغتذى بل يستحيل الى جوهره فلهذا كان نوع الانسان اعدل أنواع الحيوان من اجل اعتدال غذائه وكان الاغذاء بالدم ولحوم السباع بورث المغتذى بها قوة شيطانية سبعة مادية على الناس فن محامن الشريعة تحريم هذه الاغذية وأشباهاها الا اذا حارضاها مصلحة أرجح منها كحل الضرورة ولهذا اكلت النصارى لحوم الخنازير فأورثها نوما من الغلظة والقسوة وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صار فيه قوة ولما كانت القوة الشيطانية مازضة ثابتة لازمة لذوات الايئاب من السباع حرمها الشارع ولما كانت القوة الشيطانية مازضة في الابل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها ولما كانت الطبيعة الحمارية لازمة للحمار حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الجر الاهلية ولما كان الدم مركب الشيطان ومجره حرمه الله تعالى تحريما لازما فن تأمل حكمة الله سبحانه في خلقه وأمره وطبق بين هذا وهذا فحاله بابا عظيم من معرفة الله تعالى واسمائه وصفاته وهذا هو الذي حركنا لبسط النفس في هذا المقام الذي لا يكاد أن يرى فيه الا احد طريقين طريقة طيب معترض لوسج مقلد لبقراط وطائفته قد عبرت عينه على الرسل وما جاؤا به وهو من قال تعالى فيه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن وطريقة من يمجده ذلك كله ويكذب قائله ويظن مناقته للشريعة فيصعد حكمة الله تعالى في خلقه وابداعه في صنعه وكلا الطريقين مذموم وسالكه من الوصول الى الغاية محروم فلانكذب بشرع الله ولا يمجده حكمة الله واكثر ما فسد الناس انهم لم يروا

الاطباء بما زندقوا مهلا عن الشرائع او منساهلا قادحا فيما جرت به حكمة الله ومشيئته في خلقه منكرا للقوى والطبائع والاسباب والحكم والتعليل فاذا اراد الاول ان يدخل في الاسلام صده جهل هؤلاء ومكابرتهم للمعقول والحس واذا اراد ان يدخل في معرفة الحكم والقايات وما اودع الله في مخلوقاته من المنافع والقوى والاسباب صده زندقته هؤلاء وكفرهم واهراضهم عن ماجاءت به الرسل وقدحهم فيما عندهم من العلم فيضار دينه على عقله ويختار ذلك عقله وما استقر عنده مما يكابر فيه حسه ولا عقله على الدين وهذا قد بلا الخلق الاطباء والطبايعين احد انواع ادلة التوحيد والمعاد وصفات الخلق وما اخبرت به الرسل هو من اظهر ادلته ولا يزداد الباطن فيه الا ايمانا وما اخبرت به الرسل لا يناقض ما جرت به عادة الله وحكمته في خلقه من نصب الاسباب وترتيب مسياتها عليها بعلمه وحكمه فصدر خلقه وامره علمه تعالى وحكمته وآلاء الرب تعالى لا تعارض ولا تناقض ولا يبطل بعضها بعضا والله اعلم

﴿ فصل ﴾ والكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما والعروق الضواريب تصل بها المعدة والقلب بمنزلة التنوير او بمنزلة انوار الجسم بسخن ماؤه وله الى كل بيت منفذ ينفذ فيه وهج النار اليه وكذلك الحمار الفريزي الذي منبعه من القلب ينفذ في مسالك ومنافذ الى جميع الاعضاء فيسخنها

﴿ فصل ﴾ وجعلت الاعضاء مسلما مؤديا والمعدة هي الآلة تهضم الغذاء واستمرته والامعاء تؤدي ذلك الى الكبد ولما كانت الامعاء آلة الادام والاتصال كثرت لفائفها وطولها كانت العروق التي تأتيها من الكبد لانحصى كثرة لينة فيها الغذاء ولا مأولا وتستغيضه بسير ايسر اقلو لتطويل لفائف الامعاء امكن يخرج قبل اخذ خاصيته وكان يعرض اليهم بشهوة الاكل دائما وكان الانسان يدمم التفرغ لمصالحه وسائر اعماله وكان دائما مكبا على الغذاء ولهذا صار الحيوان الذي ليس لامعائه استدارات بل له معاء واحد مستقيم مكبا على الغذاء دائم عديم الصبر عنه كالقيل واما مالمعائه استدارات فانه اذا فارقه الغذاء او بعضه في الاستدارة الاولى صادفه في الثانية فان هو فانه في الثانية صادفه في الثالثة والرابعة والخامسة كذلك فيمكن صبره على الغذاء حكمة بالغة وما ينفذ الى الامعاء يبعث من العروق الضاربة يأخذ من الغذاء جزأ يسيرا لطيفا واما العروق غير الضاربة هي مجاري الغذاء بالحقيقة فأخذت اكثره واما العروق الضاربة فجعلت مسلما للارواح المنبثة من القلب فاستغنت بقليل الغذاء وجعل للقلب وصلة بالامعاء لمصونها أولا ويمدها بقوة الحار باذن خالقه ثم يأخذ منها الجزء الملائم من الغذاء المستغنى عن فعل الكبد لطافة جوهره فان هذا الجزء لو حصل في الكبد لم يؤمن اصرفه وفساده فلا ينتفع به القلب ثم يأخذ منها عند شدة الحاجة وصدق البهامة فيتعجب ذلك من أدنى المواضع ولذلك يشاهد من اكل مسنبة شديدة بحس زيادة وقاه في كل اعضائه حتى ماير الطعام بالمعدة قبل استقراره فيها فسبحان من انقن ما صنع ولما كانت المعدة آلة هضم الغذاء والامعاء آلة دفعه جعل للامعاء طبقتان ليقوى دفعها بهما جميعا وليكون حرزا لها وحفظا ولذلك من تعرض له قرحة الامعاء بانجراد احد الصفاقين يبيق الآخر سليما

وجعلت الامعاء الغلاظ لتذوق الثفل والرقاق لتأدية الغذاء والسبب في أن صار الانسان لا يحتاج الى تناول الغذاء دائما كثرة لفائدها واما السبب المانع من قذف الفضول دائما سعة الامعاء الغلاظ التي تقوم لها مقام واه آخر شبيهه بالمعدة في السعة كما أن المسافة وطاء لقبول كذلك فصل **في** ونحن نذكر فصلا مختصرا في هذا الباب نجمع ذلك شأنه بإيضاح وبإيجاز ان شاء الله تعالى به الحول والقوة فنقول المرى موضوع خلف الحلقوم وما يلي ففسار الظهر وينتهي في ذهابه الى الجحباب وهو مشدود برباطات فاذا ابعده مال الى الجانب الايسر واتسع وذلك المتسع هو المعدة واسفلها يهود ما يلا الى اليمين والمعدة مقر طبخه وقها هو المسدف منها ويسمونه الفؤاد وهذا من خلطهم الا أن يكون ذلك اصطلاحا خاصا منهم والفؤاد عند أهل اللغة هو القلب قال الجوهري الفؤاد القلب وقال الاصمعي وفي الجوف الفؤاد وهو القلب وقد فرق بعض أهل اللغة بين القلب والفؤاد فقال الليث القلب مضغ من الفؤاد معلقة بالنياط وقالت طائفة مسدف القلب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم جاءكم أهل اليمن ارق قلوبا واليمن أفئدة ففرق بينهما ووصف القلب بالارفة والافئدة باللين واما كون فم المعدة هو الفؤاد فهذا لانهم أحدنا من أهل اللغة قاله وتأمل وصف النبي صلى الله عليه وسلم القلب بالارفة التي هي ضد التساوة والغلاظ والفؤاد باللين الذي هو ضد اليبس والتسوة فاذا اجتمع لين الفؤاد الى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة والاحسان ومعرفة الحق وقبوله فان اللين موجب لقبول والفهم والارفة تقتضي الرحمة والشفقة وهذا هو العلم والرحمة وبهما كال الانسان وربنا وسع كل شيء رحمة وعلما فلنرجع الى ما نحن بصدده فنقول المعدة مع المرى ذات طبقتين لطيفتين واللحم في الطبقة الداخلة أقل ولهذا يغلب عليها البياض وهي عصبية حساسة وهي في الطبقة الخارجة كثر ولهذا يغلب عليها الحجرة وهي مربوطة مع القفار برباطات وثيقة وتنتهي من جهة قعرها الى منفذ هو باب المعدة وبوابها يعلق عند اشتهاه على الغذاء مدة هضمه ويقال لباطن جرم المعدة خجل المعدة والامعاء المصارين وهو جمع مصران بضم الميم وهو جمع مصبر وسمى مصبر المصبر الغذاء اليه والسفلى يقال لها الاقتاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تتدلى اقتاب بطبه والعليا ارق من السفلى لما تقدم من الحكمة بأهل الرقاق يسمى الاثنى عشر لان مساحته اثنا عشر اصبعاً ويليها السمي بالصائم لقلة لبث الغذاء فيه لا لأنه يوجد أبدأ خاليا كما ظنه بعضهم فان هذا باطل حسا وشرعا كما نذكره الثالث المسمى بالارفة والاقناف وهو أطول الامعاء وأكثرها تلافيف ولبث الغذاء فيه أطول والعروق التي تأتيه من الكبد أقل واما اللذان قبله فتصعبان في طول البدن قصيران ويقل لبث الغذاء فيهما وهو في الصائم أقل لبثا وهذه الثلاثة تسمى الامعاء العليا والامعاء الرقاق وهي كلها في سعة البواب واما الدامع وهو الاول من الثلاثة السفلى فيسمى الاور لانه لا منفذ له بل هو كال كيس يخرج منه ما دخل من حيث دخل وحكته سبحانه يتم فيه ما يفسر هضمه من الاشياء الصلبة كما يتم ذلك في قوائم الطيور ووضع في الجانب الايمن والخامس المسمى بقولون يتدلى من الجانب الايمن ويأخذ مرضا الى الايسر ويحتبس فيه الثفل وربما يستقضي ما فيه والسادس هو الآخر وهو المعى المستقيم لانه مستقيم الوضع في طول البدن وهو واسع جدا يجتمع فيه الثفل كما يجتمع البول في المثانة وعليه الفضلة المانعة

بمخروج الثفل بدون الارادة وقد صرح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يأكل في معاه واحد
والكافر يأكل في سبعة معاه ما أطلق على المعدة اسم الماء تغليبا ولمشابهتها بالامعاء تكون كل واحدة
من الامعاء والمعدة محلا للغذاء وهذا لغة العرب كما يقولون القمران والعمران والركنان اليمانيان
والشاميان والعراقيان ونظائر ذلك ولا سيما فان تركيب الامعاء كتركيب المعدة اذ هي مركبة من
طبقتين لحمية خارجية وعصبية داخلية والطبقة الداخلة منها لزوجات متصلة بها لتقيها من
حر الم البراز ووراءه كثيفة ولزيفة فلا تمسكه ولا يتعلق بها شيء منه ولما كان الكافر ليس في قلبه شيء
من الايمان والخير يقتضي به انصرفت قواه ونهيمته كلها الى الغذاء الحيواني النهيبي لما فقد الغذاء الروحي
القلبي فتوفرت امعائه وقواه على هذا الغذاء واستقرغت امعائه هذا الغذاء وامتلأت به
بحسب استعدادها وقبولها كما امتلئت به العروق والمعدة واما المؤمن فانه اغنيا بكل العلفة ليتقوى
بها على ما أمر به فهمته وقواه مصروفة الى امور وراء الاكل فاذا اكل ما يغذيه ويقوم صلبيه استغنى
قلبه ونفسه وروحه بالغذاء الايماني عن الاحتكاك من الغذاء الحيواني فاشتغل امعائه الواحد وهو
قولون بالغذاء ما مسكه حتى اخذت منه الاعضاء والقوى مقدار الحاجة فلم يخرج الى ان يملا امعائه
كلها من الطعام وهذا أمر معلوم بال تجربه واذا قويت مواد الايمان ومعرفة الله واعمائه
وصفاته ومحبتة والشوق الى لقائه في القلب استغنى به العبد عن كثير من الغذاء ووجد لها
قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني فان كثرت طباعك عن هذا وكنت عنه بمنزل فتأمل حال
الفرح والسرور بتجدد نعمته عظيمة واستغناؤه مدة عن الطعام والشراب مع وفور قوته وظهور
الدوية على بشرته وتغذيه بالسرور والفرح ولا نسبة لذلك الى فرح القلب ونعيمه وابتهاج
الروح بقربه تعالى ومحبتة ومعرفته كما قيل

لها احاديث من ذكر كانشغلها * عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته اني اظن عند ربى يطعمني ويسقيني
وصديق الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه فان المقصود من الطعام والشراب
التغذية المسكنة فاذا حصل له اعلى الثنائين وأشرفهما وأنفعهما فكيف لا يغنيه عن الغذاء
المشترك واذا كنا نشاهد ان الغذاء الحيواني يقرب على الغذاء القلبي الروحي حتى يصير الحكم
له ويضمحل هذا الغذاء بالكتابة فكيف لا يضمحل غذاء البدن من استيلاء غذاء القلب والروح
ويصير الحكم له وقد كان صلى الله عليه وسلم يمكث الايام لا يطعم شيئا وله قوة ثلاثين رجلا ويطوف
مع ذلك على نسائه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نسوة وهذا المسبح ابن مريم صلى الله عليه وسلم
حي لم يمت وغداؤه من جنس غذاء الملائكة وانت تشاهد المريض يمكث الايام العديدة لا يأكل ولا
يشرب لاشتغال نفسه بمحاربة المرض ومدافعتة واكتفاء الطبيعة بقية الغذاء الذي في
الامعاء والمعدة مع مدة الحرب فاذا وضعت الحرب أوزارها رأيت شدة طلبه للغذاء فانف
والهب والفرح والحزين والمستولى عليه الفكر لا تطالبه نفسه من الغذاء الخالي من ذلك
فصل في الكبد عضو لحمي تخلله عروق رقاق وغلاظ وعلى الكبد غشاء عسبي
حساس يحبط بها وينثني الى خلافه والكبد هي الاصل في الغذاء وآلات الغذاء خدام لها
ومعينات فان الانسان لما كان كالشجرة المستقلة جعل له ما يقوم مقام النهر الجاري في اصول

الشجر بسقيها وهو الامعاء والمعدة بمنزلة العين ونجى منها السواقي وهرق الكبد المتصلة بالامعاء بمنزلة هروق الشجرة المتصلة بأرض الساقية تنص الماء منها وتؤديها الى الشجرة واخصانها وورقها وغارها وهذه العروق تنص الماء من الطين والترى وكذلك عروق الكبد تنص صفو الماء وخالصه من كل وليد ونحوه الى طبيعة الاعضاء كما تفعل عروق الشجرة وشكل الكبد شكل هلالى محدب من ظاهره مقعر من باطنه وهي تحت الاضلاع الخمس ولها خمس شعب يقال لها الزوائد تحتوى على المعدة كما تحتوى الكف بأصابها على الشئ المقبوض ويقال للشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد في الصحح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سبعين ألفا من أهل الجنة يأكلون من زيادة كبد الحلوت الذي هو أول طعامهم وهذا يدل على عظم قدر هذه الزائدة فما الظن بالكبد التي هي زائدة فكيف بالحلوت الذي حواها ومقرها يسمى الموردا لانه يورد الغذاء من المعدة والامعاء ويسمى باب الكبد ثم تشعب هذه العروق من جانبها بشعب تتصل بالامعاء وتسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصفار تؤدي الى مقرة عظيمة ولهذه الجداول أغشية من فوقها ومن تحتها تستدير مع الامعاء العروق المتصلة بها وتسمى هذه الاغشية وما تحويه المرباط

فصل في العرق الثاني ينقسم في مجذبا الى هروق صغار واصغر منها حتى تبلغ قابلية الرقة ثم تعود ونجم مع أول فأرل على قياس ما تفرق وأخذ من كثرة الى واحدة ومن رقة الى خلط حتى يجمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالاجوف ومنها يتأدى الدم الى البدن كله حين يخرج ينقسم قسمين يأخذ أحدهما نافذ في الجلب نحو القلب ويسمى الوتين قال أهل اللغة الوتين عرق يسقي القلب قال في الصحاح الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه ووتينه أصيب فهو موتون وقال الواحدى الوتين يسيطر القلب وهو عرق يجرى في الظهر حتى يتصل بالقلب اذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وهذا قول جبرع أهل اللغة وأنشدوا للشماخ

اذا بلغتني وحلت رحلى * حراية قاسمى بدم الوتين

وقال ابن عباس وجهور المفسرين هو حبل القلب ويناطه وأما الأبهري الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا أو ان انقطع أبهرى فقال الجوهري الأبهري اذا انقطع مع مات صاحبه وهما أبهران يجر جان من القلب ثم تشعب منهما سائر الشرايين وأنشدوا للاصمعي ولقفاؤا وجيب عند أبهره * لدم القلام وراء الغيب بالجر

فصل في المرارة موضوعة على الكبد ولها مجريان أحدهما متصل بتغير الكبد يجذب المرارة الصفراء والاخر متصل بالامعاء العليا تنصب المرارة ليغسلها ويحليها ويتصل منه السر بأسفل المعدة ليخرج بالغذاء فيكون فيه معونة على هضمه

فصل في القوة التي وكلها الله سبحانه ونعمالي بتدبير البدن من أعظم آياته الدالة عليه فانها تفعل في الطعام والشراب الواردين عليه أنفعا لا تنهوه من تقطيع وتفصيل وتبرخ وتحليل وتركيب فبدأ ذلك في الفم وهو تقطعه بالاسنان وهضمه واختلاطه بالرطوبات التي فيه وانضمامه منه انضماما تاما ثم بعد ذلك عند وروده الى المعدة تهضمه هضمًا آخر

ويسمى الهضم الاول وبعينه على هضمه ما يجاورها من الاعضاء في الكبد عن يمينها والطحال عن يسارها والقلب من فوقها والمري امامها والامعاء السبل الموصلة اليها والعروق الطرق المؤدية منها والحرارة النار الطابخة للطعام فيها والقوة الهاضمة والجاذبة والغاذية والدافعة خدم لها فاذا انهضم الطعام فيها صار كيلا وما شبهها تجاه الكبد الضيق ثم تنز صوبه ولطيفه فتغذفه العروق الرقاق الشعرية اليه برقة الشعر ويغذب الى الكبد فاذا ورد هذا المطيف الى الكبد اشتدت عليه بجملة فطبخته وتهضمته واحالته الى جوهرها وصيرته دما ويسمى هذا الهضم الثاني ولما كان هذا الانضاج والطبخ يشبه طبخ القدر علاه شيء كالرغوة والزبد وهو الصفراء ورسب منه شيء مثل العكر وهو السوداء وتخلف على تمام النضج شيء بقي على فجوته وهو الباق والشئ الذي يصفي ويبقى من ذلك كله هو الدم فاندفع من الكبد في العرق الاعظم المعروف بالاجوف بعد ان نصفت عنه المائبة الى آلة البول فيسلك هذا الدم في الاوردة المشعبة من الجوف ثم في جداول متقببة من الاوردة ثم في سواق متقببة من الجداول ثم في روضع مشتقة السواقى ثم في عروق رقاق شعرية ثم يرشح من افواهما في الاعضاء لتغذئ به قهله الاعضاء وتسير به بجوهرها فيصير في اللحم لحما وفي العظم عظما وفي العصب عسبا وفي الظفر ظفرا وفي الشعر شعرا وفي السمع والسمع والبصر وآلة الحس كذلك تبارك من هذا صنعه في قطرة من ماء مهبين

فصل في الدم وهو الخلط الاصل والغذاء الحقيقى للبدن والمخاف عليه بدل ما ينقص ويعمل منه والاخلط الاخر كالابازير والتوابل وهى صنفان صنف لطيف وهو دم القلب وغليظ وهو دم الكبد ومثله مثل السلطان اذا كان وقورا حليما ساكنا ما شت به رعيته واذا غضب واحتمد قتل

فصل في وأما الباق فخلط فمح مستعدلين يستكمل نضجه عند هوز الغذاء اذا تولده الحرارة الغريزية فهضمته وصيرته دما فتكون في المعدة والامعاء وفي الكبد عند قصور الهضم وفيه من المنفعة انه يرطب البدن ويبل المفاصل لسلس حركاتها ويخالط الدم في تغذية الاعضاء البلغمية المزاج فالدم ما قبل لما كانت الاعضاء محتاجة ان يكون قريبا منها لترطيبها لم يجعل له عضو يختص به لاسما والاعضاء تغذئ به اذا هوزها الغذاء

فصل في وأما الصفراء فخلط لطيف حار وحاجة البدن اليها في ان تخالط الدم وترقه بلطفها وتغذئه في المسالك الضيقة وتعينه في تغذية الاعضاء الحارة اليابسة وما ينفصل عنها مما يستغنى عنه يتصنى الى المرارة لتأخذ نضيبها منه وما تستغنى عنه المرارة تصبه الى الامعاء ليغسلها عن لطخة الاثقال وتزوجتها وتندع عضل المقعدة فحس بالحاجة الى التبرز

فصل في وأما المرارة السوداء فخلط بارد يابس وفيه من المنافع انه ينفذع الدم في العروق ايشده وبقويه ويكفيه ويمسكه ويمنعه من سهولة الحرارة عند الحاجة الى ذلك وبعينه على تغذية الاعضاء المحتاجة ان يكون في غذائه شيء من السوداء كالعظام وما اتصل منه واستغنى عنه يصنى الى الطحال فيصفيه الطحال جدا ويتغذى به ثم يجلب ما يستغنى عنه الطحال الى المرارة فيدخره بالمحوضة التي فيه فتفرك الشهوة وبمس بالجوف فطلب الاعضاء

القصوى معلومها وراتبها من الاعضاء التي تليها وتطلبه الاعضاء التي تليها من التي تجاورها وهكذا حتى ينتهي الطلب الى المدة فالجوع طلب الاعضاء القصوى معلومها من الاعمال الدنيا

﴿ فصل ﴾ ولما اقتضت حكمة الرب جل جلاله وقدمت اسمائه ولا اله غيره حيث كان بدن الانسان مشبها في احواله بالمدينة ان يوجد فيه اعضاء رئيسة تقوم بمصالحها كما تقوم رؤساء المدينة بمصالحها يكون لها بمنزلة الولاة والامراء واعضاء تكون خادمة لهذه الاعضاء الرئيسة فان الرئيس لا يكون رئيسا الا برؤس وهي بمنزلة الشرط والمساورة والتعب وان يوجد فيها اعضاء كالرعية وهي قسمان ماله اتصال بالرؤساء وان لم يكن له اتصال خدمة ومالاتصال بهم بل هو مستقل بنفسه فالاعضاء اذا بهذا التقسيم أربعة أحدها الاعضاء الرئيسة المخدومة والثاني الاعضاء المرؤسة الخادمة الثالث الاعضاء المرؤسة بلاخدمة الرابع الاعضاء التي ليست رئيسة ولا مرؤسة

﴿ فصل ﴾ والاعضاء الرئيسة انما استخفت الرياسة لشرفها اذ كانت هي الاصول والمعادن والبيادى للقوى الاولية في البدن المضطر اليها في بقاء الشخص والنوع وهي بحسب بقاء الشخص ثلاثة القلب والكبد والدماغ وبحسب بقاء النوع أربعة الثلاثة المذكورة والاثنيان واما القلب فهو الذي جعله الخلاق العليم قائما بأمر البدن كقيام الملك بالرعية وهو اول عضو يتحرك في البدن وآخر عضو يسكن منه وهو مبدأ جميع الخلق وما يلحقه من صلاح أو فساد يتأدى منه الى غيره من الاعضاء واما الكبد فهي العضو الذي يقوم لحفظ الحياة او كانت هي التي تخلص الاعضاء بالغذاء ليبقى البدن محفوظا ما يمكن بقاؤه واما الدماغ فهو العضو القائم بأمر الحس والادراك وتكميل الحياة اذ فيه آلات الاحساس التي بها يعرف النافع من الضار والملائم من المنافر صارت الحياة ناهضة صالحة منجورة لزينة حياة النبات واما الاثنيان فهما اللذان يقومان لحفظ بقاء النوع

﴿ فصل ﴾ واما الاعضاء الخادمة فالرئة والشرايين الحاملة المؤدية من القلب الحرارة الفريزية والقوى والارواح الحيوانية التي بها قوام البدن فهذان خادمان القلب والمعدة والاوردة خادمان للكبد والاوردة تنفذ الدم الغازي والقوى الى جميع البدن والكبد خادمة الدماغ وكذلك الاعصاب التي بها يحصل الحس والحركة والاثنيان يخدمهما الاعضاء المؤدية للمنى والجمري المؤدية عنهما الى موضع التوالد

﴿ فصل ﴾ واما الاعضاء المرؤسة بلاخدمة فهي اعضاء مخصصة بقوى لها طبيعة بها ثم تدبيرها ويستقيم أمرها ولا يدفع ذلك أن يقبض عليها من الاعضاء الرئيسة قوى قدما باذن الله تعالى كالاذن والعين والانف فان كل واحد منها يقوم بأمر نفسه بما فيه من القوة الطبيعية التي أعطاها اياه الخالق سبحانه ولا يتم ذلك الا بان تأتيها قوة حساسة تنزل عليها من الدماغ باذن الله تعالى

﴿ فصل ﴾ واما الاعضاء التي ليست برئيسة ولا مرؤسة فهي التي اختصت بقوى فريزية فيها من أصل الخلق في أول التكوين لئتم بها قوام أمرها وتدبيرها في اجلاب المنافع ودفع المضار كالعظام والغضاريف وسائر الاعضاء المشابهة الاجزاء مثل الرباطات والاعصاب

والاوتار والشرابين والاوردة والاعشية واللحم والعظام كالاساس والاسطوانات لبناء هيكل البدن فان قيل هل في العظام قوة الاحساس وحياته أم لا قيل هذا موضع اختلف فيه ارباب الشريعة فيما بينهم وارباب الطبيعة فيما بينهم فقالت طائفة لاحياة في العظام وان كان فيها قوة النمو والاختذاء قالوا ان الحياة انما هي الروح الحيوانى ولاحظ للمظام فيه قالوا ولان مركب الحياة انما هو الدم المذيت في العروق والاعصاب واللحم ولهذا لم يكن للشعر ولا للظفر نصيب من ذلك ولهذا لم يألم الانسان بأخذه قالوا فحياة العظام والشعر حياة نمو واختذاء وحياة اعضاء البدن حياة نمو واحساس قالوا ولهذا قلنا ان العظام لا تنبسط بالموت ولانها لم يكن فيها حياة تزول بالموت قالوا وزوال النمو لا يوجب نجاسة ما فارقته بتدليل بيبس الزرع والشجر قال آخرون الدليل على ان العظام تحملها الحياة قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والحس يدل على ذلك أيضا فان العظم يألم ويضرب ويسكن وذلك نفس احساسه قالوا ولا يمكن انكار كون العظام فيها قوة حساسة نحس بالبارد والحار قال الآخرون الاحساس والالم ليس للعظم في نفسه وانما هو للمجاورة من اللحم قال المنزهون لهم هذا مكابرة ظاهرة فان العظم نفسه يألم ولا سيما اذا تصدع ثم ان الانسان والاضراس نحس بالالم والحار والبارد بأنفسها لا بمجاورها من اللحم ولهذا توسطت طائفة ثالثة وقالت عظام الاسنان خاصة لها الاحساس بخلاف سائر العظام وهى مؤلأ قد سلموا المسئلة من مكان قريب فان الذى دل على احساس الانسان وحياته هو والدال على حياة سائر العظام والشبهة التى ذكروها لو صحت لذنت من احساس الاسنان واما حديث الطهارة والنجاسة بذلك لامر آخروراء الحياة من نجسها بالموت سوى بينها وبين اللحم ومن لم ينجسها وهو الراجح فى الدليل فذلك لعدم صلة التنجيس فيها وان الموت ليس لعللة النجاسة وانما هو دليل العلة وسببها والعلة هى احتقان الفضلات فى اللحم والعظم برى من ذلك والدليل على هذان الشارح لم يحكم بنجاسة الحيوان النام الذى لانفسه لما ناله لعدم احتقان الفضلات فيه فلنلا يحكم بنجاسة العظم أولى وأحرى فان الرطوبات التى فى الذباب والعقرب والخنفساء اكثر من الرطوبات

❦ فصل ❦ والذى احصاه المشرحون من العظام فى البدن مائتان وثمانية واربعون عظما سوى الصغار المسحبات التى أحكم بها مفاصل الاصابع التى فى الخبيرة وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الانسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلا فان كانت المفاصل هى العظام فقد اعترف جالينوس وغيره بأن فى البدن عظام صغار لم تدخل تحت ضبطهم واحصائهم وان كان المراد بالمفاصل المواضع التى تنفصل بها الاعضاء بعضها من بعض كما قال الجوهري وغيره الفصل واحد مفاصل الاعضاء فتلک أهم من العظام فتأمله وان السلاميات المذكورة فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه من حديث ابى ذر يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث فالسلامى العظم ووجهه سلاميات فهنا ثلاثة امور اعضاء وعظام ومفاصل وجعل الله سبحانه العظام اصلب شىء فى البدن لتكون اساسا وعمدة فى البدن اذا كانت الاعضاء

كلها موضوعة على العظام حتى القلب كما سيأتي بسانه ان شاء الله تعالى وهي حاملة
للأعضاء والحامل اقوى من المحمول ولتكون وقاية وجنة ايضا كالصنف فانه وقاية
الدماغ وعظام الصدر وقاية له وجعلت العظام كثيرة لفوائده ومنافع عديدة منها الحركة
فان الانسان قد يحتاج الى حركة بعض اجزائه دون بعض وقد يحتاج الى حركة
جزء من عضو ومنها انه لو كان على عظم واحد لكان اذا اراد ان يتحرك فحرك بجملته ومنها
انه كان يتعذر عليه الصنائع والحل والربط ومنها انه اذا اصابه آفة فتمت جميع البدن فجعلت
العظام كثيرة ليكون متى نال بعضها آفة لم تسر الى غيره وقام غيره من العظام مقامه في
تحصيل تلك المنفعة ومنها تعذر المنافع التي حصلت بسبب تعدد العظام ولولا كثرتها
وتعدد الفئات تلك المنافع ومنها ان من العظام من يحتاج البدن الى كبيرة ومنها ما يحتاج
الى صغيرة ومنها ما يحتاج الى مستطيلة ومنها ما يحتاج الى مجوفة ومنها ما يحتاج الى مخنصة
ومنها ما يحتاج الى مستقيمة ولا يحصل ذلك الا بتعدد العظام ومنها ما يدبغ الصنع وحسن التأليف
والتركيب وغير ذلك من الفوائد ثم شد الخالق بعضها الى بعض بالرباطات والاسر المحكم ثم
كساها لحما حفظا لها ووقاية ثم كسى اللحم جلدًا صونا له ولما كانت الفضلات تنقسم الى
طيفة وغلظية جعل الله سبحانه للغلظية منها مجارى تجذب فيها الى افسل وبخروج منها
خروجًا ظاهرا للحس وأما الطيفة فهي الفضلات البخارية فان من شأنها ان تصعد
الى فوق وتخرج عن البدن بالتحليل جعل في العظام العليا منها منافذ يتحلل منها البخار
التصاعد فلو تكن تلك المنافذ محسوسة لئلا يضعف صوان الدماغ وهو الصنف بوصول
الاجسام المؤذية اليه فجعل الدماغ مركبة من عظام كثيرة ووصل بعضها ببعض بوصل
يقال لها الشؤوف ومنه قولهم فلان لم يجمع شؤون رأسه ويشتمل الرأس بمحمة اجزائه
على تسعة وخسين عظاما وجعل الصنف مستديرا تاما في مقدمه ومؤخره وجانبه بمنزلة
غطاء القدر وعظامه ستة وهي عظم البافوخ وعظم الجبهة وعظم مؤخر الرأس والعظامان
الذنان فيهما ثقب السمع وفي كل واحد من الصدغين عظامان مصمتان وعظام الحسى الاعلى
اربعة عشر عظما ستة منها في محاجر العينين واثنان للأنف واثنان تحت الأنف وهما المنقوبان
الى الفم واثنان في الوجنتين واثنان تحت الشفة العليا وأما العظم الشبيه بالوند فهو واحد
وهو كاتحادة لرأس وعظام الحسى الاسفل اثنان وهما متصلان في وسط الذقن وبينهما
بيان وبصلان من فوق بالحسى الاعلى اتصالا مفصليا والاسنان اثنان وثلاثون في كل
لحى ستة عشر ثقبات وتليها الرباطات وتليها النابان وتليهما الاضراس خمسة من هنا
وخمسة من هنا والنواجذ اول الاضراس وهما ناجذان في كل ناحية ناجذ وربما نقصت
النواجذ في بعض الافراد وكان في كل جانب اربعة اضراس وقد سلم الله غذاء الانسان
الى يده فتأخذه فتسله الى شفتيه فتسله الشفتان منها فتسله الى الابواب والتنايا فتصله ثم
تسله الى الاضراس فتسله وتطحنه ثم تسله الى اللسان والفم فيعجنه ثم يسله الى الحلقوم
والرئ فيسله ويوصله الى المعدة فتطبخه وتنضجه وتصلحه كما ينبغي ثم تسله الى الكبد
فتسله منها ثم يرسله الى كل عضو رايه ومطلومه ثم تصب قربة الصفراء في المرارة

السوداء في الطحال والثفل بخرجه عنها كما تقدم بيانه
 ﴿ فصل ﴾ والرأس يقال بالعموم على ما قبله العنق بحملته ويقال بالخصوص على الفروة
 وهي جلدة الرأس حيث منبت الشعر والجمجمة العظم الذي يحوى الدماغ وهي مؤلفة من
 سبع قطع متقابلة تسمى القبائل وتسمى مواضع التماس كيف شؤوننا ووسط الجمجمة يسمى
 الهامة وحد الهامة من الجانبين قرن الرأس وحد الهامة من المقدم اليافوخ ومن المؤخر القمعدوة
 وهي ما يصيب الارض من رأس المستلقي على ظهره ولها ثلاث حدود نقرة الفقار والقذالان
 منقرة القفا حدها من آخر الوسط والقذالان جانبيا النقرة وقد تقدم تفصيل القبائل
 السبع وسنظهر الجمجمة عما يحيط بها السمحاق وسطها فشاونا وان احدهما يلى الجمجمة وهو
 اثنتان وأصلبهما والاخر يكشف الدماغ ويحيط به وبخالطه ويقال لكل منهما أم
 الدماغ ويسميان الامان ومنه الآمة والمأمومة التي فيها ثلث الدية وهي الجراحة التي تبلغ
 أم الدماغ ويقال لها نجويوف في الدماغ بطن وهي ثلاث بطين وبين بطني الدماغ المذنب
 في مؤخره ووسطه مجرى فيه قطعة من الدماغ مستطيلة شبيهة بالدودة ينسد ذلك المجرى
 وينفتح بها وتحت الدماغ سبلة مبسوطة مؤلفة من عروق ضوارب يتولد منها روح
 نفساني ينفذ الى البطنين اللذين في مقدم الدماغ وفي الدماغ البركة والحوض والقمع والدودة
 والبطون والاغشية ومبادئ الاعصاب ويحتوى الدماغ على ثلاث خزائن ناذ بعضها
 الى بعض ويسمى بطونا فالاولى في مقدمه تنقسم الى قسمين والثانية في وسطه والثالثة في
 مؤخره وجوهر الدماغ مخي متردد الشكل كأنه زرد مجموع والروح النفساني مثبت في
 خلل الزرد والدماغ مقسوم في طوله لنصفين متضامين والتنصيف في مقدم اظهر
 والغشاآن يدخلان في فصول الدماغ وتزريده والصلب منهما يدخل بطونا بين جزئي
 البطن المقدم فيجز بينهما وتحت مصفى كالبركة تسمى المعصرة تصب في العروق الدم
 المنضج وتثبت في جداول تسقى البطن المقدم وتجتمع الى عرقين كبيرين يحملان الدم الى
 البطن الاوسط والمؤخر والبطن الاوسط كدهليز ومنفذ بين المقدم والمؤخر وسقفه معقود
 كالازج والدماغ موصوع طولا على زائدتين الفخذين متقاربان فيتمامان ويتبا هدان الى
 الانفراج فيفتح الدهليز ويرامى البطنان المقدم والمؤخر والجزء المؤخر أخفى تدويرا من المقدم
 وأصفر زردا وهو كرمي الاستطالة ويستدق على التدريج حتى يسيل منه النضج كالجدول من
 العين وفي الدماغ مجريان احدهما في آخر المقدم والمؤخر في الاوسط لدفع فضوله ويجمعان عند
 منفذ واحد عميق اولى في الغشاء الرقيق والاخر في الغشاء الصلب يأخذ الى ضيق كالقمع ولما كان
 الدماغ مبدأ حركات البدن الى ارادته لم يكن بحاجة الى الحركة القوية محوط عليها بسور من
 عظام بخلاف المعدة والكبد والرحم وسائر آلات الغذاء فانها لما احتاجت أن تتسع وتمتلئ بالغذاء
 قصل مرة بعد اخرى وأن تقصر عن الفضول فقصر جها والعظم يمنع من ذلك ويكفي فيه الفضل
 وحده فأحيط عليه بسور من عقل وأما الصدر فانه لما احتاج الى الوثأة بالعظام والى
 الحركة بالفضل الف الصدر منهما وكان البطن أوسع من الصدر لما يحق به من آلات الغذاء

والتنفس والطحال والمرى وغيرها

فصل في ما تقبل الآن النظر في نفسك من رأس وانظر الى المبدأ الاول وهو النطفة التي هي قطرة مهينة ضعيفة لو تركت ساعة لبطت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وكيف اوقع المحبة والالفة بين الذكور والاناث ثم قادهما بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع ثم اسخرج النطفة من الذكر بحركة الوطع من اعماق العروق وجعلها في الرحم في قرار مكين لا تناله يد ولا تطلع عليه شمس ولا يصيده هواء ثم صرف تلك النطفة طورا بعد طور طبقا بعد طبق وغذاها بما جاز الحيض وكيف جعل سبحانه النطفة وهي بيضاء مشرقة حلقة حراء ثم جعلها مضغفة ثم قسم اجزاء المضغفة الى العظام والاعصاب والعروق والاورتار والاسم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو كشف لك الغطاء رأيت الخليط والتصوير يظهر في تلك النطفة شيئا بعد شي من غير أن ترى المصور ولا آتته ولا قلبه فهل رأيت مصورا لا تمس آتته ولا تلاحقها ثم تأمل هذه القبة العظيمة التي قد ركبت على المنكبين وما اودع فيها من الجواهر وما ركب فيها من الخزائن وأودع في تلك الخزائن من المنافع وما اشتملت عليه هذه القبة من العظام المختلفة الاشكال والصفات والمنافع ومن الرطوبات والاعصاب والطرق والمجاري والدماغ والمناذ والقوى الباطنة من الذكر والفكر والتخيل وقوة الحفظ ففهم القوة المفكرة والذاكرة والخيالة والحافظة وهذه القوى مودعة في خزائنها مسخرة لمصلحتها يستعملها ويستخدمها كيف اراد فتأمل كيف دور سبحانه الرأس وشق سمعه وبصره وانفه وفمه وكيف ركب كريبه في بطن الام من ثلاثة وعشرين عظما وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة وتأمل كيف انقلبت تلك النطفة الهينة الضعيفة الى العظام الصلبة الشديدة ثم تأمل كيف قدر سبحانه كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص بحيث حصل من مجموعها لبطت المنفعة وفات الغرض ثم ركب بعضها من بعض بحيث حصل من مجموعها كرامة الرأس على هذه الخلقة المخصوصة ولما كان الرأس اشرف الاعضاء الانسانية وأجبعها لقوى والمنافع والآلات والخزائن اقتضت العناية الالهية بأن صين بأ نواع من المصانعات وذلك أن الدماغ يحيطه غشاء رقيق وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق ثم فوق ذلك الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد ثم فوق الجلد الشعر فتلقى سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلقى فوق الارض سبع سموات طباقا والمقصود من تخليقها الاحفاظ في صون الدماغ من الآفات والدماغ من الرأس بمنزلة القلب من البدن وهو سبحانه قسمه في طوله ثلاثة اقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن الاوسط محل التأمل والتفكر والبطن الاخير محل الذكر والانساج ترجاع لما كان قد نسبته ولكل واحدة من هذه الامور الثلاثة امر مهم للانسان لا بد له منه وانه محتاج الى التفهم والتفهم ولو لم يكن حافظا لمعاني التصورات وصورها بعد خيبتها لكان اذا سمع كلمة وفهمها شذت منه عند مجئ الاخرى فلم يحصل المقصود من الفهم والافهام فجعل له ربه وقاطره خزانة يحفظ له صور المعلومات حتى يجمع له وتسمى القوة التي فيها القوة الحافظة ولانتم مصحفة الانسان الانعاماته اذا رأى شيئا ثم غاب عنه ثم رأى مرة اخرى عرف ان هذا الذي رآه الآن هو الذي

رآه قبل ذلك لانه في المرة الاولى يثبت صورته في الحفظ ثم توارى عنه بالجباب فلارآه مرة
 ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة مطابقة للصورة المعنوية التي في الذهن فحصل الجزم
 بأن هذاذك ولو القوة الحافظة لما حصل ذلك ولما عرف أحد أحوالها فبينه عنه ولذلك
 اذا طالت النسيبة جدا وانمحت تلك الصورة الاولى من الذهن بالكتابة يحصل له العلم بأن هذا
 هو الذي رآه أولا ابعد تفكر وتأمل وقد قال قوم أن محل هذه الصور النفس وقال قوم
 محلها القلب وقال قوم محلها العقل ولكل فريق منهم حجاج وادلة وكل منهم أدرك شيئا وقاب
 عنه شيء اذا ادراك المذكور مفتقرا الى مجموع ذلك لا يتم الا بهو النقصي أن منشأ ذلك ومبداه
 من القلب وفهايته ومستقره في الرأس وفي المسئلة التي اختلف فيها الفقهاء هل العقل في القلب
 أو في الدماغ على قولين حكيار وابتين عن الامام أحد والنقصي أن اصله ومادته من القلب
 وينتهي الى الدماغ قال تعالى أفل يسير وافي الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان
 يسمعون بها فجعل العقل في القلب كما جعل السمع بالاذن والبصر بالعين وقال تعالى ان في ذلك
 لذكرى لمن كان له قلب وقال غير واحد من السلف لمن كان له عقل واحجج آخرون بأن الرجل
 يضرب في رأسه فيزول عقله ولو لان العقل في الرأس لما زال فان السمع والبصر لا يزولان
 بضرب اليد أو الرجل ولا غيرهما من الاعضاء لعدم تعلقهما بهما وأجاب أرباب القلب عن
 هذا بأنه لا يمتنع زواله بفساد الدماغ وان كان في القلب بلابن القلب والرأس من الارتباط
 وهذا كما لا يمتنع نبات شعر العمية بقطع الاثني عشر وفساد القوة بفساد العضو فديكون لانه
 محلها وارتباط به والله أعلم وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأدلته وقدرته
 وحكمته كيف ترسم صورة السموات والارض والبحار والشمس والقمر والاقليم
 والممالك والامم في هذا الهل الصغير والانسان يحفظ كتبها كثيرة جدا وعلومها شتى
 متعددة وصنائع مختلفة فترسم كلها في هذا الجزء الصغير من غير ان يحفظ بعض هذه الصور
 بعض بل كل صورة منهن بنفسها محصلة في هذا الهل وأنت لو ذهبت نقش صور او اشكال
 كثيرة في محل صغير لا اختلط بعضها ببعض وطمس بعضها بمضا وهذا الجزء الصغير نقش
 فيه الصور الكثيرة المختلفة والمضادة ولا يبطل منها صورة ومن اعجب الاشياء أن هذه
 القوة العاقلة تقبل ما تؤديه اليها الحواس فتجتمع فيها ثم تعيد كل حاسة منها فائدة الحاسة
 الاخرى مثاله أنك ترى الشخص فتمل أنه فلان وتسمع صوته فتمل أنه هو وتلمس الشيء
 فتمرره وتشمه فتعرف أنه هو ثم تستدل بالشمه من صوته على أنه هو الذي رأته فيغيبك
 سماع صوته عن رؤيته ويقوم لك مقام مشاهدته ولهذا جاوز اصحاب الفقه شهادته
 شهادة الاعمى وبيعه وشراؤه وأجهوا على جواز وطئه امرائه وهو لم يراها قط اعتمادا
 منه على الصوت بل لو كانت خرساء أيضا وهو المرش جازله الوطء وقد جعل الله سبحانه
 بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطا ونفوذًا يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا
 بقرن سبحانه بينهما كثيرا في كتابه كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
 مستورا وقوله تعالى وجعلناهم سمعا وأبصارا وأعتدهم قلوبا لا يعقلون بها ولهم
 آذان لا يسمعون بها وهذا من عنابة الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية لتقوم كل

حاسة منها مقام الحاسة الاخرى وتفيد فائدتها في الجملة لاني كل شيء ثم اودع سبحانه قوة التفكير وامره باستعمالها فيما يجدي عليه النفع في الدنيا والآخرة فركب القوة المفكرة شيئين من الاشياء الحاضرة عند القوة الحافظة تركيبا خاصا فيسواد من بين ذلك الشيين شيئا ثالث جدير لم يكن للعقل شعوره ولما كانت مواده عنده لكن بسبب التركيب حصل له الامر الثالث ومن ههنا جعل استخراج الصنوع والحرف والعلوم وبناء المدن والمسكن وامور الزراعة والفلاحة وغير ذلك فلما استخراج القوة المفكرة ذلك واستحسنه سلمته الى القوة الارادية العلية فنقلته من ديوان الازهان الى ديوان الاحسان فكان امرا ذهيا فصار وجوديا خارجيا ولولا الفكرة لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفن المفسد وذلك من اعظم النعم وعمام العناية الالهية ولهذا لما فقد البهائم والجانين ونحوهم هذه القوة لم يتمكنوا مما يمكن منه ارباب الفكر ولما كان استخراج المطلوب بهذ الطريق يتضمن فكرا وتقديرا فيفكر في استخراج المادة اولاً ثم يقدرها ويفصلها ثانياً كما يصنع الخياط بحصل الثوب ثم يقدره ويفصله ثانياً قال تعالى عن الوحيد ذرني ومن خلقت الى قوله انه فكر وقد رفقت كيف قدر فكرك سبحانه التقدير دون التفكير وذمه عليه دونه وهذا منزل على مقتضى الحال سواء فانه بالفكر طالب لاستخراج المجهول وذلك غير مذموم فلما استخراج قدره تقديراً وتقديراً كلياً وجزئياً فالتقدير الكلي ان الساحر هو الذي يفرق بين المرء وزوجه والتقدير الجزئي الذي يفرق بين المرء وزوجه فهنا تقدير بعد تقدير فلهذا كرره سبحانه وذمه عليه وأما التفكير فان الفكر طالب لمعرفة الشيء فلا يذم بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله الى تحقيق الباطل وابطال الحق فتأمله

❖ فصل ❖ ثم انزل الى العين وتأمل سبحانه وشكلها وخلقتها وابداع النور الباصر فيها وتركيبها من عشر طبقات وثلاث رطوبات ولكل واحد من هذه الطبقات والرطوبات شكل مخصوص ومقدار مخصوص اولم يكن عليه لا اختلت المصلحة المقصودة وجعل سبحانه موضع الابصار في قدر العدسة ثم أظهر في تلك العدسة قدر السماء والارض والجبال والبحار والشمس والقمر فكيف اتسعت تلك العدسة ان يرسم فيها ما لانسبة لها اليه البنية وجعل تلك القوة الباصرة في جزء اسود فتأمل كيف قام الباصر بهذا الجزء الاسود وجعل سبحانه الحدقة مصونة بالاجفان لتسترها وتحفظها ونصقلها وتدفع الافذاء عنها وجعل شعر الاجفان اسود ليكون سواده سديلاً لاجتماع النور الذي به الابصار ويكون مانعاً من تفرقه ويكون ابلغ في الحسن والجمال وخلق سبحانه الحدة أربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة منهن لا نخل أمر العين ولما كانت العين شبيها بالمرآة التي انما ينفع بها اذا كانت في زاوية الصقالة والصفاء وجعل سبحانه الاجفان مخرجة الى الاطباق ابدأ باختيار الانسان وغير اختياره لتبقى الحدقة نقية صافية عن جميع الكدورات وجعل العينين بمنزلة المرآتين الصقيلتين التي تنطبع فيهما صورة الاشياء الخارجة فينثر القلب ثم يظهر ما فيه عليهما فينثران به فهم امرأة لما في القلب يظهر فيهما امرأة لما في الخارج تنطبع صورته فيهما فالعينان على القلب كازجاجتين الموضوعتين ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال

القلب من رضاه و غضبه و حبه و بغضه و نفرته و من أعجب الأشياء ان العين من أطف
أعضاء البدن و هي لا تأثر بالحر و البرد تأثير غير هامن الأعضاء الكثيفة و لو كان الامر طامداً الى
بجرد الطبيعة اكان ينبغي ان يكون الامر بالعكس لان الالطف أسرع تأثير انعلم ان حصول
هذه المصالح ايس هو بمجرد الطبع

❖ فصل ❖ ثم اعدل الى الاذنين و تأمل شفهها و خلفتها و ابداع الرطوبة فيهما ليكونا
هو ناعلي ادراك السمع و جعلها مرة لتتنع الهوام عن الدخول في لاذن و حوطهما سبحانه
بصدفتين يجمعان الصوت و يؤديانه الى الصماخ و جعل في الصدفتين تعويجات
لتطـول المسافة فتكسر حدة الصوت و لا تلج الهوام دفعة بل تتكثر حركاتها
فينتبه لها فيخرجها و جعل العينين مقدمتين و الاذنين مؤخرتين لان العينين بمنزلة
الطليعة و الكشاف و الرائد الذي يتقدم القوم يكشف لهم و بمنزلة السراج الذي يضيء
للسالك ما امامه و اما الاذنان فيدركان المعاني الغائبة التي ترد على العبد من امامه و من خلفه
و عن جانبيه فكان جعلهما في الجانبين اعدل الامور فسهان من بهرت حكمته العقول و جعل
للعينين غطاء لان مدرك الاذن الاصوات و لابقاء لها فلو جعل عليهما غطاء لزال الصوت
قبل ارتفاع الغطاء فزالت المنفعة المقصودة و اما مدرك العين فأمر ثابت و العين محتاجة
الى غطاء ببقائها و حصول الغطاء لا يؤثر في بعض الادراك و قال بعض أهل العلم عينا الانسان
هاديان و اذناه رسولان الى قلبه و اسنانه ترجان و بدها جناحان و رجلاه يريان و القلب
ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده و اذا خبث خبثت جنوده

❖ فصل ❖ ثم نزل الى الانف و تأمل شكله و خلقته و كيف رفعه سبحانه في وسط
الوجنة بأحسن شكل و فتح فيه بايين و اودع فيها حاسة الشم و جعل له آلة لاستنشاق
الهواء و ادراك لروائح على اختلافها فيتنشق بهما الهواء البارد و الطيب فيستنقي بالمخبرين
عن قبح الفم أبداً و لولاهما لاحتاج الى قبح فيه دائماً و جعل سبحانه نجويفه و اسعها ليخصر
فيه الهواء و ينكسر برده قبل الوصول الى الدماغ فان الهواء المستنشق يتقسم قسمين شطرا منه
وهو أكثره يتنقل الى الرئة و شطرا ينفذ الى الدماغ و لذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد
و جعل في الانف ابضا امانة على تقطيع الحروف و جعل بين المخبرين حاجزا و ذلك لأبلغ
في حصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما أنفان بمنزلة العينين و الاذنين و اليدين و الرجلين
و قد يصيب احد المخبرين آفة فيبقى الآخر سالما و جعل نجويفه نازلا الى أسفل ليكون مصبها
للفضلات النازلة من الدماغ و ستره بسائر أبدى لثلاث بدو تلك الفضلات في عين الرائي
و تأمل منفعة النفس الذي لو قطع عن الانسان لهـلك وهو أربعة و عشرون ألف نفس
في اليوم و الليلة قسط كل ساعة ألف نفس و تأمل كيف يدخل الهواء في المخبرين فيكسر
برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل مزاجه ثم يصل الى الرئة فيصفي فيها من الغلظ و الكدرة
ثم يصل الى القلب أصفى ما كان و اعدل فيروح عنه ثم ينفذ منه الى العروق المتحركة و يتقدم
الى أقاصى أطراف البدن ثم اذا سخن جدا و خرج عن حد الانساع به ماد عن تلك الاقاصى
الى البدن ثم الى الرئة ثم الى الحلقوم ثم الى المخبرين ثم يخرج و يعود مثله هكذا أبدأ الجسم و ذلك

هو النفس الواحد وقد أحصى الرب عدد هذه الانفس وجعل مقابل كل نفس منها ما شاء الله من الاحقاب في الجحيم أو في النعيم فما أسفه من أوضاع ما هذا قيمته في غير شي

فصل وهو سبحانه جعل القلب أمير البدن ومعدن الحرارة الفريزية فإذا استنشق الهواء البارد وصل الى القلب واعتدت حرارته فيبقى هناك مدة فمضن وأحرق واحتاج الى اخراجه ودفنه معه فلم يضيع أحكم الحاكمين ذلك النفس ويخرجه بغير فائدة بل جعل اخراجه سببا لحدوث الصوت ثم جعل سبحانه في الخبيرة واللسان والحنك باخلافا للصوت فيحدث الحرف ثم أهم الانسان ان ركب ذلك الحرف الى مثله ونظيره فيحدث الكلمة ثم أهمه تركيب تلك الكلمة الى مثلها فيحدث الكلام فتأمل هذه الحكم الباهرة في اتصال النفس الى القلب لحفظ حياته ثم عند الحاجة الى اخراجه والاستغناء عنه جعله ميبسا لهذه المنفعة العظيمة فتبارك الله أحسن الخالقين وخلق سبحانه هذه المقاطع والخارج مختلفة الاشكال فكما لا تشابه صورتان من كل وجه بل كما يحصل الامتياز بين الأشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل بالقوة السامعة فيحصل الامتياز للاعمى والبصير

فصل ثم انزل الى الصدر ترى معدن العلم والحلم والوقار والسكينة والبر وأضدادها فبعد صدور العلية تلي بالبر والخير والعلم والاحسان وصدور السفلة تلي بالفجور والشرور والامانة والحسد والمكر ثم انفذ من ساحة الصدر الى المشاهدة القلب فيجد ملكا عظيما جالسا على سرير مملكته يأمر وينهى ويولى ويعزل وقد حفر بالامراء والسوزراء والجند كلهم في خدمته ان استقاموا وان زاغوا وان صحصهوا وان فسدهوا وان ضلوا عليه المعول وهو محل نظر الرب تعالى ومحل معرفته ومحبه وخشيته والتوكل عليه والابانة اليه والرضى به وعنه والعبودية عليه اولا على رعيته وجنده تبعاً فأشرف ما في الانسان قلبه فهو العلية بالله السامع اليه المحب له وله محل الايمان والعرفان وهو المخاطب بالمبعوث اليه الرسل المخصوص بأشرف العطايا وهو الايمان والعقل وانما الجوارح اتباع تبع لقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي لرعيته والذي يسرى الى الجوارح من الطامات والمعاصي انما هي آثاره فان اظلمت الجوارح وان امتنار استنارت ومع هذا فهو بين أصبعين من اصابع الرحمن عز وجل فسيهان مقلب القلوب ومودعها ما يقام من أسرار القلوب الذي يحول بين المرء وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه مصرف القلوب كيف ارادو حيث اراد أوحى الى قلوب الاولياء ان أقبلوا الى قيادته وقامت بين يدي رب العالمين وكره عز وجل انجات آخرين قبضتهم وقبل اقدموا مع القاعد بن كانت اكثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاومقلب القلوب وكان من دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك قال بعض الصالحين لقلب أشد قلبا من القدر اذا استجمعت خلياتها وقال آخر القلب أشد قلبا من الريشة بأرض فلوات في يوم ربح ما حصف ويطلق القلب على مضمين أحدهما امر حسي وهو العضو الحسي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه نجوى وفي النجوى دم اسود وهو منبع الروح والثاني امر معنوي وهو لطيفة ربانية رجائية روحانية لها بمنالعضو تعلق اختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسانية وقلب جندان

جنديرى بالبصار وجنديرى بالبصار أما جنده المشاهدة فالاعضاء الظاهرة والباطنة
 وخلقت خادمة له لا تستطيع له خلافا فإذا امر العين بالانفتاح انفتحت وإذا امر اللسان بالكلام
 تكلم وإذا امر اليد ببطش وإذا امر الرجل سعت وكذا جميع الاعضاء ذلت له تذليلًا ولما خلق
 القلب لسفر الى الله والدار الآخرة وجعل في هذا العالم ليقرود منه انقترالى الركب والزاد
 لسفره الذى خلق لاجله فأعين بالاعضاء والقوى وسخرت له واقمت له في خدمته ليجلب له
 ما يوافق من الغذاء والمنافع ويدفع عنه ما يضره ويهلكه فانقترالى جندين باطن وهو الارادة
 والشهوة والقوى وظاهر وهو الاعضاء فخلق في القلب من الارادات والشهوات ما احتاج
 اليه وخلقت له الاعضاء التى هى آلة الارادة واحتاج لدفع المضار الى جندين باطن وهو
 الغضب الذى يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو الاعضاء التى ينفذ بها غضبه
 كالاسلحة للقتال ولا يتم ذلك الا بعمده بما يجلب وما يدفع فأعين الجند من العلم يكشف له حقائق
 ما ينفعه وما يضره ولما سلطت عليه الشهوة والغضب والشيطان اعين بجند من الملائكة
 وجعل له محل من الخلال ينفذ فيه شهواته وجعل بازائه اعداء له ينفذون غضبه فما ابتلى
 بصفة من الصفات الا وجعل له مصرف ومحل تنفذها فيه فجعل لقوة الجسد فيه مصرف
 المناسبة في فعل الخير والقبطة عليه والمسابقة اليه والقوة الكبر والتكبر على اعداء الله تعالى
 واهاتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه يخال بين الصفيين في الحرب انها المشية
 بيننا والله الا في هذا الموطن وقد امر الله سبحانه بالقلظة على اعدائه وجعل لقوة الحرص مصرفا
 وهو الحرص على ما ينفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك ولقوة
 الشهوة مصرفا وهو المتزوج بأربع والتمرى بما شاء ولقوة حب المال مصرفا
 وهو اتفائه في مرضاته والقرود منه لمعاده فحبة المال على هذا الوجه لا يتم
 ولحبة الجاه مصرفا وهو استعماله في تنفيذ اوامره واقامة دينه ونصر المظلوم واغاثة
 الملهوف واغاثة الضعيف وقع اعداء الله نعمة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة
 وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفا وهو لهوه مع امراته او بقومه واسمه او تأديبه فرسه
 وكل ما امان على الحنى وجعل لقوة النحيل والمكر فيه مصرفا وهو التحيل على عدوه
 وعدو الله تعالى بأنواع التحيل حتى يراغمه ويرده خائفا ويستعمل منه من انواع المكر
 ما يستعمله عدوه معه وهكذا جميع القوى التى ركبت فيه مصرفا وهو التحيل على
 عدوه اعداءها وقد ركبها الله فيه لمصالح اقتضتها حكمته ولا يطلب تعطيلها وانما تصرف
 بما ربه من محل الى محل ومن موضع الى موضع ومن تأمل هذا الموضوع وتفقه فيه علم
 شدة الحاجة اليه وعظم الانتفاع به

فصل في وجاع الطرق والابواب التى بصان منها القلب وجنوده اربعة فن ضبطها
 وعدلها وأصلح مجاريها وصرفها في مجالها الثلاثة بها وجوارحه ولم يشمت به عدوه وهى
 الحرص والشهوة والغضب والحسد فهذه الاربعة هى اصول مجامع طرق الشر والخير وكما
 هى طرق الى العذاب المرمدى فهى طرق الى النعيم الابدى فآدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم
 أخرج من الجنة بالحرص ثم أدخل اليها بالحرص ولكن فرق بين حرصه الاول وحرصه

الثاني وأبو الجن أخرج منها بالحسد ثم لم يوفق لمنافسة وحسد بعيدة اليها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله القرآن فهو يوقم به آتاه الليل وأطراف النهار وأما الغضب فهو دخول العقل بغتاه كما يغتال الذئب الشاة وأعظم ما يفتسه الشيطان عند غضبه وشهوته وإذا كان حرصه على ما ينفعه وحسده منافسة في الخير وغضبه لله على أعدائه وشهوته يستعمله فيما أبجحه وهو ناله على ما أمر به لم تضره هذه الاربعة بل اتسع بها أعظم الاتساع

فصل ١٠ وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب فهذا يلزمه مرة وهذا يلزمه مرة فإذا ألم به الملك حدث من لته الانفساح والانسراح والنور والرحمة والاخلاص والانابة ومحبة الله وإثاره على ما سواه وقصر الامل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهني عيش وألذ وأطيبه ولكن تأتبه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والنم والخوف والسخط على المقدر والشك في الحق والحرص على الدنيا واجملها والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب ثم للناس في هذه المحبة مراتب لا يحصيها الا الله فهم من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الالم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب فيادري الى تلك اللمة ولا يدعهما تستحكم فيصعب تداركها فهو دائماً بين اللمتين يدال مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة لا تقوى ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى فلا يزال يغلب لمة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها فيوت القلب ولا يحس ما ناله الشيطان مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن بذكر الشهوة والغفلة يجب عنه الاحساس بذلك المعنى فإذا كشف امكته تدارك هذه الدواء وحسنه وان طاد الغطاء حاد الامر كما كان حتى ينكشف منه وقت المفارقة فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والاحزان وهي لم تجدد له وإنما كانت كأمته تواربها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامناً ونجدد له اضعافه

فصل ١١ والشيطان يلزم القلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوطان صفات و ارادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستعمل امره ووجدته وطناً ومقرات أبي الاذكار والدعوات والتعوذات الحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لان مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهر منها والافتساح يقي للشيطان بالقلب خطرات ووسوس ولمات من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوى لمة الملك فتأني الاذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء وإذا أردت لذلك مثالا مطابقتاً فمثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم او خبز وهو يتأملك ويراك لانقاومه وهو أقرب منك فانت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى الا التحوم عليك والغارة على ما بين يديك فالذاكر بمنزلة الصياع عليه والزجر له ولكن معلومه ومراده عندك وقد قربته عليك فاذالم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك قواك أقوى منه فانك تزجره ويصيح عليه فيذهب وكذلك القلب الخالي عن قوة الشيطان ينزجر بمجرد الذكر واما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبة وموطنة فيقع الذكر في حراسها وجوانبها ولا يقوى على اخراج العدو ومصداق

ذلك مجده في الصلاة فتأمل الحل وانظر هل تخرج الصلاة اذكارها وقرآنها الشيطان من قلبك وتفرغ كل لله تعالى بكليته وتقيم بين يدي ربه مقلدا بكليته عليه يصلي لله تعالى كأنه برآه قد اجتمع همه كله على الله وصار ذكره ومراقبته ومحبهه والانس به في محل الخواطر والوسوس أم لا والله المستعان وههنا نكتة ينبغي التفطن لها وهي ان القلوب المتأثرة بالاخلط الرديشة والعبادات والاذكار والتعوذات أدوية لتلك الاخلط كما يثير الدواء اخلط البدن فان كان قبل الدواء وبمده حبة لم يزد الدواء على اثاره وان أزال منه شيئا مدار الامر على شيتين الحمية واستعمال الادوية

﴿ فصل ﴾ وأول ما يطرق القلب الخطرة فان دفعها استراح مما بعدها وان لم يدفعها قويت فصارت وسوسة فكان دفعها أصعب فان يادر ودفعها والا قويت وصارت شهوة فان حاجها والا صارت ارادة فان حاجها والا صارت عزيمة وهي وصلت الى هذه الحال لم يمكن دفعها واقترن بها الفعل ولا بد وما يقدر عليه مرة مقدماته وحينئذ ينتقل العلاج الى أقوى الادوية وهو الاستفراغ التام بالثوبية الصوح ولا ريب ان دفع مبادئ هذا الداء من أوله وبين استفراغه بعد حصوله وساعد القدر وأمان التوفيق ان الدفع أولى به وان تأملت النفس بمقارفة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الاخص المقطع الكسد المشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الاعظم الدائم الذي لانسبة لهذا المحبوب اليه آية لاقى قدره ولاقى بتمامه وليوازن بين ألم فوته وبين ألم فوات المحبوب الاخص وليوازن بين لذة الانابة والاقبال على الله تعالى والتزم بحبه وذكره وطاعته ولذة الاقبال على الرذائل والانبات والقبح وليوازن بين لذة الظفر بالذنب ولذة الظفر بالعدو وبين لذة الذنب ولذة العفة ولذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو وبين لذة الذنب ولذة ارغام عدوه ورده خائفا ذليلا وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينه وبين مراده فوته ومراده فوت نساء الله تعالى وملائكته عليه وفوت حسن جزائه وجزيل ثوابه وبين فرحة ادراكه وفرحة تركه لله تعالى ماجلا وفرحة ما ينسبه عليه في دينه وآخرته والله المستعان وهذا فصل جره الكلام في قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون أشرفنا اليه اشارة ولو استفدنا لاسعدنى عدة أسفار ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما تركناه والله التوفيق

﴿ فصل ﴾ وانرجع الى المقصود ثم قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أما الرزق ففسر بالمطر وفسر بالجنة وفسر رزق الدنيا والاخرة ولا ريب ان المطر من الرحمة وان الجنة مستقر الرحمة فرزق الدارين في السماء التي هي العلو وقوله تعالى وما توعدون قال عطاء رضی الله عنه من الثواب والعقاب وقال الكلبي من الخير والشر وقال مجاهد الجنة والنار وقال ابن سيرين من امر الساعة قلت كون الجنة والخير في السماء فلا شكال فيه وكون النار في السماء وما يوعدون به اهلها يحتاج الى تبين فاذا نظرت الى اسباب الخير والشر واسباب دخول الجنة والنار وافترق الناس وانقسموا الى شقي وسعيد وجدت ذلك كله يقضاه الله وقدره النازل من السماء وذلك كله مثبت في السماء في صحف الملائكة وفي الاوح المحفوظ قبل العمل وبمده فالامر كله من السماء وقول من قال امر الساعة يكشف عن هذا المعنى

فان أمر الساعة يأتي من السماء وهو الموعود بها فاجبة والنار الغاية التي لاجلها قامت
الساعة فصح كل ما قال السلف في ذلك والله أعلم
فصل ثم اقسام سبحانه أعظم قسم بأعظم قسم به على أجل قسم عليه واكد الاخبار
بهذا قسم ثم اكد بشبهه بالامر المحقق الذي لا يشك فيه ذوحاجة سليمة وقال فورب السماء
والارض انه لخلق مثل ما انكم تنطقون قال ابن عباس رضي الله عنهما يريدانه لخلق واقع
كما انكم تنطقون قال الفراء انه لخلق كان الآدمي ناطق قال الزجاج هذا كما تقول في الكلام
ان هذا لخلق كما أنك هنا قلت وفي الحديث انه لخلق كما أنك هنا فشبّه سبحانه بتحقيق
ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده والواحد منا يعرف انه ناطق في ضرورة ولا
يحتاج الى نطقه استدلال على وجوده ولا يخالجه شك في أنه ناطق فكذلك ما أخبر الله عنه
من أمر التوحيد والتبوة والمعاد واسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الامر يشبه بثبوت
نطقكم ووجوده وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم بقول أحدهم هذا حق مثل الشمس
وافصح الشاعر من هذا بقوله

وايسر يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج التمار الى دليل

وهنا أمر ينبغي التفتن له وهو أن الرب تعالى شهد بحجة ما أخبر به وهو اصدق الصادقين
واقسم عليه وهو أرق المسمين واكد بشبهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه وأقام عليه
من الأدلة العينية والبرهانية ما جعله معانيها شاهداً بالبصائر وان لم يباين بالابصار ومع ذلك
فأكثر النفوس في غفلة عنه لانتعده ولا تأخذ له أهبة والمستعده لا تأخذ له أهبة لا يعطيه
حقه منهم الا الفرد بعد الفرد ما أكثر الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم الى
هذه الدار ولا يتفكرون في قلة مقامهم في دار الفرور ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها والى ابن
برحلون وابن يستقرون قد ملكهم الحس وقل نصيبهم من العقل وشملتهم الغفلة وغرتهم
الاماني التي هي كالسراب وخدمهم طول الامل وكأن المقيم لا يرحل وكأن أحدهم لا يبعث
ولا يبسل وكأن مع كل مقيم توقيع من الله لفلان ابن فلان بالامان من عذابه والفوز بجزيل ثوابه
فأما في لذات الحسية والشهوات النفسية كيفما حصلت حصلوها من أي وجه لاحت أخذوها
فأفانين عن المطالبة آمين من العاقبة يسعون لما يدركون ويتزكون ما هم به مطالبون ويعمرون
ما هم عنه منتقلون ويحربون ما هم اليه صائررون وهم عن الآخرة هم فأفلون الهتهم شهوات
نفوسهم فلا ينظرون في مصالحتها ولا يأخذون في جمع زادهافي سفرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم
اولئك هم الفاسقون والعجب كل العجب من غفلة من تعد عليه لحظاته ونحصى عليه انقامه
ومطاييل والنهار تسرع به ولا يتفكر الى ابن يحمل ولا الى ابي منزل يتقل

وكيف تنام العين وهي قريبة * ولم تدرك في أي المطين تنزل

واذا نزل بأحدهم الموت قلبي لخراب ذاته وذهاب لذاته لا لما سبق من جنائمه ولا لسوء منقلبته
بعد مجاته فان خطرت على أحدهم خطرة من ذلك اعتد العفوا والرحمة وكان يتيقن أن ذلك
نصيبه ولا بد فلو أن العاقل أحضر ذهنه ما استحضر عقله وسار بشكره وأمعن النظر وتأمل الآيات
لفهم المراد من إيجادها وانظرت عين الراحل الى الطريق ولاخذ المسافر في التزود والمريض في

التداوى والحازم بعدما يجوز أن يأتي فالظن بأمر متيقن كما أنه لصدق إيمانهم وقوة إيمانهم وكانهم يعاينون الأمر فأصحت ربوع الأيمان من أهلها حالية ومعالده على عروشها خاربة قال ابن وهب أخبرني مسلم بن علي عن الأوزاعي قال كان السلف إذا صدع البحر أو قبله كأنما على رؤسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حبيبا لاحدهم فاب عنه حينما ثم قدم لما التفت إليه فلا يزالون كذلك إلى طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيخلفون بأول ما يقتضون فيه أمر معادهم وما هم صائرُونَ إليهم يأخذون في الفقه

فصل ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالْقُرْآنَ الْجِيدَ ﴾ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب الصحيح أنق و ن وص بمنزلة حم والموطس تلك حروف مقدرة وهذه متعددة وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما فيها قبل وهنأ قد أتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن ما قسم بالقرآن على نبوته وصدقه وأنه حق من عنده وذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه أو لأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم بيان ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب بل بالابتغى أن يقع سواء كما قال سبحانه إن تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ونشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق عند ربهم فأى عجب من هذا حتى يقول الكافرون إن هذا لسحر مبين وكيف يتعجب من رجة الخالق عباده وهدايتهم وانعامه عليهم بتعريفهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لم بطريق الخير والشر وما هم صائرُونَ إليه بعد الموت وأمرهم ونهيمهم حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبة ما جاء به إلى السحر لولا غاية الجهل والظلم بالعجب كل العجب قولهم وتكذيبهم كما قال تعالى وإن تعجب فاعجب قولهم

فصل ومن ذلك حم والكتاب المبين وقوله ص والقرآن ذي الذكر وقوله بس والقرآن الحكيم الملك المنزل والمرسلين والصحيح أن يس بمنزلة حم والمليست أسماء من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم واقسم سبحانه بكتابه على صدق رسوله وصحة نبوته ورسالته فتأمل كهر المقسم به والمقسم عليه وقوله تعالى على صراط مستقيم وجوز فيه ثلاثة أن يكون خبراً محذوفاً ما خبر عنه بأمر رسوله وأنه على صراط مستقيم وإن يكون متعلقاً بالخبر نفسه فخلق المعمول به عمله أي أرسلت على صراط وهذا يحتاج إلى بيان تقديره المجهولين على صراط مستقيم وكونه من المرسلين مستلزم لذلك فاستغنى عن ذكره

فصل ومن ذلك قوله تعالى والصفات صفات صفات سبحانه بملائكته الصفات لعبودية بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ألا تصفون كأنصف الملائكة عند ربها ثمون الأول وتراصون في الصف وكما قالوا عن أنفسهم وأنالهن الصافون والملائكة الصفات اجتمعت في الهواء والزاجرات الملائكة التي تزجر الحساب وغيره بأمر الله فالتاليات التي تلو لكلام الله وقيل الصفات الطير كما قال تعالى أولم يروا إلى الطير فوقهم صفات ويقضن وقال تعالى والصفات الصفات والصفات التي تلو الصفات لفتال في سبيله فازجر الخليل للحمل على أعدائه فالتاليات الذي كبرن له عند ملاقة عدوهم وقيل

الجماعات الصافات ابدانها في الصلاة الزاجرات انفسها عن معاصي الله فالتاليات آياته
والانظ بحتم ذلك كله وان كان احق من دخل فيه واول الملائكة فان الاقسام كالدليل
والآية على صفة ما قسم عليه من التوحيد وما ذكر غير الملائكة فهو من آثار
الملائكة وبوا سطنها كان واقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته والهيته وقرر
توحيد ربوبيته فقال ان الهكم لو احد رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارك من اعظم الادلة على انه اله واحد ولو كان معه اله آخر لكان اله مشاركا له
في ربوبيته كما شاركه في الهيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه قاعدة القرآن بقرر توحيد
الالهية بتوحيد الربوبية فيقرر كونه معبودا وحده بكونه خاتما لارزاق وحده وخص المشارق
هنا بالذكريا للدلائل على المغارب اذا الامر ان المتضايقان كل منهما يستلزم الآخر وما يكون
المشارك مطلع الكواكب ومظاهر الانوار واما نوطية ما ذكر بعد هاهنا من تزيين السماء بزينة
الكواكب وجعلها حفظا من كل شيطان فذكر المشارق انسب بهذا المعنى والبقى والله تعالى اعلم
فصل * ومن ذلك قوله في قصة لوط عليه السلام ومراجعة قومه له قاوا اولم تنكح من
العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلمين لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون اكثر المفسرين من السلف
والخلف بل لا يعرف السلف فيه زنا ما ان هذا قسم من الله لله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا من اعظم فضائله ان يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزينة لا تعرف لغيره ولم يوافق
الزنجشري لذلك فنصر في القسم الى انه بحياة لوط وانه من قول الملائكة فقال هو على
ارادة القول أي قالت الملائكة لوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون
وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل على ما فهمه
السلف اطيب لاهل التعطيل والاعتزال قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمرك اي وحياتك
قال وما اقسم الله تعالى بحياة نبي غيره والعمر والعمر واحد لانهم خصوا القسم بالفتوح
لانبات الاخف لكثرة دور الخلف على اسنتهم وايضا فان العمر حياة مخصوصة فهو
عمر شريف عظيم اهل ان يقسم لمزيتهم على كل عمر من اعمار بني آدم ولا ريب ان عمره وحياته
من اعظم النعم والآيات فهو اهل ان يقسم به والقسم به اولي من القسم بغيره من مخلوقات
وقوله تعالى يعمهون اي يجهلون وانما وصف الله سبحانه اللوطية بالسكرة لان العشق سكره
مثل سكرة الخمر وأنشد كما قال القائل

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران

فصل * ومن ذلك قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما و كذا
بالتي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الاصول والفروع
واحكام الشرع واحكام المعاد و سائر الصفات وغير هاولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التكليم
حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتفتح
له كل الانفساح وتقبله كل القبول ولم يثبت لهم الايمان بذلك ايضا حتى يضاف اليه مقابلة
حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض فهنا قد يحكم الرجل

غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتهاء الحرج الرضا والتسليم فلا يلزم من التحكيم انتهاء الحرج اذ قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتهاء الحرج الرضا والتسليم والابقاد اذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه والتسليم أخص من انتهاء الحرج فالحرج مانع والتسليم امر وجودي ولا يلزم من انتهاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه اذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغاً منه ومن الرضى والتسليم فتأمله وعنده هذا يعلم ان الرب تبارك وتعالى اقم على انتفاء ايمان اكثر الخلق وعند الامتحان تعلم مثل هذه الامور الثلاثة موجودة في قلب اكثر من يدعى الاسلام ام لا والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آخره وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

يقول الراجح من ربه حصول الاماني بعد الحميد الفردوسي الذي الاتفاني خفر الله له
ولو اذبه والمسلمين واحسن اليهما واليه والمهين

قدم بحمد الله الرحمن طبع كتاب التبيان في أقسام القرآن تأليف العلامة الحبر البحر الفهامة صاحب التأليف العديدة والتقارير المفيدة شمس الدين محمد بن ابي بكر الدهشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية وهو له مرمى كتاب مفيد حرمي بالطبع ايم نفعه كل مستفيد في المطبعة الميرية الكائنة بركة الحمية في ظل السلطان المعظم والحاقان المعظم السلطان ابن السلطان الملك المظفر الممان المحفوظ باقرآن العظيم والسبع المثاني مولانا السلطان الفزي عبد الحميد خان الثاني اللهم انصره نصره نصره الدين وتجز به وهدو كان حقا علينا نصر المؤمنين واحفظ اشباله الكرام ووفقى عماله ووزراءه وعلماهم انضمام لكل خير آمين بجاه النبي الامين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وكان ختام الطبع في الثالث

من شهر جادى الاولى من عام الواحد والعشرين والثلاثمائة والالف

من هجرة من خلقه الله على اكل وصف صلى الله عليه

وعلى آله ما طاف بالبيت العتيق طائف

ووقف بعرفة واقف

آمين



صفحة	صفحة
٤٨ فصل ومن ذلك قوله تعالى والنازعات هرفقا	٣ فصل اذا عرف هذا الخ
٥٢ فصل ومن ذلك قوله تعالى والمرسلات عرفا الخ	٤ فصل واقسم على صفة الانسان الخ
٥٣ فصل ومن ذلك قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة الخ	٦ فصل ومن ذلك قوله لا اقسم الخ
٥٧ فصل ومن أسرارها هذه السورة أنه سبحانه جمع فيها لا ولبانه الخ	٧ فصل ومن ذلك قوله تعالى والشمس الخ
٥٧ فصل ومن أسرارها انها تضمنت اثبات قدرة الرب الخ	٨ فصل وذكرفي هذه السورة ثمود الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها انها تضمنت التأني والتثبت في تقي العلم الخ	١٠ فصل ومن ذلك قوله تعالى والفجر الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها أن اثبات النبوة والمعاد يعلم بالعقل الخ	١٢ فصل وأما سورة لا اقسم بهذا البلد الخ
٥٩ فصل ومن ذلك قوله تعالى كلا والقمر والليل اذا دبر الخ	١٦ فصل ومن ذلك اقسامه بالتين الخ
٦١ فصل واقسامه سبحانه بالليل اذا دبر الخ	٢٠ فصل ومن ذلك قسمه تعالى بالليل الخ
٦٢ فصل واقسم سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة الخ	٢٥ فصل ثم قال تعالى ان علينا لهدى الخ
٦٣ فصل ومن ذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون الخ	٢٦ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالضوى الخ
٦٥ فصل الامر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين الخ	٢٨ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالاعديات
٧٠ فصل ومن ذلك قوله عز وجل فلا اقسم برب المشارق الخ	٢٩ فصل فهذا شأن القسم وأما شأن القسم عليه فهو حال الانسان الخ
٧١ فصل وقد وقع الاخبار عن قدرته عليه سبحانه على تبديلهم الخ	٣٠ فصل ومفعول العلم ان علمت فيه الخ
٧٣ فصل فلما قام عليهم الجنة وقطع المعذرة الخ	٣٠ فصل ومن ذلك اقسامه بالعصر الخ
٧٤ فصل ومن ذلك قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون الخ	٣٢ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماه ذات البروج الخ
٧٥ فصل ثم اقسام سبحانه بالقلم وما يسطرون الخ	٣٦ فصل ومن ذلك اقسامه سبحانه بالسماه والطارق الخ
٧٥ فصل والاقلام متفاوتة في الرتب الخ	٣٧ فصل والقسم عليه ههنا حال النفس الانسانية الخ
٧٥ فصل القلم الثاني قلم الوحي الخ	٤٠ فصل ومن ذلك اقسامه بالشفق والليل وما سبق الخ
٧٦ فصل والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله الخ	٤١ فصل وقوله لتركبن طبقا من طبق الظاهر أنه جواب القسم الخ
	٤٢ فصل ومن ذلك قوله سبحانه فلا اقسم بالخنس الخ
	٤٣ فصل واختلف في صفة الليل الخ
	٤٤ فصل ثم ذكر سبحانه القسم عليه وهو القرآن الخ
	٤٦ فصل ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر للعالمين الخ

